مستقبل الخريطة السياسية للعالم

دراسة في الجغرافيا السياسية



الدكتور
وليد نبيل علي

الوراق للنشر والتوزيع
www.alwaraq-pub.com

عماد الدين للنشر والتوزيع

مستقبل الخريطة السياسية للعالم

دراسة في الجغرافيا السياسية

مستقبل الخريطة السياسية للعالم
دراسة في الجغرافيا السياسية

دكتور

وليد نبيل علي





الطبعة الأولى

2014

الوراق للنشر والتوزيع
www.alwaraq-pub.com

كل الحقوق محفوظة

٣٢٠,٩١
علي، وليد نبيل
مستقبل الخريطة السياسية للعالم: دراسة في الجغرافيا السياسية
/وليد نبيل علي .ـ عمان مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.
( ) ص.
ر.أ. : (٢١٤٤ / ٦ / ٢٠١٣).
الواصفات :/الجغرافيا السياسية//الجيوبولتيكا/
تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN : 978 - 9957 - 33 - 348 - 5 (ردمك)





مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع

شارع الجامعة الأردنية – عمارة العساف – مقابل كلية الزراعة – تلفاكس ٥٣٣٧٧٩٨
ص . ب ١٥٢٧ تلاع العلي – عمان ١١٩٥٣ الأردن
e-mail : halwaraq@hotmail.com
www.alwaraq-pub.com - info@alwaraq-pub.com

المحتويات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، أما بعد، بدت الدراسات الاجتماعية تنظر إلى حالة استقرار الدول في الوقت الراهن، وتوزيع الدول على خريطة العالم على أنها الوضع الأرقى لطبيعة علم الجغرافيا السياسية ونظرتها ونهاية عهد التخوم السياسية إلى الأبد، أما للعالم من تبدل؟، بلى بالطبع، ولكن أين تظهر احتمالات التغيرات في المستقبل؟ ، إلى ابعد من مجرد وصف الظاهرات الجغرافية ذات الصبغة السياسية الحالية فقط، في خضم تغيرات تبدل أحوال كل شيء على سطح الأرض.

لقد طال الحديث عن مزايا النظم السياسية المعاصرة وقوة استقرارها، وتجسيدها لفكرة الوضع الأمثل القريب للكمال في التراث الاجتماعي، وندرت الإشارات السلبية عن مواضع العيوب المحتملة فيها، نظرا للحماسة الزائدة لنجاحها الظاهري المؤقت.

يتتبع هذا الكتاب أسباب تماسك العديد من الدول المتحدة، وتفتت أخرى، وكيف أدت الموازنات السياسية والصراعات الدولية إلى تشجيع ظاهرة المغالاة في حرية تقرير مصيرها، وتسببها في تفتيت الدول الأخرى، ويركز على دراسة " المادة اللاحمة الخام" التي نجحت في تجميع المتناقضات البشرية، والتحديات الجغرافية الطبيعية في كيانات سياسية بدت أنها متماسكة بصورة لا تعكس الحقيقة، وتوضيح العيوب التي تعتريها، ومدى تماسكها، والآثار المترتبة على تفتتها وزوالها، ويؤكد على حتمية الزوال، ويحاول استكشاف المستقبل، وما سيحدث فيه، والمساهمة في أن يكون لها دور في أبعاد التأثيرات والتصورات والخطط السياسية العامة، وان يكون لها مكانا مستقرا في الفكر الشخصي لكل فرد داخل الدولة.

هناك عدة أبعاد للمستقبل، المستقبل قريب المدى، المستقبل بعيد المدى، وتركز معظم الدراسات السياسية حول تقديرات المستقبل المأمول تأثيرها على العالم، وتدور حول نتائج " العولمة" وانعكاساتها في تشرذم الدول وزيادة تبعيتها

وهيمنة القوى العظمى على العالم، والتأثيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المصاحبة للنظام الجديد.

أما هذه الدراسة فتطمح إلى ابعد من ذلك بكثير، تسعى إلى كسر القيود الجغرافية وقولبه الفكر العلمي الذي أدى إلى جمود الفكر الجغرافي في القرن العشرين، يظهر جليا إذا خطونا بعيدا عن الآلات الالكترونية وتأثيرات استخدام نظم المعلومات الجغرافية في رصد وتحديد وتحليل الظاهرات، مع شيء بسيط من تعليلها، نعم انه جمود حقيقي سهل علي كل جغرافي أن يرصده في تشابه محتوى المراجع الجغرافية وثباتها، فقد أصبحت الجغرافيا السياسية في القران العشرين مجرد رصدا دوريا لخريطة دول العالم، وما بها من مشكلات سياسية عقب اندلاعها، وتوزيع تلك الظاهرات على خرائط حديثة، وقلما ظهرت التقديرات المستقبلية، وإعادة فهم إمكانية تفاعل الظاهرات السياسية، مؤدية إلى نتائج جديدة للغاية.

كان من الصعب تطبيق المنهج العلمي في إعداد الافتراضات المتواصلة نحو التغيرات المحتملة أن تطرأ على الخريطة السياسية للعالم في المستقبل، وسار البحث على نهج التفهم العميق لأبعاد الظواهر البشرية السابقة، وحالات تطورها عبر التاريخ، وقابلية تكرارها في المستقبل، وطرح كل العناصر التي تبدوا "منتهية النضج" لإعادة التأكيد على تبدلها وتطورها الايجابي أو السلبي، وقد تم الاستشهاد بالأمثلة الموضحة كلما أمكن ذلك.

من المهم التأكيد علي أن هذا الكتاب لا يعتمد فقط على المشاريع العلمية التي هي محل بحث وتطوير حاليين، بل أيضا على رؤى مستقبلية ، ترصد مسارات التطور العلمي والتفاعل الحضاري والعلاقات البشرية المترتبة عليها.

يحتاج العالم إلى رؤى الخيال الذي يفترض شكل المستقبل، ومعالجاته الواقعية لحل المشكلات الحالية، لا نعرف لماذا تندر الدراسات العربية في مجال المستقبليات؟، ربما لان المستقبل هو ما يتم تقريره في أوربا والغرب، ولتخوف الكثيرين من الخوض فيه، لخطورة الوصم بنبوءة كاذبة، وتجنب أخطاء الخوض في أمور دينية،

ألا يدرك العقلاء أن للنظريات المستقبلية جزء من إيمانا مؤكدا على أن كل شيء زائل إلا الله، وان سوء التقدير صفة بشرية، وما الضرر من احتمالات الوقوع في الخطأ في استشراف المستقبل، إن العديد من النظريات العلمية المراجعة مرارا وتكرارا يثبت العلم كل يوم أن هناك خلل بها في قواعدها الراسخة !.

قاد الفكر الخاص بهذا الكتاب نظرية راسخة الثبات تدلل على "فلسفة التغير المستمر" ، "الظاهرة المؤقت للأشياء" ، أين الفئة المضطهدة ؟، حتى يمكن أن نتوقع له أن تبلغ القمة في المرحلة المستقبلية، لتتبادل المواقع ، وتطغى على من قهرها وأخضعها زمنا طويلا.

هناك افتراضات مستقبلية عامة، معظمها يختص بالجانب العلمي، فأين الإنسان وطبيعة إعادة نظرته للأمور وترتيب وحداته السياسية وأفكاره عن التنظيم الاجتماعي العام؟، ربما لذلك السبب تخصصت هذه الدراسة في هذا البعد، لتتبع تغيرات لا حد لها من تعديل وإحلال واستبدال كافة الثوابت القديمة (المعاصرة حاليا) المسيطرة على الفكر والتنظيم السياسي في العالم حاليا.

استعان هذا البحث بعدد محدود من المراجع والمصادر، هو كل ما أمكن جمعه من مادة علمية متاحة في هذا الصدد، وكان من الممكن الاستغناء عن معظمها، لولا الحاجة لتمرير هذا العمل العلمي، وإكسابه طابعا محترما يوثق في صحة تقديراته المستقبلية، ومدى الطموح الذي نطمع أن يصل إليه هذا العلم.

تم التركيز على نواحي الجغرافية البشرية على الخريطة السياسية، أكثر من النواحي الأخرى التي يذخر بها البحث العلمي، وتولت الجغرافيا البشرية إعادة فهم وتنظير وتصنيف وتقسيم البيئة الجغرافية لدى الإنسان، وامتد الكتاب على أربع فصول،

الفصل الأول : ـ مواطن الخلل في خريطة العالم السياسية المعاصرة:ـ أسباب حتمية الانهيار، ويعالج التغيرات السياسية الدورية عبر التاريخ، ودورة

الحضارات المعاصرة وتطورها المستقبلي، والاضطرابات السياسية وصناعة الفوضى، من البداية إلى مرحلة النظام إلى مرحلة الفوضى، وتفتت الكيانات الدولية ونهاية النظم السياسية المتماسكة.

الفصل الثاني: ـ أحجام وأشكال ومسميات دول العالم في المستقبل، ويعرض عاصفة التغيير المتوقع أن تصيب تلك الضوابط التي تعارف عليها البشر فيما مضى.

الفصل الثالث: ـ خصائص المجتمعات البشرية في المستقبل، ويعيد تعريف حقيقة الإنسان ، والاختلاف الشكلي والجيني الحتمي للبشر المستوطنين للفضاء والبيئات الجديدة، ومدى التكيف للإنسان في أجواء المستقبل.

الفصل الرابع : ـ العلاقات والحياة السياسية بين الدول في عالم المستقبل، وأخيرا **الخاتمة** التي تعطى نظرة عامة وشاملة للفكر الاستباقي، وأهمية المستقبلي بالنسبة للحضارة البشرية .

نرجو أن نكون قد وفقنا في محاولة مقاومة تأثير ضعف الأوضاع الرديئة في العالم العربي، خاصة في المجال العلمي ذا الآفاق الضيقة، ومجاراة الفكر الغربي حين طرح عملية غزو الفضاء، واقنع شعوبه بتقبل الفكرة، وساهمنا في فتح مجالات مثمرا للفكر والعمل العربي في إطار الحضارة البشرية الشاملة.

د. وليد نبيل علي.

الفصل الأول

مواطن الخلل في خريطة العالم السياسية المعاصرة.

أسباب حتمية الانهيار.

الفصل الأول

مواطن الخلل في خريطة العالم السياسية المعاصرة

أسباب حتمية الانهيار

يتجه هذا الفصل إلى معرفة مواطن الخلل في خريطة العالم السياسية المعاصرة، ومدى التناقض والتفاوت في الجغرافيا السياسية حول أهمية وأنشطة الدول المعاصرة، ويحاول استنباط الجديد واستكشاف المجهول وتسليط الضوء على قضايا سياسية لم تطرح من قبل، والنظريات العلمية الشاملة حول نشأة الحضارات البشرية وتعليل سقوطها، وأسباب حتمية الانهيار.

تنطوي خريطة العالم السياسية على اكبر خدعة جغرافية ضللت الإنسان، ووصفت حالة سياسية غير موجودة من الناحية الواقعية، يشبه ذلك وضع قطعة ارض مهجورة عليها لافتة صدئة توضح المالك المفترض، ولا يبدو أي وجودا فعليا خلالها، لا يبدو أن لها أهمية إلا إذا حدث ضجيجا بلغ مسامع مالكها الاسمي مع غياب التفاهم المسبق لهما، وما بالنا بمساحات كبيرة لا تضح لافتة ملكيتها لأحد، خاصة مع غياب إحساس الدولة بتهديد مباشر نحوها.

يمكن رصد هذه الظاهرة في كل دول العالم، خاصة الدول كبيرة المساحة، هناك قطاعات كبيرة تتركز عند الحدود السياسية لدول العالم لا تخضع لأي نوع من الإدارة البشرية، وبعضها يستحيل عليها ذلك تماما، نظرا لأسباب ومعوقات طبيعية بحتة، أبرزها وعورة السطح، فعلى سبيل المثال : ـ هناك أكثر من 20 كيلومتر من السفوح الجبلية شديدة الانحدار في جبل العوينات تفصل بين جنوب دولتي مصر وليبيا يصعب اجتيازها، ويمتد بحر الرمال العظيم لمسافة تزيد على 1000 كيلو متر، كما ان طول خط الحدود ما بين الدولتين يبلغ حوالي 1500 كيلو متر، يوجد فقط نقطة رسمية للعبور البري، ويتابع الجيش ووحدات حرس الحدود حالات التسلل، ويلاحقها حتى عمق نحو حوالي 150 كيلو متر، أي أن نسبة الحراسة والمتابعة والإدارة على خط الحدود السياسية تصل تقريبا إلى نسبة 10 ٪ فقط من إجمالي

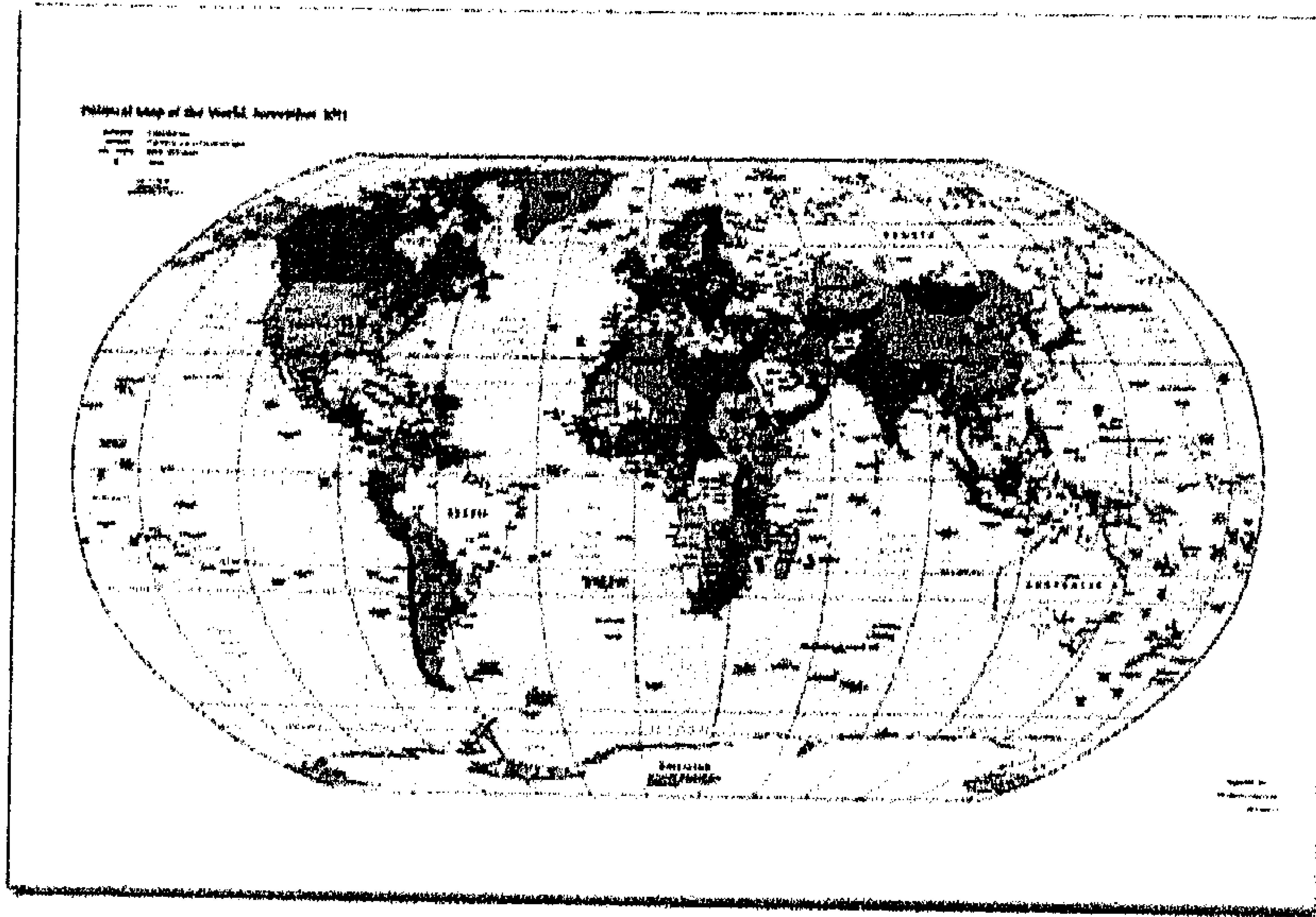
طول الحدود الكلي، وينطبق هذا الوضع على معظم دول العالم، ويتفاوت أحيانا ليقل عن ذلك ، فيما يقارب شبه العدم، ويزيد أحيانا بشكل طفيف، بما يؤكد على أن الحدود السياسية مخلخلة سياسية وأمنية دائما .

معايير إطلاق مصطلح "الدولة" على مكان ما.

هناك ثمانية معايير متعارف عليها لتحديد ما إذا كان المكان هو بلد مستقل "دولة"، أم لا، وهي كالتالي :ـ

1. يحتوي على مساحة أو إقليم، وحدود سياسية معترف بها دوليا .
2. يستقر السكان على أرضه بصفة مستمرة.
3. لديها نشاط اقتصادي منظم.
4. لديه تنوع في المؤسسات الاجتماعية، مثل التعليم.
5. لديها نظام وسائل النقل لنقل البضائع والأشخاص.
6. لديها حكومة توفر الخدمات العامة وسلطة دائمة لفرض الأمن.
7. تتمتع بسيادة مستقلة، لا ينبغي لدولة أخرى أن يكون لها سلطة على أراضيها .
8. لديه اعتراف خارجي بوجوده الرسمي. [1] .

على هذا الأساس ربما يعاد النظر في العديد من دول العالم، ونزع عن نفسها رتبة الدولة، لخلو شرطا أو أكثر من تلك القواعد، فعلى سبيل المثال : ـ ليس للولايات المتحدة شعب حقيقي غير الهنود الحمر، أما الباقي فمجموعة كبيرة من المهاجرين من مختلفي شعوب الأرض، وتدخل إسرائيل في نفس الوضع، ويمكن اعتبار دولة فلسطين المحتلة ليست دولة بالمعايير العلمية، لوقوعها تحت الاحتلال الإسرائيلي، وضعف سلطتها الحقيقية، وهكذا، ربما يخرج العديد من دول العالم من هذا التصنيف.



شكل (1) خريطة العالم منذ سنة 2011 م،
لم يتغير شيء غير استقلال دولة جنوبي السودان.

لم يسمح مقياس الرسم المتبع في إبراز الدول صغيرة الحجم، أما في المستقبل فلن تستطيع خريطة سياسية بحجم ملعب كرة قدم توضيح الدول الميكروسكوبية الحجم في خريطة العالم، ومن المحتمل تفتيت كل الدول كبيرة المساحة التي تزيد مساحتها على مليون كيلو متر مربع، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والكنغو الديمقراطي...، خاصة الدول ذات التمايز والتنافر العرقي والديني والقبلي، حتى الدول التي ينحدر سكانها من نفس الأب والأم من العرق ذاته - وذلك غير موجود حقيقة على سطح الكرة الأرضية فيما بعد الكشوف الجغرافية، بل لم يوجد قط بعد تنافر وانتقال أبناء سيدنا ادم عليه السلام إلى أقطار الأرض - ليست بعيدة عن دعاوى الانفصال لدوافع الأنانية والطمع والجشع.

تبدو خريطة العالم سياسيا، أكثر الظواهر البشرية تغيرا وتبديلا وتقبلا لوضع الخطوط والمنحنيات الجديدة للحدود السياسية حديثة النشأة ، لا تعبر عن سيطرة فعلية للدول على كامل التراب الوطني، وستظل سيادتها غير مكتملة تماما بفعل

تدخلات قوى داخلية، وتأثيرات الهيمنة الخارجية، لذا تعتبر الخريطة السياسية للعالم أكذوبة متغيرة باستمرار.

كم هو عدد دول العالم حاليا ؟ . . .لا يوجد رقم دقيق . . . ولن يكون !.

تذخر الأوضاع السياسية العالمية بتناقضات وتضاربات حادة، من بينها الخلافات حول مسالة إجمالي عدد الدول التي أعلن استقلالها رسميا في القرن الحادي والعشرين، وتبين مدى التخبط والتضارب الشديد في حسابها، في حالة من المفترض غير المبررة، ويظهر ذلك بوضوح في التالي :ـ [(2)].

- يذكر عدد 225 دولة في قائمة الدول حسب عدد السكان.
- يبلغ عدد دول العالم اليوم 235 دولة بما فيها تلك المناطق التي تتمتع بحكم ذاتي.
- قائمة الدول المستقلة وعددها 204 دول. تحتوي هذه القائمة على :ـ

• 192 دولة من أعضاء **الأمم المتحدة.**

• دولتان لهما عضويتان خاصتان لدى الأمم المتحدة، وهما **الفاتيكان وكوسوفو** معترف بهما دولياً، ولكنهما ليستا من أعضاء الأمم المتحدة.

• دولة واحدة لديها علاقات دبلوماسية مع 93 دولة وهي فلسطين.

• دولة واحدة مستقلة حديثاً وهي **جنوب السودان** (الدولة رقم 196).

• دولة واحدة من أعضاء **الاتحاد الأفريقي** وهي **الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية.**

• دولة واحدة لم تعد من أعضاء الأمم المتحدة وهي **تايوان.**

• دولتين مستقلتان واقعياً ولكن غير معترف بهما بواسطة أية دولة ماعدا روسيا، وهما **أبخازيا وأوستيا الجنوبية.**

- دولة واحدة مستقلة واقعياً ولكن غير معترف بها بواسطة أية دولة ماعدا تركيا، وهي **شمال قبرص التركية.**
- دولة واحدة معترف بها من قبل **أبخازيا وأوستيا الجنوبية**، وهي **ترانسنيستريا.**
- دولتين مستقلتان واقعياً ولكن غير معترف بهما بواسطة أية دولة، وهما **قرة باغ.**
- دولة واحدة مستقلة واقعياً ومعترف بها من قبل كينيا، إثيوبيا، المملكة المتحدة و ماليزيا، وهي **جمهورية صوماليلاند الفدرالية.**

- يبلغ عدد دول العالم اليوم 231 دولة بما فيها تلك المناطق التي تتمتع بحكم ذاتي .
  - وجد في قارة آسيا 47 دولة باعتبار دولة فلسطين وإسرائيل .
  - يوجد في قارة إفريقيا 54 دولة باعتبار الصحراء الغربية .
  - يوجد في قارة أوربا 47 دولة .
  - يوجد في قارة أمريكا الشمالية والوسطى 27 دولة .
  - يوجد في قارة أمريكا الجنوبية 12 دولة .
  - يوجد في قارة أستراليا 19 دولة .

وبالنسبة للأمم المتحدة هناك 193 عضوا في الأمم المتحدة، لسوء الحظ، فإن العدد 192 هو أيضا كثيرا ما يستخدم لتمثيل عدد من البلدان في العالم، على الرغم من أن هذا الرقم يمثل ما يقرب من جميع البلدان في العالم، لا تزال هناك دول مستقلة مثل الفاتيكان و كوسوفو، آلتان استقلا ولا يعتبرا من الأعضاء في الأمم المتحدة، حتى رقم 193 لا يمثل عدد كل البلدان في العالم، من الطريف أن تذكر ما تردد في وسائل الإعلام عن موافقة "الاتحاد الدولي لكرة القدم" (الفيفا) قبول دولة "جنوبي السودان" عضوا به رقم "209" من بين الدول الأعضاء على

مستوى العالم (3) هذا رقم جديد، فما هو تعداد الدول الأعضاء في اتحـدا النقابـات العمالية على سبيل المثال؟، هل سيخرج علينا رقما اكبر من ذلك؟ !، فهل سـيظل الحال كذلك في الإحصاءات الأخرى المتعلقة بإجمالي عدد دول العالم ؟ ! .

لماذا غابت الدقة في مجرد أعداد الـدول؟، هـل تتعـدد التعريفـات في طريقـة الحساب على مستوى العـالم!؟، نعـم بـالطبع، وفي حـالات كـثيرة قديمـة وحديثـة ومعاصرة، ويمكن أن نضرب مثالا ليس له علاقة بالجغرافيا السياسية، لكنه مختص بالعد، فعلى سبيل المثال : ـ إذا افترضنا أن هناك مزرعـة تـضم قطيعـا كـبيرا مـن الخراف او الماشية، وقمنا بعدها، فهل سنحتسب من بين الأصحاء الحالات شـديدة المرض والهزيلة المشرفة على الموت؟ والمشوهة؟، والمفقودة ؟، . . . ، ربما نعم وربما لا، ولذ لن نجد إحصاءا واحدا دقيقا معبرا عن الحقيقـة، الـتي هـي بالفعـل مـتغيرة وتتوقف على اختلاف وجهات النظر العلمية، والنزعات الشخصية المتناقضة.

وهـل تتـدخل المجـاملات الـسياسية والخـداع الدبلوماسـي في إعطـاء صـفة الـشرعية لأقـاليم وإدارات محليـة متخلفـة وملـوك و حكـام شـديدي الـضعف، يسيطرون على مئات او بضع ألاف قليلة من قبيلـة هزيلـة! ؟، بلـى، وفي حـالات كثيرة على مر التاريخ، من بينها على سبيل المثـال : ــ اعـتراف بريطانيـا الرسمـي بملوك جزر المحيط الهادي إبان فتر النشاط الاستعماري منذ القرن الثامن عشر حتـى القرن العشرين، تمهيدا للسيطرة عليهم، وكذلك فعلت بريطانيا وبلجيكا وعدد مـن الدول الاستعمارية أثناء بسط نفوذهم على إفريقيا في نفس الفترة تقريبا.

يبـدو أن مواقـف وطرائـف وخـدع الـسياسة العالميـة لـن تنتهـي قـط، وفي استطاعتها إعطاء صفة الشرعية لمن شاءت إذا اقتضت الضرورة، ونجد صيغ المديح والتبجيل سببا في الإيهام بقوة حكـام ودول لـيس لهـا منهـا شـيء، وهنـاك وقـائع تاريخية رأت فيها الدول عبر حكامها أنها ندا للـدول العظمـى المخادعـة، وقـدموا هدايا ثمينة ــ في اعتقادهم وفقـا لتقـديراتهم لقيمـة الأشـياء لـديهم ـــ إلى ملـوك انجلترا على سبيل المثال، عبارة ملابس مصنوع يدويا من الـريش والـصدف ولحـاء

الشجر!، وأسلحة من بوص وحراب ومطارق . . . !، وتستمر الخدعة ، وتضع دول على الخريطة السياسية للعالم لا وجود لها فعليا أبدا.

معدل سرعة استقلال الدول في القرن الحادي والعشرين.

يمكن الاكتفاء فقط بما جرى في أوائل القرن الحادي والعشرين من تغيرات سياسية وإعلان الاستقلال الرسمي للدول الجديدة، نظرا لبعد تأثر هذه الفترة بحمى استقلال الدول عن الإمبراطوريات الاستعمارية التي سادت في النصف الأول من القرن العشرين وبلغت أوجها في بدايات النصف الثاني منه، وتجنبا لحالات خاصة تنطبق على انفراط دول الاتحاد السوفيتي السابق ومجالات سيطرته السياسية حتى سنة 1991 م ، لمعرف مواقف الاختيار الحر للشعوب وسعيها إلى الاستقلال في الوقت الراهن.

لم يخل الأمر من تأثيرات خارجية ساعدت على تأجيج الروح الانفصالية، ولها دور اكبر من ذلك بكثير في كبح المطالب العرقية والدينية، انطلاقا من مصالحها وخططها الخارجية، وعلى أي حال هناك قدر كبير من الغموض والأسرار والمؤامرات والطرائف والغرائب تجاه كل دولة نالت استقلالها قديما أو حديثا، فتارة نجد لدولة ما أكثر من تاريخ للاستقلال، وتارة أخرى تحصل على استقلالها رسميا ولا تعتد به قط، وتارة ترى تاريخ استقلالها قضية مقدسة لا تتأثر بمتقلبات أوضاعها السياسية، على الرغم من خضوعها للاحتلال مرة أخرى، كنا نعتقد أن عام الاستقلال الرسمي هو الذي ينطبق على احدث تاريخ نالت فيه البلاد حريتها عن الاستعمار، غير أن الحقيقة تنفي ذلك تماما، انظر إلى الجدول التالي.

جدول (1) تناقضات وطرائف وأكاذيب في الإعلان الرسمي

لاستقلال مجموعة من ابرز الدول يؤكد على القضية الخلافية المتأثرة بأهواء كل دولة.

الرقم	الدولة	(*) عام الاستقلال	ملاحظات
1.	اليابان	11 فبراير 660ق.م (يوم التأسيس الوطني)	استسلمت للاحتلال الأمريكي في 15 أغسطس عام 1945 م حتى 1952م، بقيت جزيرة ريوكو تحت السيطرة الأمريكية حتى 1972م، ولا زالت الولايات المتحدة تحتفظ ببعض من قواتها في البلاد حتى اليوم. منذ نهاية الحرب العالمية الثانية قام الإتحاد السوفياتي بالاستيلاء على جزر الكوريل، وإلى اليوم، ترفض روسيا إعادتها إلى اليابان.
2.	سويسرا	(حلف ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة في 1 / أغسطس عام 1291م)	
3.	السويد	في أواخر القرون الوسطى ! (تم انتخاب الملك غوستاف فاستا ملكاً في 6 يونيو عام 1523م) قبل ان يتم الاتفاق القانوني العام على معنى الاستقلال المعهود به الآن	
4.	روسيا	مجيء روريك إلى فيليكي نوفغورد عام 862م هو التأسيس التقليدي للدولة الروسية، تم الاحتفال في 4 نوفمبر عام 2005 ويمثل يوم دحر القوات البولندية من موسكو عام 1612	احتلها فرنسا أثناء الحروب النابليونية ، وأجزاء كبيرة منها على يد الألمان في الحرب العالمية الثانية
5.	النرويج	17 مايو 1814م) يوم الدستور	خضعت للاحتلال الألماني في الحرب العالمية الثانية.
6.	المملكة المتحدة	الدولة الوحيد بالعالم التي لا تحتفل بيوم وطني لها	

الرقم	الدولة	(*) عام الاستقلال	ملاحظات
7.	بولندا	11 نوفمبر 1918م عن روسيا وبروسيا والمجر- النمسا	خضعت للاحتلال الألماني وكانت سقوطها سببا لبداية الحرب العالمية الثانية.
8.	البرتغال	استقل عن مملكة ليون في 5 أكتوبر 1143م ثم عن أسبانيا في 1 أكتوبر 1640م .	عامان للاستقلال ! .
9.	رومانيا	9 مايو 1877م عن الدولة العثمانية	وقعت تحت الاحتلال الألماني أثناء الحرب العالمية الثانية
10.	**إسرائيل**	(تأسست في 14 مايو 1948 م/ الموافق 5 أيار العبري/ سنة 5708 في التقويم العبري!)،	وجود تقويمان ، وإعادة العمل بتقويم قديم خاص بهم أهمل لآلاف السنين.
11.	**الكويت**	(استقلت عن المملكة المتحدة في 19 يونيو عام 1961 م، وفي 25 فبراير عيد جلوس الشيخ عبد الله السالم الصباح واضع الدستور الكويتي)	
12.	**قطر**	(بداية حكم الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني في 18 ديسمبر عام 1878)،	خضع ساحل الخليج العربي إلى الانتداب البريطاني حتى بدايات القرن العشرين
13.	بلجيكا	(أول قسم للملك بلجيكا في 21 يوليو سنة1831 م)	
14.	بنما	استقلت عن إسبانيا في 28 نوفمبر عام 1821، يحتفل أيضاً في 3 نوفمبر بذكرى الانفصال عن كولومبيا عام 1903.	لها نحو عيدين للاستقلال
15.	دولة **تونجا**	(لم تستعمر تونغا مطلقاً لكن يحتفل في 4 يونيو بعيد ميلاد الملك)	التي لم تستعمر قط، فكيف تحدد يوما ما لاستقلالها ؟!، بل ليس لها عام للاستقلال!

الرقم	الدولة	(*) عام الاستقلال	ملاحظات
16.	فلسطين العربية	استقلت عن احتلال إسرائيل في 15 نوفمبر عام 1988 م	أعلنت عن استقلالها في المنفى (وكانت حينها في تونس، لكنها أعلنت وثيقة الاستقلال في الجزائر ا) من تلقاء نفسها وأيدتها الدول العربية فقط، ولم تحظ بموافقة المجتمع الدولي حينها، وتسعى حاليا لإعادة الاستقلال، او ما يسمى بإعلان الدولة الفلسطينية.
17.	لتوانيا	الاستقلال عن روسيا والإمبراطورية الألمانية في 16 فبراير 1918؛ واستقلت عن الاتحاد السوفيتي في 11 مارس عام 1990م.	لها عامان للاستقلال.
18.	العراق	استقلت عن بريطانيا 3 أكتوبر 1932م، احتلتها الولايات المتحدة وبريطانيا عام 2003م، نقل السيادة من الاحتلال الأمريكي إلى الحكومة العراقية في 28 يونيو 2004م	لا يزال الوجود الأمريكي على أراضيها يأخذ مسمى آخر غير الاحتلال الرسمي.
19.	مصر	استقلت رسميا في 28 فبراير سنة 1922م عن الاحتلال البريطاني	بشكل اسمي وليس فعلي، ثم عام 1956م جلت القوات البريطانية عن أراضيها.
20.	ليبيا	10 فبراير 1947 عن إيطاليا ، وفي 24 ديسمبر 1951م عن مجلس الوصاية البريطاني الفرنسي	عامان للاستقلال.

مصدر المعلومات : ـ (*) انظر بالتفصيل في جدول "عيد الاستقلال" لدول العالم في موسوعة وكيبيديا.

نعتقد أن أي تاريخ للاستقلال يبعد عن القرن العشرين هو بداية المبالغة السياسية تجاه كل الدول غير الاستعمارية، ولو جاز الاعتداد بأكثر من تاريخ للاستقلال، لوجدنا أياما كثيرة قد تفوق عدد أيام السنة نفسها، خاصة الدول

الزراعية الواقعة على ضفاف الأنهار المكرر احتلالها مرات كثيرة، نتيجة لمطامع الدول في أراضي شعوبها المائلين للمسالمة.

ما الذي يُهمنا من طرائف استقلال الدول؟!، انه يعطي نماذج مختلفة عن الحالات السياسية التي من الممكن أن تصاحب استقلال الدول في المستقبل، فليس مستغربا أن تنال دولة ما استقلالها في الأعوام القادمة، وتعلن أنها نالت استقلالها قبل ذلك بكثير، الأخطر من ذلك هو المحتمل أن تتبرأ دول المستقبل من الاحتفال بالاستقلال نفسه!، هربا من عار وصمة الخضوع والتذكير بالتبعية السياسية، يذكرنا ذلك بعبارات أدب النفاق والمديح في حضارات العالم القديم تمجيدا للحاكم، حينما كانت الدولة والملك شيئا واحدا، بل أن الملك هو الدولة ذاتها، واهم من الدولة نفسها!، من بينها ما قيل في سياق **'التاريخ السياسي التفاخري'** عن ملوك الفراعنة المتوارثين للحكم (من بينهم رمسيس الثاني) : ـ **'وهو الملك منذ كان في بطن أمه'** ! [4] ، فهل سيؤثر الغرور في إنكار بلاهة فترة الطفولة، وطيش المراهقة للكيانات السياسية في المستقبل؟!، مثلما يقوم به الإعلام السياسي للدول المستقلة حديثة، حينما تعيد إلقاء الضوء على نفسها، وتوضيح انه على الرغم من كونها ولاية صغيرة الحجم في كيان كبير؛ إلا أنها كان لها دورا ووضعا مميزا للغاية، فتعتبر بمثابة 'درة التاج' واشرف بقعة وأرقى منزلة . . . !، فأي مستقبل نتوقعه في مرحلة خرف الشيخوخة (الزهايمر) للدول في مرحلة الانحطاط والسقوط النهائي؟، لا شك انه سيفرز مزيدا من التفتيت السياسي مرة بعد مرة !.

يوضح الجدول التالي للدول المستقلة في القرن الحادي والعشرين أن هناك أربعة دول برزت رسميا حتى الآن، على الرغم من مرور عقدا واحدا فقط تقريبا من هذا القرن!، مع غياب وجود الإمبراطوريات الكبيرة المهددة بالانهيار السياسي والتفتت الجغرافي، نظرا لما تذخر به دول العالم من حالات لا حصر لها من المشكلات العرقية والدينية واللغوية، والمطامع والمطالب الفردية، وكان معدل سرعة استقلال الدول من سنة 2002 إلى 2006م دولة / 4 سنوات، ومن 2006 إلى 2008 م دولة كل/ 2 من سنوات، ومن 2008 إلى 2011م دولة كل/

3سنوات، ولذلك أمكن إجراء توقعا علميا يوحي بإمكانية نشأة دولة جديدة بعد 3ـ 4 سنوات في المتوسط.

غير أن هذا المعدل لا يمكن تعميمه كسرعة ثابتة في القرن العشرين، فمن الممكن أن تقل أو تزيد تبعا للظروف المختلفة للدولة نفسها من جهة، ومن الجهة الأخرى الملابسات الدولية الخارجية التي يمر بها العالم في نفس الفترة، انظر للشكل التالي.

إذا جاز أن نتصور متوسط أعداد الدول التي من الممكن أن تنال استقلالها خلال 100 عام من الآن بنفس المعدل السابق بشكل رياضي سنجد أن عدد دول العالم المحتمل استقلالها في القرن الحادي والعشرين هو: ـ

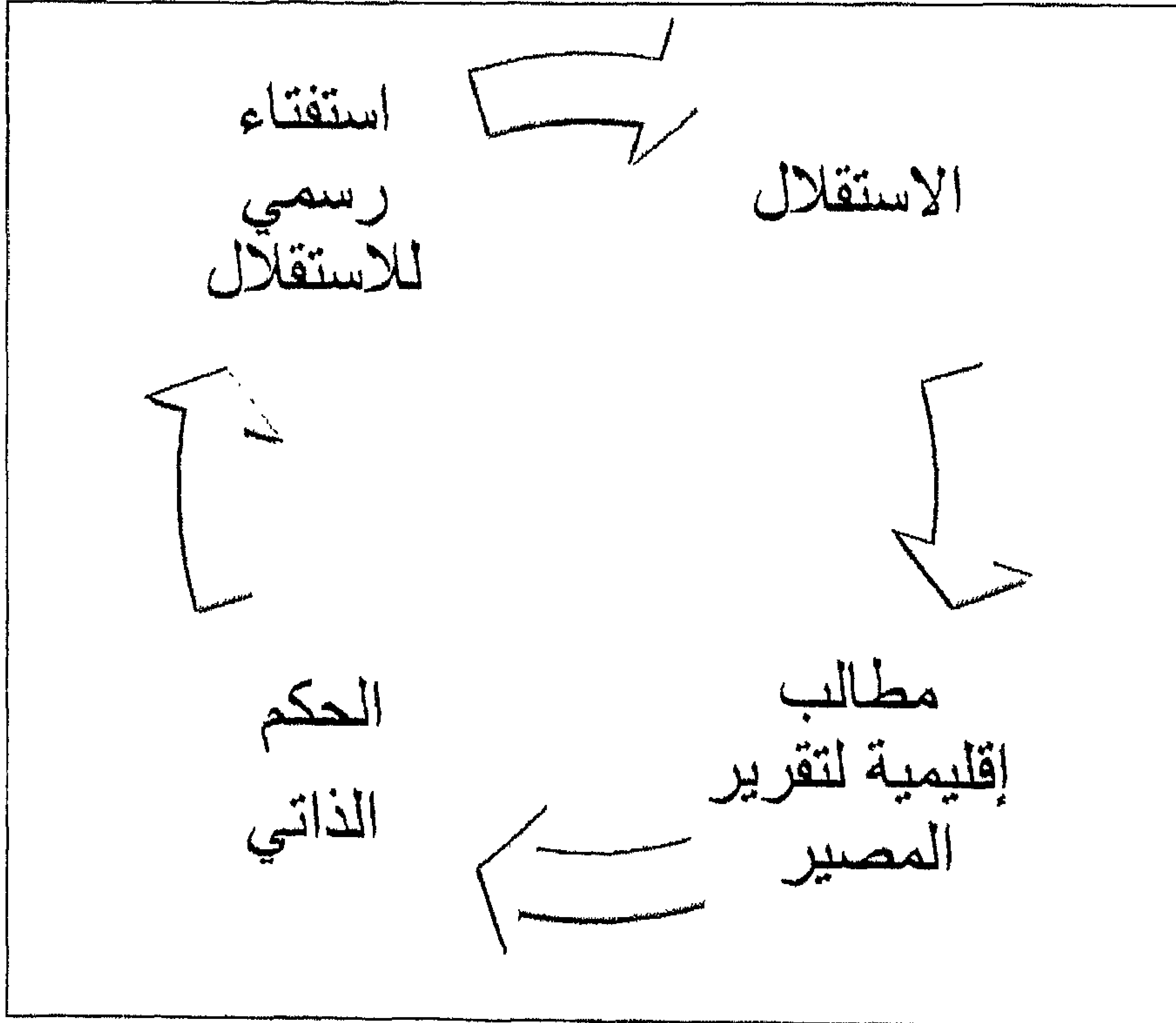
- = 100سنة ÷ 2 (استقلال دولة واحدة كل عامان في المتوسط) = 50 دولة جديدة.
- = 100سنة ÷ 3 (استقلال دولة واحدة كل ثلاثة أعوام في المتوسط) = 33.3 دولة جديدة.

مع وضع في الاعتبار أن هذا المتوسط قابل للزيادة أو النقصان، وحساب الفائدة المركبة كمعدل هام يوضع في الحسبان، بمعنى أن كلما زاد العدد الإجمالي لدول العالم ارتفعت نسبة إعادة التفتيت الذاتي وتنشيط موجات مطالبات الأقاليم بالانفصال ونيل سيادة استقلالية كاملة، فعدد الدول حالي التي قاربت نحو 200 دولة (196حتى الآن) سترتفع نسبة الانفصال إذا وصلت مثلا إلى نحو 250 دولة إلى معدل انفصال دولة كل 2 – 1 سنة.

هناك عدد من الدول مرشحة لإعلان استقلالها في الفترة القادمة، من بينها أسكوتلندا التي تعتزم إجراء استفتاء بشان استقلالها عن بريطانيا في خريف عام 2014 م، في ذكرى معركة انتصر فيها الأسكوتلنديين على الإنجليز قبل 700 عام [5]، ودول أخرى لم تحدد ميعادا رسميا للاستفتاء أو إعلان الاستقلال، من بينها فلسطين على سبيل المثال، ودارفور (عن السودان) وشرقي الكنغو الديمقراطي ...

جدول (2) الدول المستقلة في القرن الحادي والعشرين ومعدل سرعة نيل استقلالها

الترتيب	اسم الدولة	الدولة المستقلة عنها / عام الاستقلال.
.1	تيمور الشرقية	على استقلالها من اندونيسيا سنة حصل تيمور الشرقية على الاستقلال من البرتغال عام 1975، ومن اندونيسيا في 20 مايو عام 2002 م
.2	الجبل الأسود	الاستقلال عن صربيا عام في 21 مايو سنة 2006.م
.3	كوسوفو	استقلت عن صربيا في 17 فبراير عام 2008.
.4	جنوب السودان	استقلت عن السودان عام في 9 يوليو سنة 2011.
.5	؟	**من المحتمل أن تنال استقلالها (دولة مفترضة ما) في الفترة ما بين 3 ـ 4 سنوات (2014 ـ 2015م)**



المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (2) دورة عمليات انفصال واستقلال الأقاليم الخاضعة للدولة، حتى الإقليم المنفصل للتو يخضع لإعادة نشأة الحركات الانفصالية الداخلية مرة أخرى!.

ما هي الدولة ؟ .

تتعدد التعريفات الأكاديمية والتعبيرات والمضامين الدارجة حول مفهوم ومعنى مصطلح "الدولة"، لحب أن نرسخ المعاني الواقعية، ونطرح الجديد فيها، ويختلف المصطلح من حقبة لحقبة، ومن دولة ضعيفة إلى قوية إلى عظمى، يتفق الكل حول معنى الدولة ورصدهم إياها من الناحية الواقعية، وقلما طرح تعبيرا آخر لها.

تعتبر الدولة مرادفا للصراعات الكبرى، تمخضت نتيجة صراع داخلي او خارجي، ويتوقف وجودها على مدى الانتصارات والنجاحات التي تحرزها في معركة البقاء، وتجنب تفتتها وانهيارها الداخلي وصد الأعداء الخارجين، فلا وجود لدول عظمى بدون صراع او تنافس بين أقرانها على شيء ما، خاصة الموارد والعناصر الأخرى التي تقتضيها الضرورة، أبرزها: ـ

- الأراضي الجديدة، لزيادة المجال المساحي.
- التنقيب عن الثروات وحرية التجارة.
- المكانة العالمية المتميزة والمقاعد السياسية الدولية.
- الزيادة السكانية (الإنجاب) والهجرة الخارجية.
- صناعة واقتناء السلاح والذخيرة.
- تصدر الواجهة الإعلامية، والبحث العلمي وإصدار الكتب.

تعتبر كل تلك العناصر، بما فيها **"الاقتناء فيما فوق الحاجة"** مجرد **"قيمة عاطفية"** يسهل الاستغناء عنها تماما وقت الأزمات المهددة للبقاء.

يحق لكل دولة من الناحية النظرية الطموحة ان تطمح لان تكون زعيمة في مجالها الإقليمي بين دول الجوار المتقاربة في مكوناتها، غير أن هناك عقبات لا حد لها، داخليا وخارجيا، طبيعيا وبشريا، نفسيا وماديا، تقف عائقا أمام أحلامها

ومساعيها الدائمة، ساهمت أطماع وطموحات أنانية لبناة الدول والإمبراطوريات في ظاهرة إجرام الدول وسطوتها ودمويتها اجتياح

الدولة هل هي الكيان السياسي الأمثل؟

هذا النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي له مقر دائم يشغل الوطن الرسمي لكل دولة، وتحلم بمد سيادته على أقاليم كانت خاضعة له فيما مضى، او تعد مجالا حيويا لأنشطتها الخارجية، تخضع لقيود لا حد لها، تحد من حرية تصرفها، خاصة على الصعيد الخارجي، على الجانب الآخر يختلف الوضع تماما لدى المنظمات والهيئات الشرعية وغير الشرعية في مساعيها وخططها وأنشطتها، التي تمارس مهامها بحرية أحيانا تفوق قدرة الدولة ذاتها، ولذلك تلجأ الدول إلى نوعية محددة من الهيئات الدولية لممارسة أنشطة تعجز هي عن القيام بها.

إن كل دولة ما لها طبيعتها الخاصة، بصمة طبيعية وبشرية مميزة، حين نقارنها بمجموعة صغيرة قريبة منها، فلا مجالا للتميز المطلق الذي لا حدود له، وليس له صفة الاستمرارية المتواصلة بلا أدنى لحظة للتوقف المؤقت أو الدائم، لا شيء سيبقى على حاله في هذا الكون الدائم المتغير، وهذا مصدر التفاؤل للدول الضعيفة، والمخاوف المنغصة لغطرسة الدول العظمى على مر التاريخ البشري .

أسباب هيمنة الدولة على أرضها ومجالها الإقليمي.

- ضخامة القوى البشرية (عدد السكان – الأيدي العاملة).
- التماسك الجغرافي تحت حكومة مركزية قوية.
- كثافة وتنوع الموارد الطبيعية.
- الحفاظ على السلام الداخلي، والاستقرار بعد كل فترة حرجة.
- تزايد فرص ومناخ جذب رؤوس الأموال.

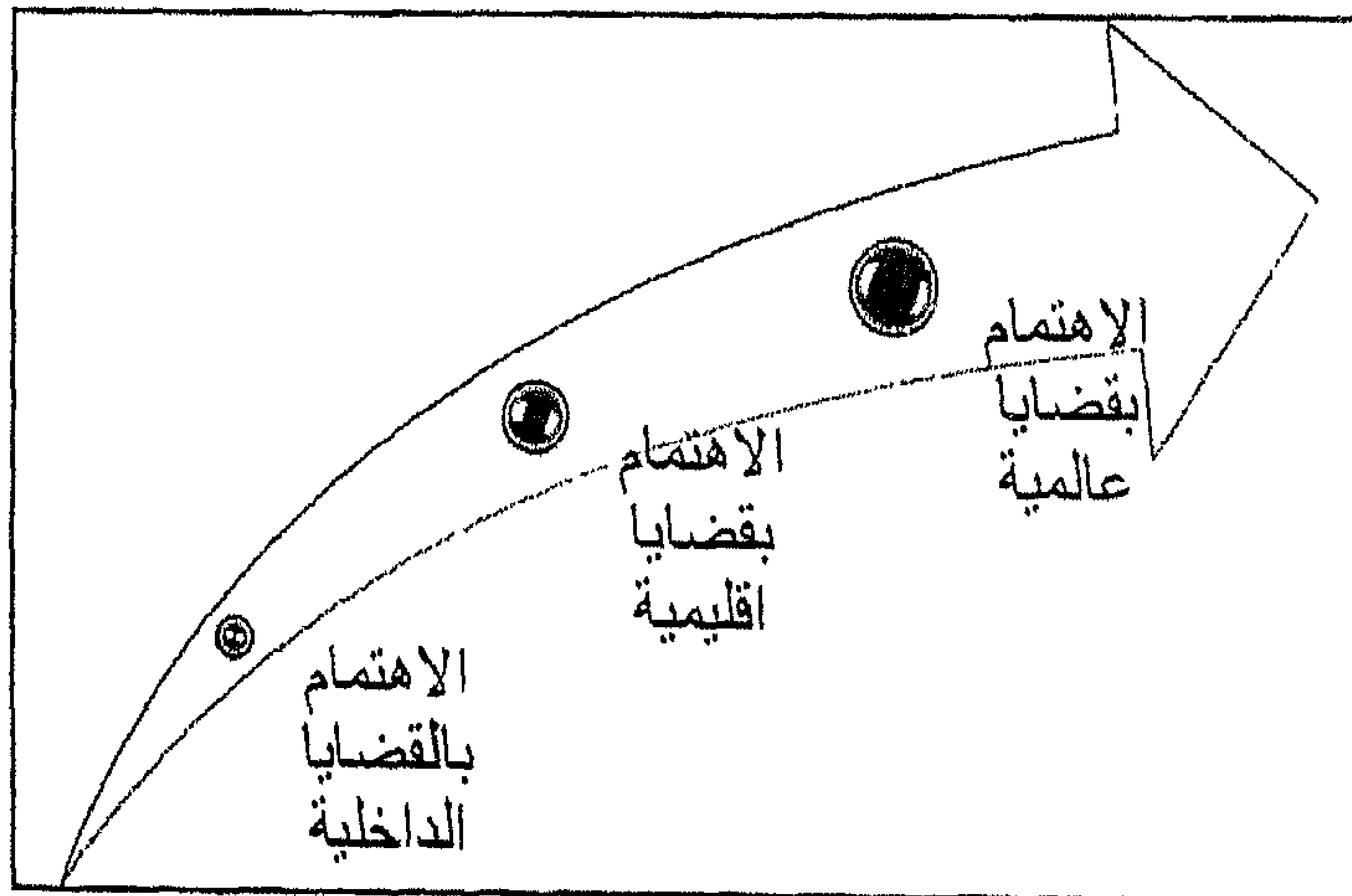
هناك بعضا من النجاحات الفردية على الصعيد الدولي، تمثل أحيانا نوعا من الدعاية السياسية تجاه دولها، فعلى سبيل المثال: ـ لا يمكن التخيل ان هناك دولة في إفريقيا جنوب الصحراء تنال مكانا متميزا للغاية في المجال الدولي من الناحية السياسي، لكن يمكن لأفراد أفذاذ أن يحققوا نجاحات ذات اثر مدوي ترفع من حجم دولهم، وقد تحقق العديد من ذلك، حيث ارتقى عدد من ذوي الأصول البسيطة إلى مستوى تولي الحكم، والخلايا الإرهابية النشطة، والنجاح العلمي والرياضي الملحوظ، وأصبح المجال مقصورا على دول فقيرة تتصدى المحافل الرياضية، ففي كل مجال دول عالية المقام وأخرى اقل شانا منها، فالعظمة شيء متغير مؤقت يقترب زواله فور الخلق الأول.

لكل دولة نواة داخلية، واذرع خارجية تتجاوز واقعها الجغرافي، يمكن ان تمدها إلى خارج مجالات قدراتها، والفلك الذي تدور فيه، انظر إلى الشكلي التالين، وتتمثل في النشاط الاقتصادي، خاصة فاعلية الإنتاج، وضخامة التصدير، وقوة العملة..، والتمثل السياسي في السفارات الأجنبية، والأنشطة الملموسة في المجتمعات الدولية، والمنظمات الإقليمية والدولية، والعلاقات الثنائية النشطة.



المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (3) مجالات العمل التوسعي لنمو الدولة في الجغرافيا السياسية .



المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (4) تدرج مجالات اهتمام الدولة في مراحل نموها الأولى وقوتها البازغة.

الحركة العكسية لانتقال البشري العام من المدن إلى الريف. هي تليه حتمية الهجرة للريف ؟ !.

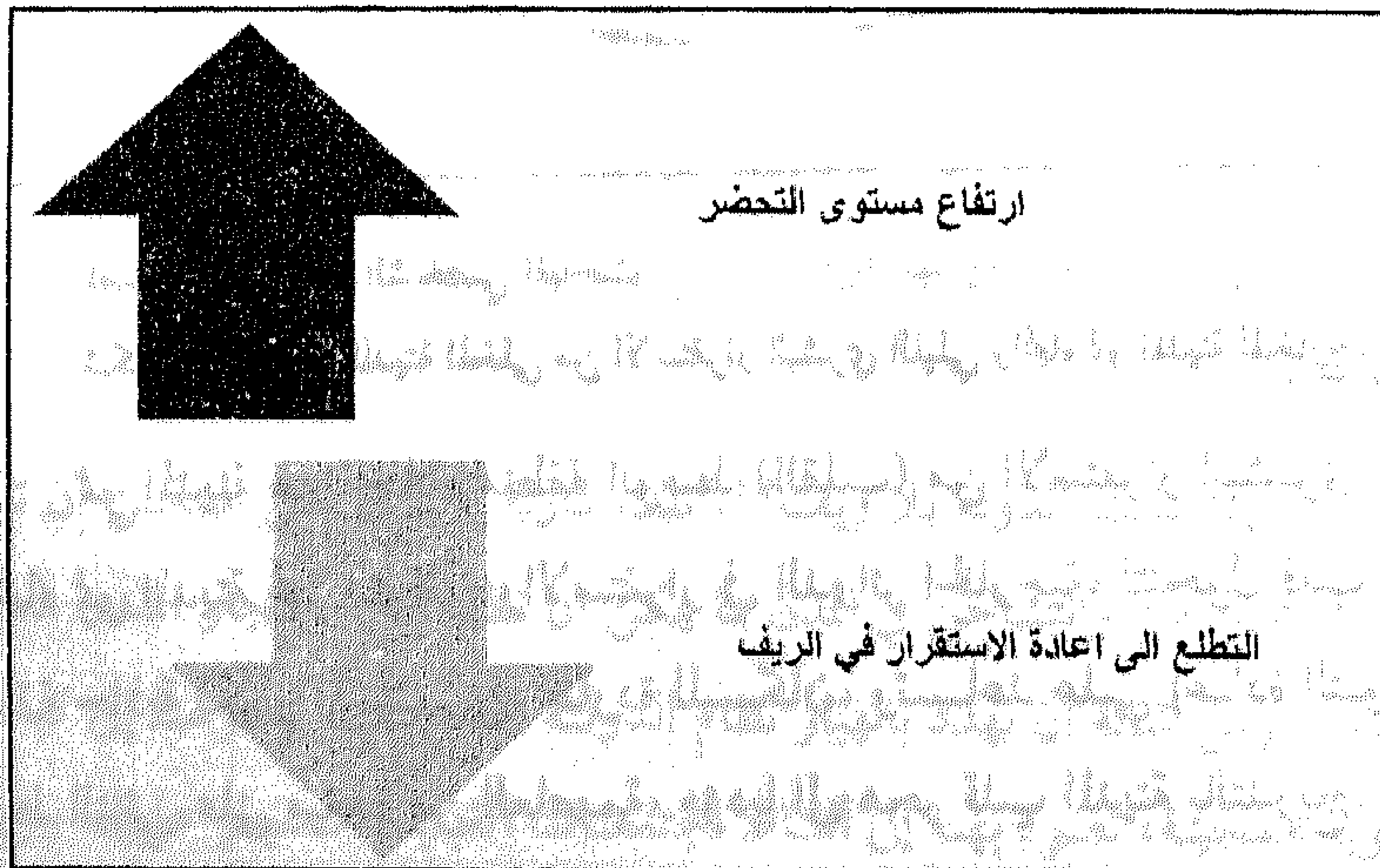
شهد العالم حركة حثيثة للبشر من الريف إلى المدن خلال القرون الماضية، انظر الى الشكلين التاليين، فهل أن الأوان للعودة إلى الريف والهروب من الاكتظاظ البشري في المدن؟!، نظرا لارتفاع أسعار الأراضي والقيمة الايجارية للمباني . . .، كما لوحظ حالات من إحلال المساحات الخضراء محل المنازل والمباني المهددة بالانهيار، ونقل الملكيات الشخصية إلى ملكيات عامة، بمعنى تحويل مركز المدينة إلى ساحات خضراء ومباني خدمية متخصصة تخدم أعداد محدودة من الناس، لتقليل الإقبال، مثل البنوك، المكتبات العامة، ومراكز الحكم، لكنها تتعمد أن تخلو من المدارس، والجامعات، والمساكن، والمستشفيات، . . . ، ومن المتوقع أن يتحول مركز المدينة، او الدائرة الصغرى المحيطة به (وقد تمتد لعشرات الكيلو متر) إلى منطقة خالية من استقرار الإنسان بكل معنى الكلمة !، انظر إلى الشكل التالي، بمعنى أنها المنطقة التي لا تسمح بإقامة الأسر بها، او قل لا تسمح بمبيت البشر على آسرة، إلا في الفنادق الفاخرة فقط، لتبدأ الحياة الفعلية وكافة الأنشطة البشرية بلا قيد أو شرط في الدوائر الكبرى المحيطة بالمدن.

طبقا للنظرية الداروينية لتطور وانقراض الكائنات على سطح الأرض، فان العضو تقل فاعليته وقوته حين يقل استعماله، مما يمهد إلى تضاؤله وانقراضه، فهل ستنقرض المدن لهذا السبب؟ !، أو تنزوي تدريجيا، فبدلا من نمو المدن واكتظاظها في المركز ونموها المستمر تجاه الأطراف، تتحول إلى نمو يخلي البشر من المنتصف ليعيد توزيعهم في الدوائر الخارجية، وهكذا، معيدا إخلاء المنطقة المكتظة وإعمار المنطقة الخارجية.



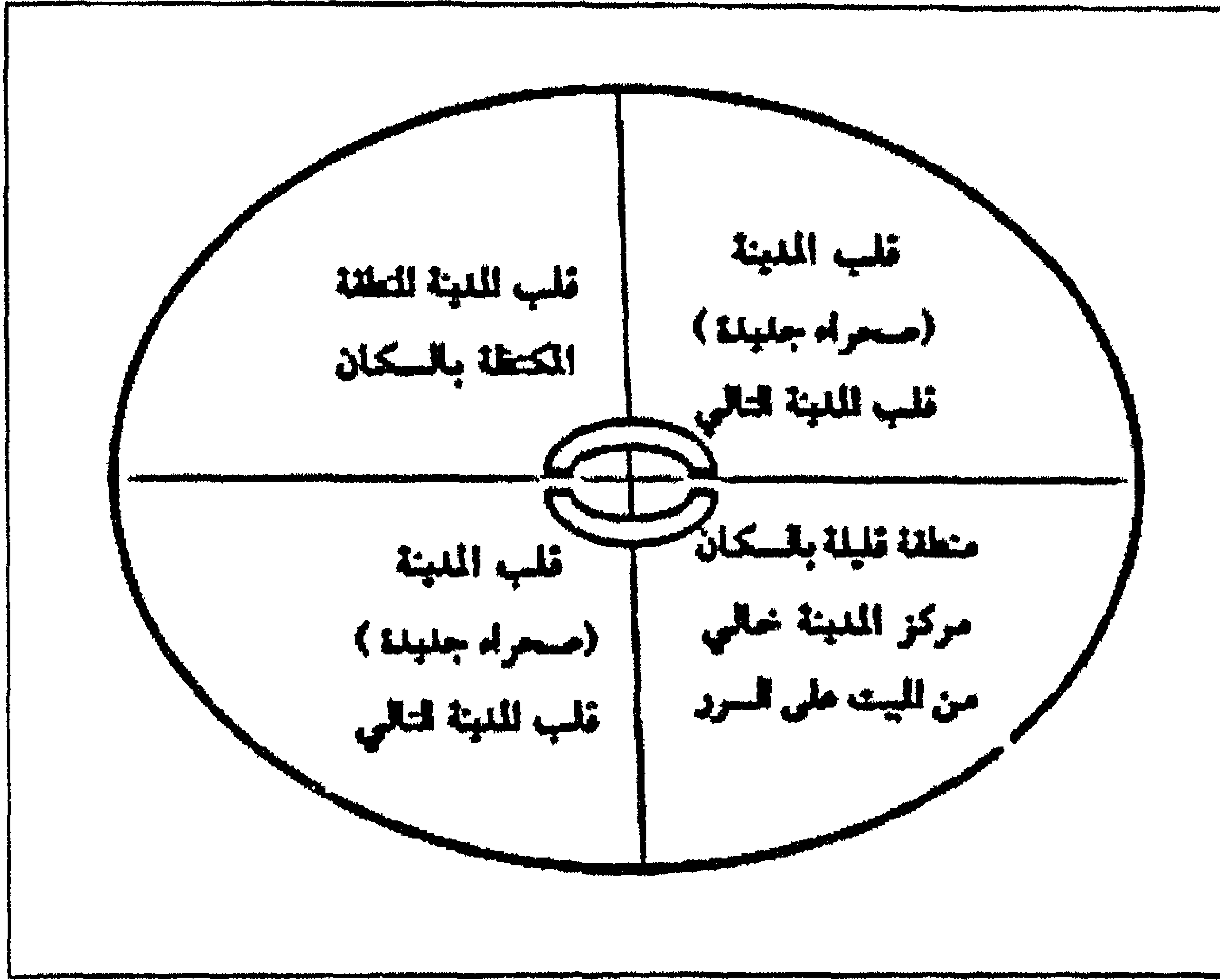
المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (5) العلاقة العكسية بين الهجـرة إلى الريف والمهجرة إلى المدن.



المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (6) العلاقة العكسية بين فكرتي ارتفاع مستوى التحضر والتطلع الى اعادة الاستقرار في الريف.



المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (7) قلب المدينة المخلى من الاستقرار البشري الليلي واتجاه نمو المدينة للخارج.

نمو المدينة عبر إخلاء منطقة الوسط (القلب) من الاستقرار البشري الليلي واتجاه نمو المدينة نحو التوطن والاستقرار في الدوائر الخارجية، لتتحول قلب المدينة لمنطقة جاذبة لكبار المستثمرين، طاردة للسكان، وتساعد على إعادة التوطن في المحيط النائي على مبعدة من العاصمة، مؤديا الى هجر قلب المدينة بالتدريج.

يعبر هذان الشكلان عن حالة تطور المدن ونموها واستقرار البشر نحو خارج مركزها، ليتحول فيما بعد إلى منطقة لا تتيح إقامة ومبيت السكان فيها ليلا بسبب وجود الأنشطة النهارية الفائقة في المكاتب والمراكز والمواقع الحكومية والاستثمارية والثقافية، لتتحول بالتدريج إلى مناطق خالية من السكان تماما ا، فيما يشبه الصحراء او البراري، وهكذا، يؤدي فقدان القدرة على "إفراز التنوع" التنوع بكل سبله وصوره، أصنافه وأوصافه، ألوانه وأوضاعه، فمن المقرر أن تنهار الحضارة البشرية حينها، وربما الأخطر من ذلك مواصلة "الحد منه" بمجرد الاتجاه للكف عنه.

متى عم التحضر . . . بدا الانهيار التام للحضارة البشرية.

يقصد بمصطلح "التحضر" (Urbanization) انتقال السكان من الريف إلى المدن [6]، وترى إحصائيات التحضر (Statistics urbanization) في العالم ما لا ينم عن ضرر بين فيه، غير شيء واحد لا ثاني له، وهو إنتاج الغذاء، وليس التكدس في المدن، حين تتحول الدولة بكاملها إلى مدينة كبيرة !، فلماذا هذا التشاؤم الذي نستشعره وحدنا في العالم؟ ! .

ما هو المتوقع بعد بلوغ درجة الكمال؟!، ما المستقبل المتوقع للدول التي بلغت نسبة التحضر 100 ٪ ؟! ، إذا سلمنا بصحة تلك التقديرات المستقبلية والإحصاءات بلا أخطاء أو مبالغة، انظر للجدول التالي، نعتقد أن "تخمة المدن" و"اكتظاظها الجائر" مرحلة ليست ختامية، بل مرحلة مبدئية تفرز حقبة كاملة من إعادة التوطن البشري والنزوح العام إلى الريف، لتبدأ مرحلة الانخفاض التدريجي من 100 ٪ إلى أدنى مستوياتها مرة أخرى، وعودتها إلى بدايتها الأولى التي تتجاوز مرحلة الصفر.

ماذا إذا كانت الدولة بلا ريف؟!، تلك كارثة أخرى من الممكن أن تدفع البشر إلى التطاحن والتشاحن في المدن بما يمكن أن نطلق عليه "انفجار المدن الطارد للسكان" ، ومن شانه ان يهدد بانهيار نظام الدولة المتماسك، ليحولها إلى كيانات فوضوية همجية، تعود بها إلى أنماط المجتمعات القبلية، تسيطر عليها رؤساء إجراميين أقوياء شديدي الدموية ! .

أيا كان الآمر بفعل الأمركة أو غير ذلك، سينتج عنها نوعا من الحتمية الإلزامية لصبغ البشر صبغة واحدة بلا أدنى فرصة لوجود فكر آخر .

جدول (3) تقديرات مستوى التحضر سنة 2015 م في العالم.

الترتيب على مستوى العالم	اسم الدولة	مستوى التحضر (٪)
1	سنغافورا	100%
2	بلجيكا	98%
3	الكويت	96.9%
= 4	قطر	95%
= 4	البحرين	95%
= 4	لوكسمبورج	95%
7	استراليا	94.8%
8	أورجواي	94.4%
9	ايسلاندا	94.3%
10	مالطة	93.7%
11	إسرائيل	93.5%
12	لبنان	92.6%
13	الإمارات	91.6%
14	جزر البهاما	91.5%
15	هولندا	91%
15	السعودية	91%
17	المملكة المتحدة	90.8%
18	ليبيا	90.3%
19	الأرجنتين	90.2%
20	فنزويلا	90%
21	ألمانيا	89.9%
22	تشيلي	89.1%
23	الجابون	88.9%
24	كوريا الجنوبية	88.2%
25	البرازيل	87.7%

الترتيب على مستوى العالم	اسم الدولة	مستوى التحضر (٪)
26	نيوزيلندا	87.5%
27	جيبوتي	86.9%
28	الدنمرك	85.7%
29	السويد	84.2%
30	عمان	82.6%
31	كندا	81.9%
32	اليابان	81.5%
33	سورينام	81.3%
33	كولومبيا	81.3%
35	اسبانيا	81.1%
35	الأردن	81.1%
37	الولايات المتحدة الأمريكية	81%
38	ترينداد وتوباجو	79.3%
39	النرويج	78.9%
40	كوبا	78.5%
41	فرنسا	78.4%
42	بيرو	77.9%
42	المكسيك	77.9%
44	البرتغال	77.5%
45	التشيك	76.4%
46	الدومينك	76%
47	قبرص	74.6%
48	روسيا	74%
49	موريشيوس	73.8%
50	كيب فرد	73.5%

الترتيب على مستوى العالم	اسم الدولة	مستوى التحضر (٪)
50	تونس	73.5%
52	ايران	73.2%
52	السلفادور	73.2%
54	دومينكان	73%
55	الكنغو الديمقراطي	72.6%
55	روسيا البيضاء	72.6%
57	سيشل	72.3%
58	تركيا	71.8%
59	ليتوانيا	71.6%
60	استونيا	71.3%
61	النمسا	71%
62	ايطاليا	70.6%
63	أوكرانيا	70.4%
64	بوليفيا	69.9%
65	أرمينيا	69.8%
66	سويسرا	69.5%
67	المجر	69.4%
67	الإكوادور	69.4%
69	بلغاريا	69.3%
70	الفلبين	69%
71	جنوب إفريقيا	67.2%
72	بولندا	66.5%
72	كوستاريكا	66.5%
74	ماليزيا	66.4%
75	الجزائر	65.2%
76	اليونان	65.1%

الترتيب على مستوى العالم	اسم الدولة	مستوى التحضر (٪)
77	بارجواي	65%
78	المغرب	64.4%
78	كرواتيا	64.4%
80	هندوراس	64.3%
81	ايرلندا	64%
82	جاميكا	63.5%
83	نيكاراجوا	62.6%
84	سلوفاكيا	62%
85	بنما	61.7%
86	جورجيا	61.4%
86	غينيا الاستوائية	61.4%
88	لاتفيا	60.4%
89	فيجي	59.9%
90	منغوليا	59.5%
91	رومانيا	59.3%
92	فنلندا	59%
93	الكاميرون	58.9%
94	بربادوس	58.4%
95	كازاخستان	58.2%
96	سوريا	57.9%
97	السنغال	57.4%
98	بوتسوانا	56%
99	نيجريا	55.5%
100	اندونيسيا	55%
101	ازربيجان	53.9%
102	بنين	53%

الترتيب على مستوى العالم	اسم الدولة	مستوى التحضر (٪)
103	ألبانيا	51.9%
104	البحر الكاريبي بليز	51.7%
105	سلوفينيا	51.6%
106	كوت دي فوار	50.9%
107	توركمانستان	49.9%
108	إفريقيا الوسطى	49.7%
109	السودان الشمالي	48.7%
110	موريشيوس	48.6%
111	موزمبيق	48.2%
112	غرينادا	47.2%
112	كينيا	47.2%
114	سيراليون	46.7%
115	جواتيمالا	46.2%
116	زيمبابوي	45.9%
117	مصر	45.8%
118	هاييتي	45.6%
119	زامبيا	45.2%
120	انجولا	44.1%
121	جويانا	44%
122		43.6%
123	انتيغوا وبربودا	43.3%
124	غينيا بيساو	43%
125	توجو	42.7%
126	جزر القمر	42.6%
127	تشاد	42.4%

الترتيب على مستوى العالم	اسم الدولة	مستوى التحضر (٪)
128	مالي	40.7%
129	غامبيا	40.5%
130	باكستان	39.5%
131	مدغشقر	39.4%
131	ناميبيا	39.4%
133	سانت كيتس ونيفيس	39.3%
134	ليسوتو	38.9%
135	أوزبكستان	38.4%
136	بورما	36.7%
137		36%
138	غينيا	35.5%
139	المالديف	35.2%
140	بنجلاديش	34.4%
141	الهند	33.5%
142	سويزرلاند	32.7%
143	فيتنام	31.6%
144	اليمن	31.2%
145	تشاد	30.9%
146	سريلانكا	29.9%
147	طاجيكستنا	29.6%
148	النيجر	29.1%
149	فانواتو	28.6%
152	اريتريا	26.2%
153	كمبوديا	26.1%
154	تايلاند	24.2%

الترتيب على مستوى العالم	اسم الدولة	مستوى التحضر (٪)
155	بوركينافاسو	23.1%
156	بابوا غينيا الجديدة	22.3%
157	إثيوبيا	22%
158	ملاوي	21.3%
159	أوغندا	20.7%
160	الصين	19.4%
161	نيبال	17.9%
162	بوروندي	14.5%

الدول الباقية غير متوافر عنها بيانات دقيقة سابقا، تصلح لوضع تقديرات مقاربة للحقيقة لحد ما.

المصدر : ـ

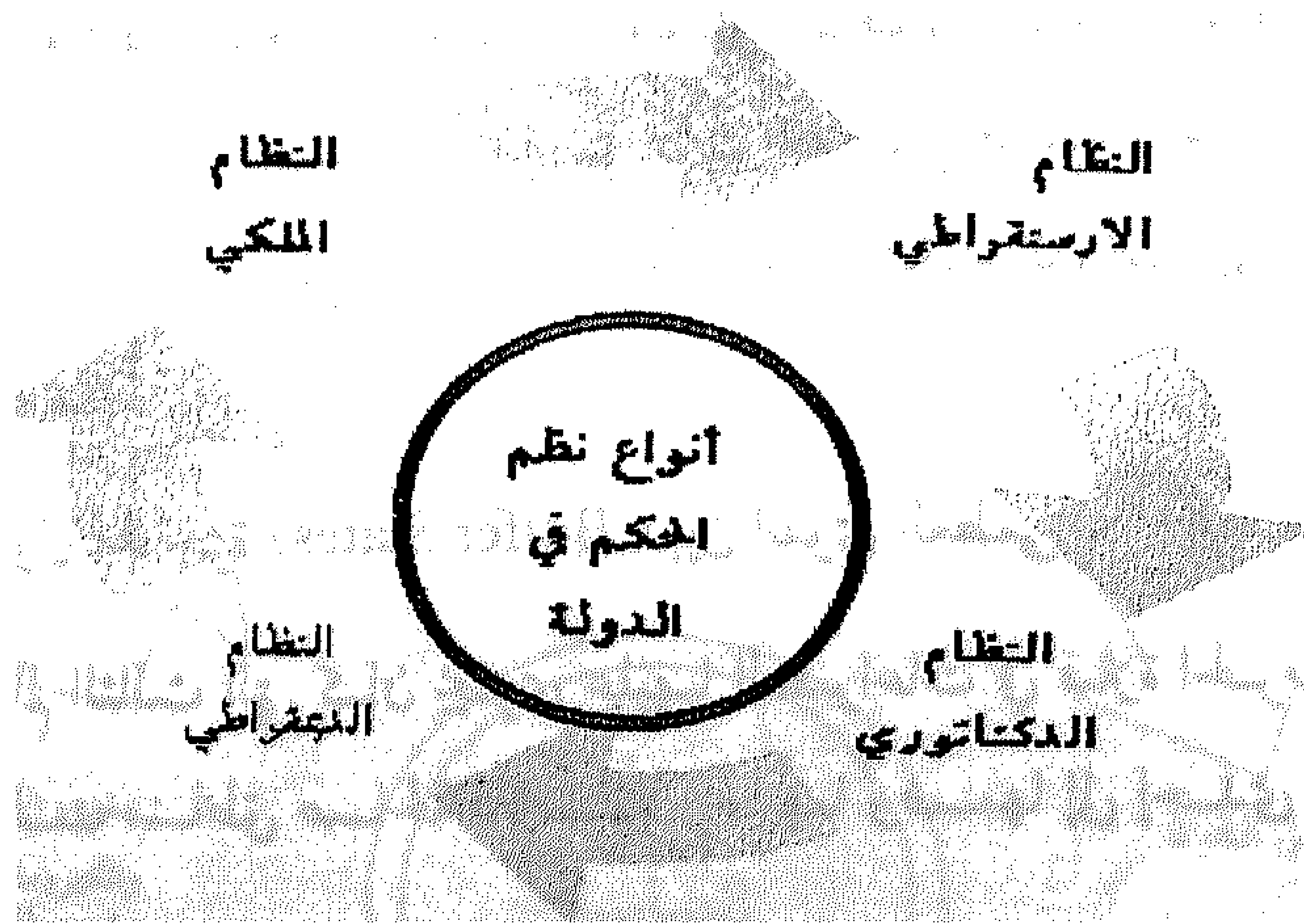
http://www.nationmaster.com/graph/peo_urb_in_201-people-urbanization-in-2015

استبق هذا الإحصاء الوضع الراهن، واعتمد على معطيات علميا طبقا لمعدلات نمو ظاهرة التحضر في العالم،

تعاقب نظم الحكم

ضرب التاريخ مثلا للتعاقب التهكمي الساخر (الذي ذكره "أفلاطون") وهو:ـ "تعاقب الملكية، فالارستقراطية، فالديمقراطية، فالدكتاتورية، فالملكية [7] "، انظر إلى الشكل التالي، وهناك فترات مفصلية، فتعم فوضى سيطرة الأمراء قبل الملكية، وتختم إما بالفساد أو الثورات وغالبا بالهزائم العسكرية، وتنتهي فترة هيمنة أصحاب الموروثات والثروات بالثورات المطالبة بالمساواة، وتسقط الديمقراطية بسيطرة الغوغاء وتضارب المصالح والآراء، حتى تحتاج البلاد إلى سياسة واحدة وآمر واحد يفرضه حاكم ظالم! .

هناك مؤشرات وعلامات استفهام كثيرة حول خطط التوسع العمراني الذي تدعو إليه حاليا المكاتب الهندسية ذات التطلعات المستقبلية حول طبيعة الأشكال المبتكرة والرسوم المطروحة لمواقع المدن البشرية الحديثة، وما تم تقديمه من خطط هندسية لإنشاء المدن الجديدة، من بينها المدن العائمة، التي تم تصويرها على هيئة سفن خاصة تسبح في البحار والخلجان، يظل بعضها عائما بلا توقف!، فأي انتماء سياسي سوف تنطوي تحته؟ !.



المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (8) دورة النظم السياسية المتعاقبة كما يراها أرسطو.

مصدر المعلومات: ـ ول ديورانت، قصة الحضارة: عصر لويس الرابع عشر، انجلترا، المجلد السادس عشر، 31/ 32، ترجمة : فؤاد اندوراس، محمد على أبو درة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص 22- 23 .

التخوم والحدود. . هل ستعود التخوم وتتغلب على الحدود . . لتنهار الدولة ؟ .

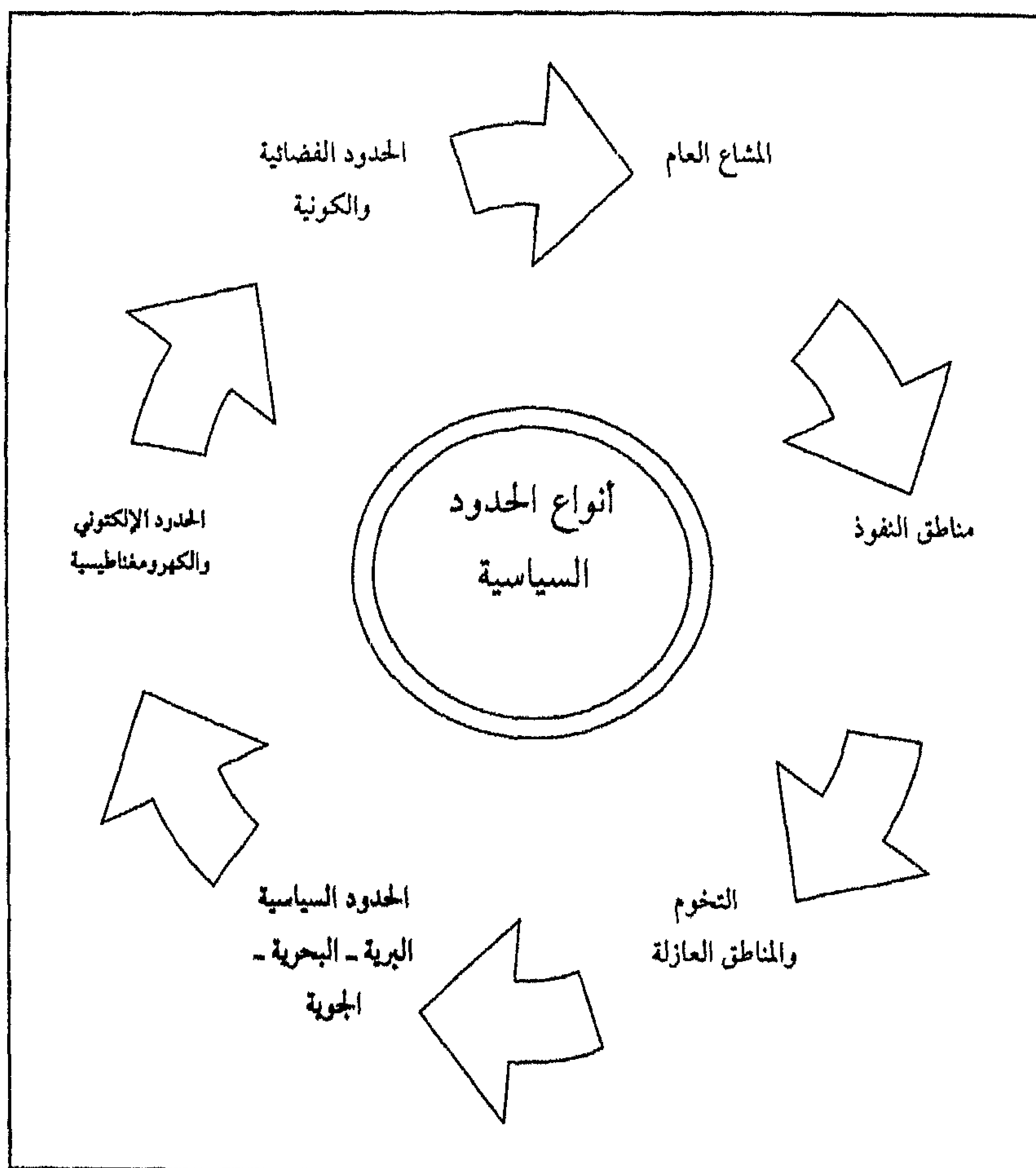
"التخوم" (Frontier) من تخم أي جاور، وهنا تعني الهامش والحاشية والطرف، ومنتهى ارض الدولة، والتخم توجيهه خارجي، وقد شاع في الماضي اصطلاح التخوم، بينما يشيع في الوقت الحاضر تعبير الحدود، وسادت التخوم

خرائط العالم منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر، بل وامتدت حتى أوائل القرن العشرين في قارة إفريقيا، وكانت تمثل التخوم مناطق جغرافيا شاسعة أحيانا، لطا طول وعرض، على عكس الحدود التي هي مجرد خط رفيع يعترف بها أو لا يعترف بها الدول المحيطة، وتضم التخوم موارد اقتصادية متنوعة، وتسكنها قطاعات بشرية مختلطة الهوية والأعراق، ينقسم ولاء السكان فيها غالبا، لكنها على الرغم من ذلك مخلخلة سكانيا، ومتأخرة اقتصاديا، ضعيفة الارتباط بالدولة الأم، وهناك نوعان من التخوم، تخوم "فصل"، وتخوم "وصل"، فتخوم الوصل سهلة التضاريس، غنية بالموارد، سهلة العبور، بينما تخوم الفصل ذات خصائص طبيعية صعبة الاستيطان، والاستغلال والعبور، وظل الجغرافيين يرون عودة التخوم السياسية إلى الظهور في عدة أوجه :ـ

- الدول الحاجزة (Buffer States) بين القوى العظمى .
- العالم الثالث التي كان يجرى عليها الصراعات في فترة الحرب الباردة، ومثلت مناطق صالحة للاستيلاء عليها وضمها إلى إحدى معسكري المتنافسين.
- التوسع في البحر والمحيط، وتحديد المياه الداخلية (الإقليمية) والمتصلة، والمحايدة، والمناطق المكتشفة في القارة القطبية المتجمدة (انتاركتيا) [8] .

أما "خط الحدود" (Boundary) فمن "حد" أي أحاط بالشيء، أحاط بالدولة، وهو ذا توجهه داخلي، وتم بناء على تفاهم قانوني بين الدول المجاورة، ويظل سلوك سكان المناطق الحدودية يتسم باليقظة والإدراك الحساس لتقلبات المواقف والأوضاع السياسية وعلاقة الدول المتجاورة مع بعضها البعض، وعلاقتهم بالدولة التي ينتمون لها جغرافيا، ولا يكترثون بأهمية الحدود السياسية كعامل فصل بين الدول، وتقنين العلاقات والمعاملات القائمة عليها، ولذا يتجاهلون قوانين العبور، ويقاومون القيود الضرورية على ممارسة أنشطة التجارة والرعي والنسب، والتقاتل، والهجرة [9] .

كان يتم تدريس "التخوم السياسية" على أنها نسقا أوليا ظهر قديما كقطاعات ومناطق شاسعة امتدت على الصحاري والغابات والمستنقعات . . . فصلت بين المناطق والمجتمعات البشرية الكبرى، وتم ترقية الحدود الإدارية في بعض المستعمرات، وأصبحت حدودا سياسية لدول متباينة المساحة، نالت استقلالها حديثا، فهل نجح هذا الاستقلال في إدارة أراضيها؟، هناك دورة لتبدل احول الحدود السياسية، انظر للشكل التالي .



المصدر : - من إعداد الباحث.

شكل (9) دورة تعاقب أنظمة الحدود السياسية التي اتخذها الإنسان عبر التاريخ، واحتمالات تغيرها في المستقبل.

عالم المستقبل . . . مليء بالدول الحبيسة.

تتزايد الدول الحبيسة في العالم، وهي تلك التي ليس لها جبهات ساحلية مطلة على بحر دولي، نموا متزايدا كإحدى عوامل التفتت السياسي للممالك والإمبراطوريات الكبيرة المساحة، في ظاهرة تعيد ما نجم عن تفتت الإمبراطورية الرومانية القديمة في أوربا إبان العصور الوسطى، متسببة في انهيار النظام القمعي لهوى الشعوب والقيادات المحلية، مخلفا فراغا سياسيا وعسكريا وإداريا، ساهم في نمو نظم إجرامية، شكلت ممالك صغيرة المساحة، اقتصرت أحيانا على نطاق محدود شمل مدينة واحدة ونطاق زراعيا بسيطة محاطة بسور، يمكن ان يعيد التاريخ نفسه، فالأقاليم الداخلية التي تبعد كثيرا عن العاصمة والمراكز الحضرية الأساسية تعاني من الإهمال الكامل، والضجر المتصاعد من أهلها، والجهر بعدم الاعتراف بسلطة الدولة على شؤونهم، وهي مؤشرات مبدئية للحث المتصاعد على الاستقلال، الذي له وجودا فعليا، يبقى له الصبغة الرسمية لاكتمال الصورة، وعندما تأخذ القضية وضعا دوليا تنشط الدولة الأم في تهدئة الأوضاع قدر الإمكان، بالترغيب تارة، وبالترهيب والقتال تارة أخرى، أيا كان ما تمارسه فقد استفحل الوضع وخرج عن السيطرة، وأصبح ما كان يقنع بكلمة طيبة لا يردعه غير السلاح حتى ينال استقلاله، او يُرغم على قبول نفس الوضع، مع شيء قليل من التعديل، ولكن لا تتعلم الدولة الدرس، فحينما تهتم بإقليم مناوئ تهمل إقليما آخر، وينشط المتمردين في إقليم جديد مجاراة لأقرانهم، كأنه سباق للانفصال، أيا من الأقاليم سوف ينال استقلاله قبل الآخر عن الدولة الأم، وتظهر هذه الحالة بكل وضوح في دولة السودان (شمال السودان، الجمهورية السودانية العربية المسلمة كما يمكن أن تسمى) والحركات الانفصالية التي شملت كل الأطراف الحدودية، وكل المحافظات النائية ، فهل الولاية الوحيدة التي لم تسعى للانفصال هي ولاية العاصمة نفسها ؟ ! . .

تضارب التبعية والانتماءات السياسية وتصادم السياسات داخل الدولية .

تعتبر ظاهرة ازدواج او تعدد الهوية الوطنية مشكلة كبرى تضرب كل بلدان العالم دون استثناء، تنتظر فقط من يوقظ مشاعرها العدائية، لتخوض الصراعات الدموية فيما بين أنفسها من جهة، وضد الدولة نفسها ، إذا تعاظم قدرها يوما بعد اليوم، فيما يمكن تبريره بالانتهازية السياسية، فمعظم الأعراق المختلفة عن النسيج الكلي للدولة، وكذلك الفئات الوطنية ذاتها، توصف بصدق على أنها لا طموح لها، لا أهداف بعيدة المدى، لا تحلم بالمجهول (الاستقلال) ويدرك العقلاء حدود قدراتهم الضعيفة، ومواطن ضعفهم الكثيرة، وثمن التمرد الباهظ، الذي سيطلق عليه فيما بعد إراقة الكثير من الدماء لقب"الثورة والثوار" .

يمكن على سبيل المثال اعتبار تنامي الحزام الشيعي في شرق دول الخليج العربي ظاهرة جديرة بالاهتمام، لما تبديه من سبل تمهد إلى استقلال جزئي يشطر المناطق الشاسعة عن الدول التابع لها، فيؤدي مثلا إلى فصل شرق المملكة السعودية عن غربها، خاصة أن الجزء الشرقي هو من أهم مناطق الثروة البترولية، ويؤدي إلى تنامي الإحساس بضياع الثراء الاقتصادي.

يصعب علميا تحديد الامتداد الحقيقي لـ"الحزام الشيعي" في الخليج العربي من الناحية الفعلية المحايدة، نظرا لصعوبة تتبع ورصد نسبة السكان الشيعة من السنة في الإحصاءات السكانية الرسمية للدولة، وميلها أحيانا إلى التقليل المتعمد من أحجامهم، حتى لا يشكل تهديدا سياسيا ودينيا للدول العربية السنية، في حين يميل الشيعة إلى تضخيمه أكثر من حجمه الحقيقي، تمهيدا للمطالبات بالحقوق السياسية شبه الانفصالية عن الدولة العربية الأم، إضافة إلى تداخل بعض الشيعة واختلاطهم بالسنة في الزواج والهجرة الموسمية وحالات تبديل اعتناق المذهب بين الشيعي والسني .

تعاني أيضا دولة فلسطين من تضارب الهوية السياسية بين قطاع غزة الخاضع لسيطرة حركة حماس الإسلامية المتشددة، والضفة الغربية التابعة لسيطرة سلطة

الإدارة الرسمية لمنظمة فتح المهادنة، التي تبنت أخيرا الحل السياسي وخوض المفاوضات المباشرة لاسترجاع ما يمكن استرجاعه من الأراضي الفلسطينية المحتلة.

أما في قارة إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى فأمرها عجب، فلا توجد دولة واحدة تفرض سيطرتها على مجمل أراضيها، بل حتى على معظم أراضيها، ولنأخذ دولة الكنغو الديمقراطية (زائير سابقا) كظاهرة دالة على سبيل المثال: ـ فمنذ منحت استقلالها من بلجيكا سنة 1960 م، وحتى الآن، أدارت عدد من الدول الأجنبية معسكرات تابعة لها لتفرض سيطرتها، إما على الكنغو الديمقراطي أو تتخذها كقواعد للانطلاق إلى القارة ككل، تشمل القائمة دول كل من : ـ الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفيتي، مصر، فرنسا، بلجيكا، الصين، فضلا عن دول شرقي إفريقيا المجاورة لها : ـ أوغندا، رواندا، بوروندي، تنزانيا، كينيا، انجولا، زامبيا، زيمبابوي، حتى انه يمكن أن نعتبر أن مسمى "الكنغو الديمقراطية" وصفا اسميا لا وجود له فيما ابعد من محيط العاصمة، حتى بُعد مائة كيلو متر فقط من الناحية الفعلية ! .

صناعة مناوئين داخل أراضي الخصم.

يساهم الردع وقمع الأجهزة الأمنية وإرهابها وما يثار حول روايات الرعب التي يرددها من لاحقتهم، عقابا على مسلكهم المناهض لخطط الحكومة في منع انفراط العقد والإخلال بالنظام والخروج عليه، وإبعاد النزعة الانفصالية عن مخيلة أجرأ للحكومات المركزية.

ستظل هناك مناطق حدودية شاسعة على مستوى العالم تنتظر من يبقظ روح الثورة الانفصالية، تتغذى على أفكار الفلاسفة ومخططي السياسات السرية، لتنفيذ مشاريع ثورية، للتفتيت والتجزئة الجغرافية، وتنشطها من الناحية الفعلية عمليات الدعم الذي تناله من الجهات الدولية المحبة لذلك النهج، لتمول الزعامات الشعبية الانتهازية، وتسلحهم، وتساند دعواهم وإعطائها ما تحتاجه من الشرعية الدولية.

وفقا للمعايير الدولية بصفة عامة لا يهم ما إذا مُنح إقليم ما في نيل استقلاله عن الدولة الأم التي كان خاضعا لها سياسيا، الأهم أحيانا هو إيجاد مناوئين للدول المعادية، أو التي تشكل تهديدا محتملا في المستقبل القريب، صناعة عدو يشغل الخصم ويستهلك مجهوده، واستيعاب حيزا كبيرا من نشاطه الدفاعي والهجومي، وفتح جبهة جديدة تقلل التركيز على إزعاج النظم الدولية المعنية، وإفساح الطريق أمام مشاريعها الخارجية، أيا كان مدها.

السياسة القهرية بانية الدول القوية!.

تنكر نظم الفكر السياسي النظرية أهمية استخدام الأعمال الإجرامية غير المشروعة لترسيخ السلام الداخلي، وأنها احد أهم المكونات في عناصر بناء الأمم والدول على مر التاريخ، الأجهزة الأمنية وحدها التي لديها هذا الحس، لكن بطريقة مبالغ فيها، ربما يظل الحالمين والعسكريين على خطأ حين يميلون إلى التقليل أو التضخيم من أهمية العمليات الأمنية التي تتم فيما وراء القانون، ويظل الإنسان في حاجة ماسة إليها على الدوام.

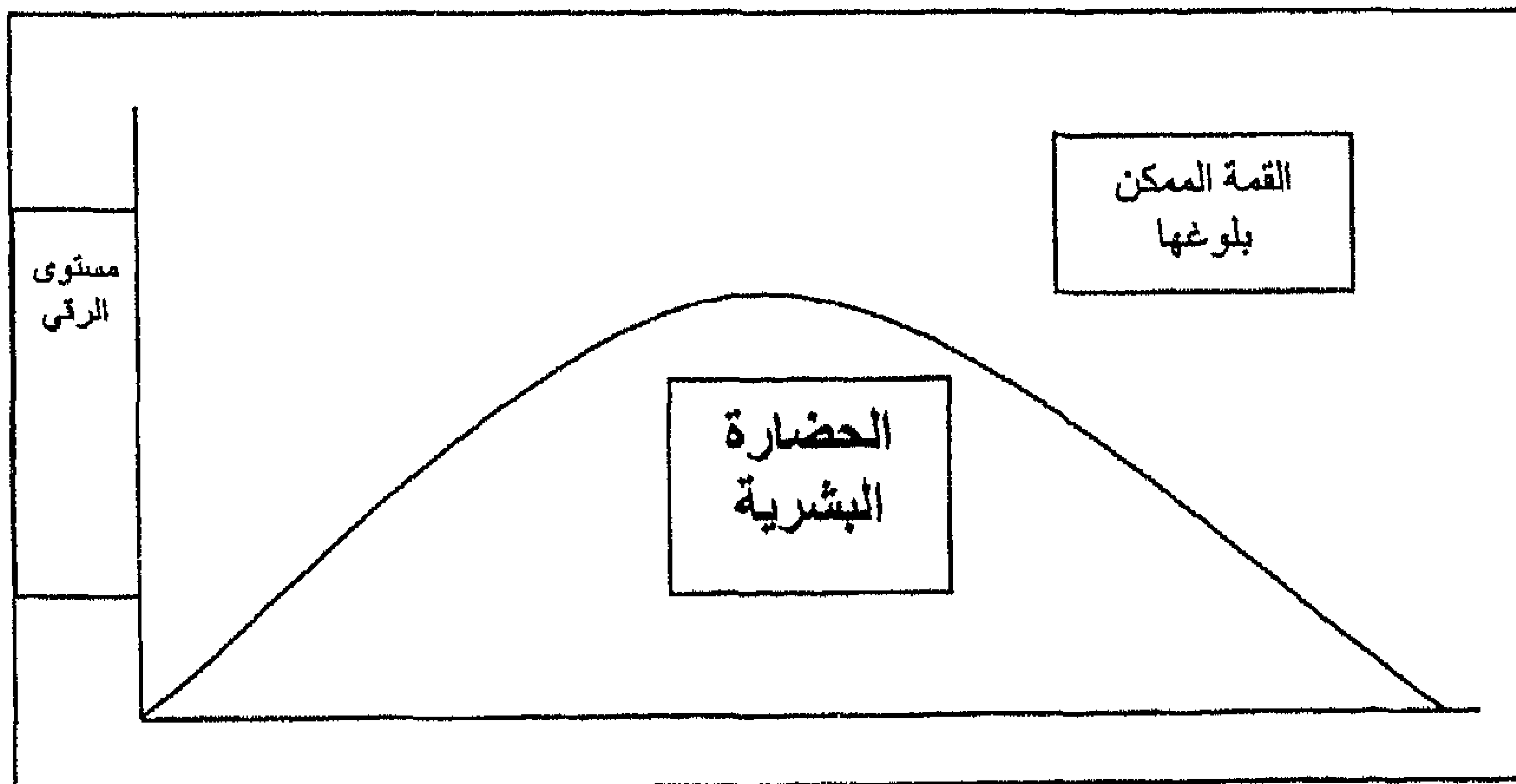
أحيانا كان من الضروري للإنسانية الرقيقة ألا تبتعد عن الوحشية بشكل كامل، وان تقترب السياسات من تطبيق بعض الممارسات القهرية حين تحتاج لحسم الفوضى وإرغام القطيع على الرجوع إلى النظام، ومن الملاحظ ان بناء الحضارات التوسعية، والإمبراطوريات ذات النهج العسكري، منحة قامت بها حكومات دموية قهرت شعبها أولا نحو تحقيق هدف قوي يهابه الجميع، في مقابل الحكومات التشاورية الديمقراطية التي تجهل مدى خطورة أن تسير الشعوب على هواها المتقلب والمتناقض أحيانا مع المصلحة العامة،وتكتفي بالمحافظة على حجم الدولة وعلاقاتها المهيبة بالدول المجاورة، ومالت شيئا فشيء نحو الفوضى الهدامة، ثم التفتت الجغرافي والسقوط النهائي.

نظريات التطور السياسي للحضارة البشرية عبر الماضي والحاضر والمستقبل.

لا يمكن دراسة السياسة بدون الحفاظ على النظرة الواقعية المتشائمة، والتخلص من تأثير ضجيج الحدث الحالي، للتأمل فيما يمكن ان يكون عليه في المستقبل، ويمكن تصنيف دور نشأة الحضارات وتعاقبها واضمحلالها وسقوطها على هذا النحو : ـ

1. **نظرية التطور السياسي محدود المدى:** ـ حيث تبدأ الممالك من المراحل الحضارية البدائية القديمة، ثم تبلغ من مراحل التطور ما يمكن ان تبلغه، فيما تسمح به الظروف والأحوال الجغرافية والسياسية والاجتماعية والسياسية والحقبة التاريخية التي تعيش ففيها، وبعد الذروة تبدأ مرحلة الانحدار التدريجي حتى الانهيار الكامل، انظر إلى الشكل التالي.

تتأثر هذه النظرية بالعقيدة الإيمانية ووجود الإله الخالق الذي يدير الكون، ويرسل ملاك الموت لينهي حياه كل ما قد وُلد، دورة الحياة المعتادة على سطح الأرض، وهي متوائمة مع الملامح الجغرافية للتضاريس الجبلية، وخط بدايتها من القاع إلى القمة ثم القاع مرة أخرى.



المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

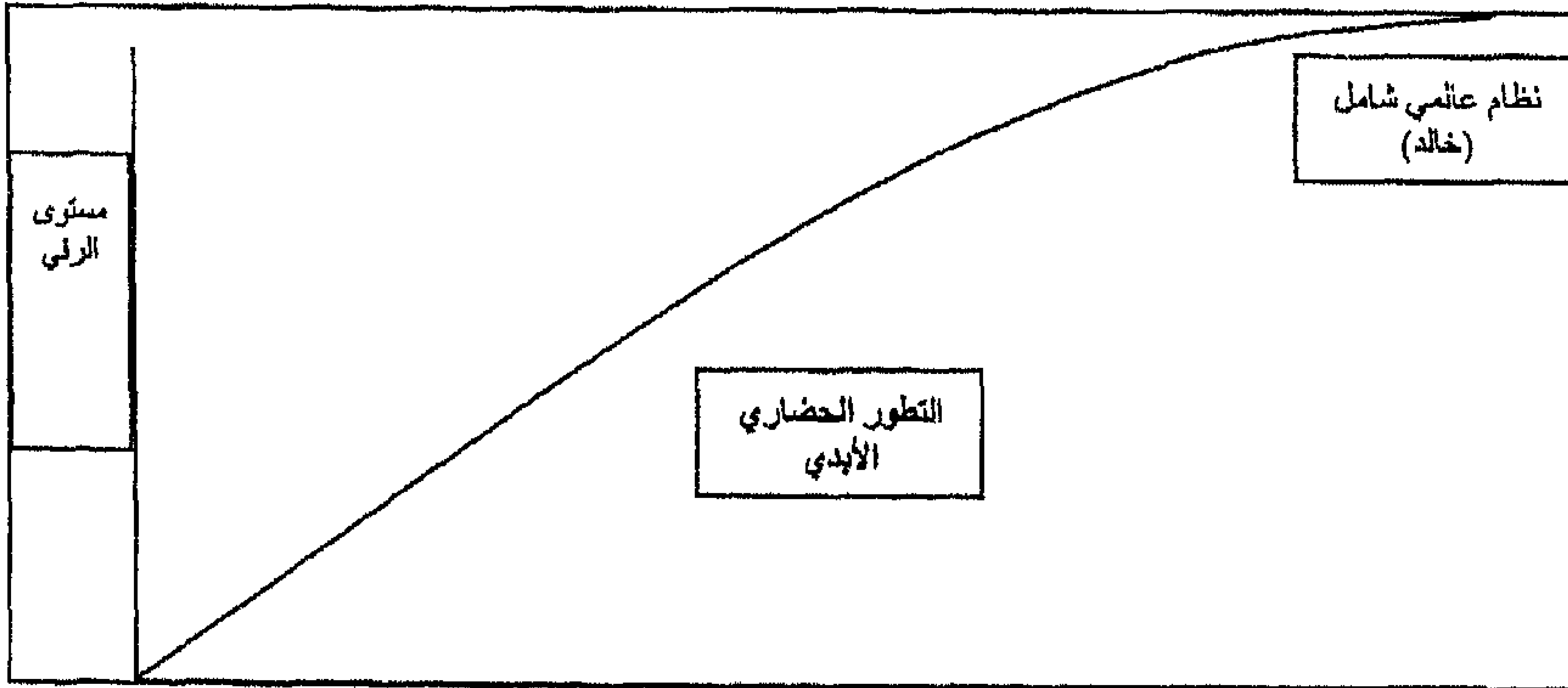
شكل (10) يوضح نظرية حلقات التطور وتعاقب القمة والقاع

(نظرية إيمانية تميل إلى الواقعية المتشائمة)

2. **نظرية التطور المتتالية إلى ما لا نهاية:** ـ تتصور أن الحياة بدأت على سطح الأرض، من خلال تطور خلية بدائية نمت من الجمادات، ثم تطورت ـ بإرادتها وقوتها الذاتية! ـ إلى أن تحولت إلى الرئيسيات (القردة العليا)، ثم قفزت إلى مرحلة البشر!، وهكذا بدأت الحضارات القديمة من العصر الحجري إلى الإمبراطوريات الكبرى، والتي يسقط إحداها لتعلو شان أخرى، أنظر للشكل التالي.

تطمح هذه النظرية إلى إنشاء نظام عالمي موحد، يحول العالم إلى دولة واحدة، لها إدارة عامة متكاملة، ودين محايد، مهادن، يحرص على جمع القيم المشتركة للمعاملات البشرية المتحضرة، لا يهتم بالغيبيات التي تعيق رقي العقل المادي ذا المنهج العلمي. . .

تأثرت هذه النظرية بغرور العلم، والثقة المفرطة في قدرته على حل كل المشكلات التي واجهت البشر عبر التاريخ، وتجد رواجا كبير بين فئات البشر في الدول المتحررة دينيا، ويقتنع بها الساسة الطموحين، وأباطرة المال، والفلاسفة متطرفي الطباع، والشباب المتحمسين، وأصحاب الحظ السعيد، ويقل الاقتناع بتلك الفكرة حينما تتعرض للكوارث الطبيعية والتحديات والنكبات البشرية غير المتوقعة.



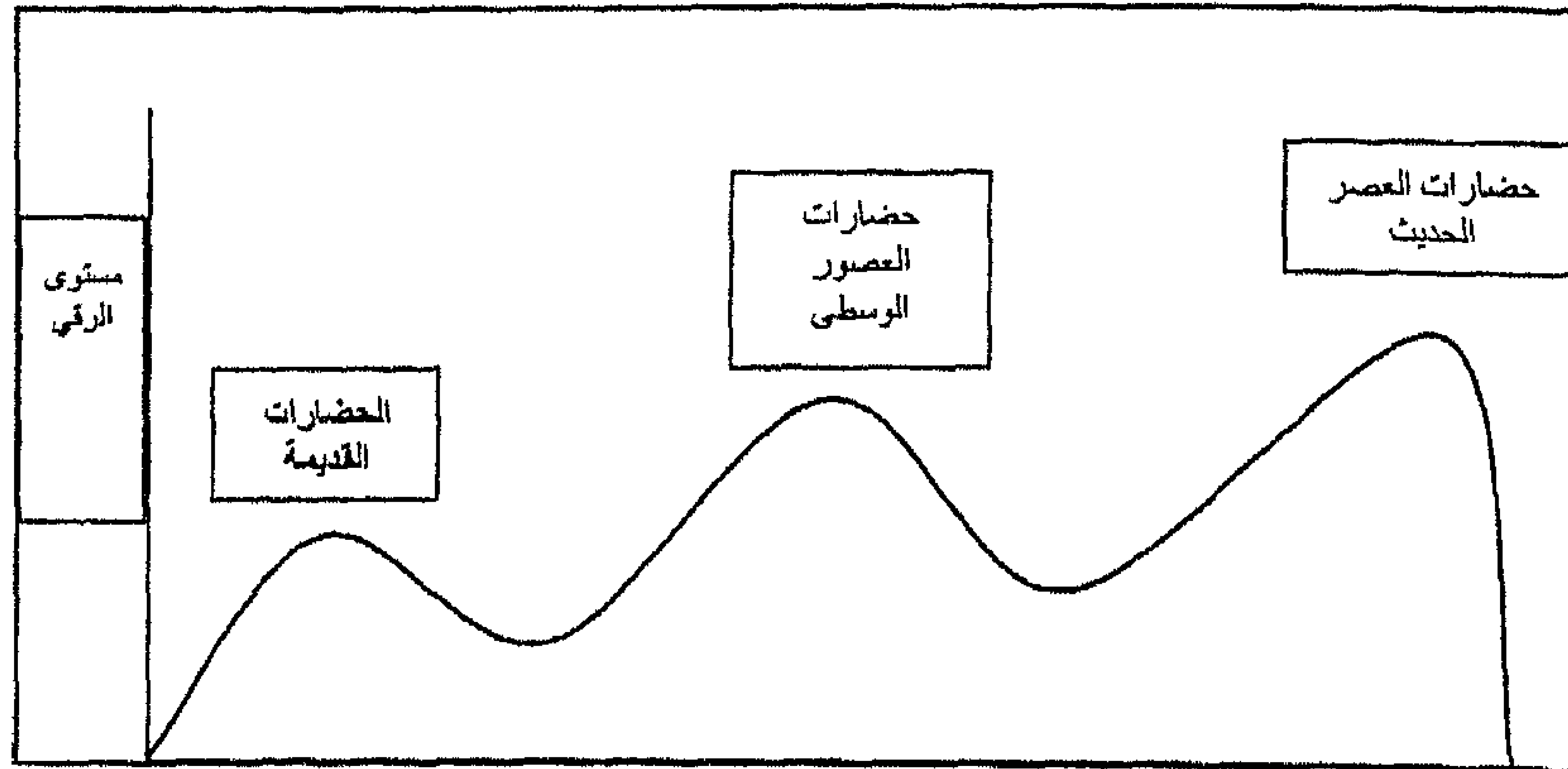
المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (11) يوضح نظرية التطور السياسي المتتالية إلى ما لا نهاية (التفاؤل السياسي)

3. **نظرية توالي القمم الحضارية**: ـ من مرحلة بداية خلق ونشأة الإنسان، وهي أشبه بتضاريس الهضاب على سطح الأرض، من قمة هضبة إلى جبل ثم جبل أعلى، ومن قاع إلى قاع، تعكس حالة من التقدم والتأخر، الوقوع والوقوف، قيام وسقوط الإنسان والحضارات، ولا يبدو نهاية لها، بل أن النهاية هي مجرد إفرازا لبداية حقبة أخرى، انظر للشكل التالي.

وطبقا لتلك النظرية يعتقد المفكرين أن نهاية حضارة البشر في عصر الكمبيوتر وثورة المعلومات والاتصالات تؤدي إلى العودة مرة أخرى للعصور البدائية، والبناء من الصفر من جديد، ولذلك يتصور المفكرين أن آلات الحرب فيما بعد عصر التكنولوجيا هي القوس والحجارة والعصي[(10)]! .

يبدو أن الطريق لا يزال مفتوحا أمام تسارع وتيرة النهضة التي ساهمت فيها البحوث وتطبيقاتها الفعالة، ولكن أيا كان الآمر فان الحقيقة المؤكدة التي يمكن أن يختلف حولها الكثيرون هي انه "**لن تتحمل الحضارات البشرية المراحل المتقدمة من النهضة العلمية والاقتصادية التي تحلم بها**"، فكلما زادت السرعة زادت الاهتزازات، وتضخم الخلل وزادت نسبة التلفيات، وترتب عليه إما التصادم نتيجة خلل الاتزان مع ضعف القدرة على السيطرة، أو التوقف السريع فجأة، بلا أمل قريب في إعادة الأوضاع إلى حالتها المستقرة قبل الاصطدام، فالعقل الإنساني، و"الوعاء المخي" و"قدرة الجهاز العضلي" والبيئة الأرضية لها حيزا محددا، قد يتسع قليلا، وقد يكتشف الإنسان مساحات شاسعة لم تستغل قط، لكنها لها حدود صارمة لا تتحمل التوسعة البشرية الجريئة، وقد ظلت الحضارات البشرية تملئ "وعاء الحضارة" طيلة آلاف السنين، فهل هذا الوعاء ليس له سعة قصوى؟ !.



المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (12) يوضح نظرية القمة والقاع المتعاقبة حتى السقوط الكامل.

يمكن أن نقرر أن كل الحضارات البشرية تتأرجح في معتقداتها بين فكرة الفناء والخلود، بين التفاؤل والتشاؤم، ففي ذروة الانتصارات تكاد تخلو الساحة من نذير، وفي فترات الانحطاط والأزمات الحادة تطرح نظريات الزوال نفسها بقوة لا ينافسها غير الخيال الرومانسي.

هناك نظريتان متعارضتان عن نشأة الحضارات البشرية عبر التاريخ ومدى استقلالها وتفردها الابتكاري، على النحو التالي: ـ

1. نظرية "**نشأة حضارة بشرية متطورة بصفة مستقلة**"، في فترة بشرية ساد فيها الجهل والخرافة والفوضى، وتلقى صدى حادا لدى غالبية علماء التاريخ والأنثربولوجيا والاجتماع . . .، وتساندها الدلالات والآثار والنتائج المبدئية عن تلك الفترة.

2. نظرية "**تزامن الحضارات**": ـ وتعتقد أن كل الابتكارات والاختراعات التي ظهرت في فترة ما هي نتاج مجهود كل البشر، وتم اكتشافها في أوقات واحدة، أو على الأقل متزامنة إلى حد ما [11]، وأحيانا تجد دلالات حقيقية تؤكد على مبادئها، غير أن هناك عوائق وشواهد على تخلف العديد من الشعوب وضعف قدراتها بشكل عام، أو تفوقها في أمور قليلة للغاية مقابل

الحضارات المتطورة، فعلى سبيل المثال: ـ لم يثبت اختراع "المحراث" لحضارات الهنود الحمر في قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية حتى حقبة الكشوف الأوربية.

طبيعة وسمات الأنظمة المختلفة داخل الدولة.

يتكون في دول العالم الثالث ظاهرة غريبة في الأوضاع السياسية، وهي تعدد النظم السياسية داخل نظام الدولة الرسمي، أهمها هي: ـ

نظام الدولة الرسمي: ـ وهو عادة شكلا نظريا ذا تطبيق حقيقي ينحصر في العاصمة وهوامشها ومدنها الرئيسية، وكلما ابتعدنا عن المراكز الحضرية ضعف نظام الدولة المركزي، ونشأت نظم محلية غير رسمية، ترعى شؤونها بنفسها في معزل عن الدولة الأم.

تعتمد النظم السياسية على قطاعا كبيرا من الموظفين الرسميين، يعملون في وظائف مشابهة لدور الزعامات القروية، موظفون شغلوا مناصبهم بقرارات مؤقتة، ليس لهم ثقلا إقليميا في بيئتهم، لشغلهم للتو دورا لم يعهده غالبيتهم.

نظام القوى الداخلية: ـ يظل موجودا طوال الوقت، وربما كان الأكثر عمرا والأقوى رسوخا عن نظام الدولة نفسها، ويدخل هذا النظام في طاعة الدولة طوعا وكرها وتحت سيادتها شبه المطلقة حينما كانت القوة إلى جانب الدولة المركزية، ويعتبر جزءا مكملا للجهاز الإداري عند الحاجة بشكل غير رسمي، أما في حالات ضعف الدولة المؤقت او قرب انهيارها النهائي يستقلون تماما عنها بشكل غير رسمي، ويشكلون نظاما آخر يغلب عليه الطابع الإجرامي.

وتتكون النظم المحلية من القيادات الشعبية التاريخية، ممن لهم سمعة حسنة متوارثة سبق وكان لهم دورا نشطا في حياتها، وغالبا ما كان نتيجة نشاطات دينية أو انجازات عسكرية محسوسة، في مزيج بين القوى العسكرية والاقتصادية والدينية في الإقليم، وينحسر دورهم بالتدريج إذا لم يعزز وجودهم القوى الاقتصادية

الداعمة للتفاخر، التي لديها فائضا كبيرا للمال، يمكن أن يخضع السكان ويستميل أعداد كبيرة منهم يعزز مكانة القيادات المحلية الطموحة.

القوى الخارجية المتواجدة في المنطقة : -

هي القوى السياسية المتمثلة في أنشطة الدول العظمى في العديد من دول العالم، وهي تتحاور مع نظام الدولة الرسمي والمحلي على حد سواء، وبطرق تتحاشى أحيانا إحراج القوى الرسمية والمحلية، طالما تحقق مصالحها في الظروف الطبيعية.

وبينما يعد حوارها وتفاهماتها وتعاونها مع النظام الرسمي شيئا طبيعيا، يعتبر زيادة التعاون مع النظم المحلية جنوحا نحو معاداة الدولة، ويسعى إلى إثارة المشكلات والاضطرابات التي تصل في ذروتها لحالات التمرد والعصيان المسلح، أو الحرب الأهلية الساعية إلى إسقاط الحكومة والإحلال محلها.

يعاب على النظم الخارجية ميلها إلى التقارب من حقبة إلى أخرى، فتارة نجدها تدعم القوى المحلية وتتحالف معها في السر والعلن، من اجل تحقيق هدف مشترك على نحو مؤقت، وتارة أخرى تعاديها وتشن حربا سافرة ضدها، وتسعى بكل السبل إلى تقوية النظام المركزي للحكومة، وإعداد جيلا جديدا من القوى الشعبية المتحالفة معها، حالة تعكسها تغير المصالح الخارجية، ومبررات الوصولية والانتهازية الداخلية، كل يبحث عن مصلحته على طريقته الخاصة.

قصور سيطرة الدولة على أراضيها

هناك نواحي متعددة تتسبب في قصور سيطرة الدولة وبسط إرادتها على مجمل أراضيها، من بينها: -

- العوائق والتحديات الجغرافية، وهي أول العقبات غير الشرعية التي أضعفت سلطة الممالك القديمة، ولا زالت تقوم بالدور نفسه حتى الآن.
- اتساع المساحة الجغرافية، خاصة مع تباين التضاريس والمناخ والنبات الطبيعي.

• ضخامة حجم السكان، وكلما زاد أعداد السكان زادت الأعباء الإدارية، وظهر العجز في السيطرة على المجاميع البشرية المتنوعة، وضعف فاعلية تماسكهم وتنظيمهم للعمل بشكل متكامل ومتناغم.

• توتر وتنافر القبائل والأقليات والمجموعات البشرية المختلفة المتشاحنة.

قيود على الدولة من زيادة حرية الفرد، . . . هل للديمقراطية من نهاية ؟

سيطرت مجموعة منتقاة على أسس اقتصادية وإدارية على مراكز الحكم في العالم الدكتاتوري والديمقراطي على حد سواء، وتبدو الحرية السياسية أكثر وضوحا في النظم الديمقراطية، وتبدو جليا شعائر اختيار رؤسائها، لكنها قلما تنجح في توجيههم إلى مشيئتها عقب الوصول إلى الحكم.

وسعت دائرة النخبة المتحكمة في الأمور السياسية، لتشمل فئات الشعب ككل، سمحت بمشاركة كافة شتات المجتمع، باستثناء الأطفال، سمحت بمشاركتهم في عمليات الاختيار في أيام محددة في الأجل، في مواسم الانتخابات كل بضعة سنوات، وخلال الاستفتاءات النادرة على أشياء لا تتيح مدى الاختيار الموسع، تنتظر منهم إحدى الأمرين، إما نعم، وإما لا، فهل حقا يحكم الفرد نفسه بنفسه؟، هل النظم الحرة الليبرالية المتطرفة أعطت للفرد كل شيء حلم به حين خضع للدولة؟.

ربما نال الفرد حرية اكبر، على حساب حرية الإرادة للدولة، واتخاذ القرارات القاسية على مواطنيها، في سبيل الحفاظ على كيانها الكلي، وكان من الصعب أن تسير الدولة ضد التيار الإعلامي والمزاج العام للمجتمع، بل يكاد من المستحيل سياسيا عليها تحدي القانون في سبيل مساعي مخلصة لعلاج العديد من مشكلاتها.

الطبيعة الشريرة للنفس البشرية . . الجهل يغالب البشر في النهاية.

هناك أمثلة لا حصر لها لضعف قدرات الدولة السياسية والقانونية في مواجهة ابسط التحديات الداخلية التي يسهل حلها في النظم الدكتاتورية، من بينها:ـ عجز الولايات المتحدة الأمريكية على القضاء على مافيا الجريمة المنظمة، ووقعت روسيا في نفس الخطأ عقب حقبة القمع السوفيتي، واستفحال نمو أعداد رجال المافيا وضراوة ووقاحة أعمالها التي تغلغلت في كافة أمورها العليا، وقصور بريطانيا عن فرض الاستقرار أثناء المصادمات الشعبية سنة 2011 م.

ذكر (فريدريك الثاني) أن : ـ "الدولة هي الكائن الأعلى الذي يُبذل في سبيله نفسه وغيره من افرد شعبه، وتغلب مطالب الدولة عنده على ناموس (قانون وضوابط) الفضيلة الفردية، فالوصايا العشر تتوقف عند أبواب المُلك" . . .، وستظل الارستقراطية موجودة دائما بين كل الشعوب. . . ، إننا محكومون بالعواطف دائما، ونادرا جدا بالعقل، فلنعترف بهذه الحقيقة، وهي أن الفلسفة والفنون والآداب لا تنتشر إلا بين قلة من الناس، أما الجماهير العريضة فهي كما جبلتها الطبيعة، حيوانات شريرة حاقدة ! . . . ، هذا الجنس الملعون الحالم بالخير والسلام. "، وقد تنبأ بفوز الخرافة على العقل في نهاية المطاف، ويعتقد ان طاعة الشعوب قد تطورت بدافع الخوف من القوة، إلى الطاعة بدافع الاعتياد على القانون، وهي قوة اختزلت إلى قواعد ملزمة للجميع[12] .

ونظر (فردريك الثاني) إلى دولته البوليسية ذات التوجيه الإجباري، بأنه كان أمرا حتميا لتجنب الفوضى، ودفع ثمنه بفقدانه حب شعبه له، وقد عزى نفسه بمبررات أخلاقيات الضرورة، فيما عرف بالاستبداد المستنير، ، وقال "**إن البشر يتحركون إذا حثتهم على الحركة، ويقفون إذا كففته عن دفعهم، والناس مقلون في القراءة، زاهدون في أن يتعلموا، كيف يمكنهم التصرف في أي شيء في ظروف مختلفة لم يألفوها قط**"[13]

إن الطبيعة الشريرة للنفس البشرية أمرا يرجع إلى العصور القديم، أو طبيعتها التي جبلها الله عليها منذ خلقها، ويولد كل إنسان منا مزودا بأحاسيس واستعدادات الخير والشر معا، وندرك أن قلائل من البشر سليمي الفطرة مائلون للسلم والمسالمة مع الآخرين، لكنهم أقلية رومانسية على كل حال، ولن يتوقف الجشع البشري ونهمه ما دام لم يردها نظاما استبداديا قويا، يحتاج القطيع إلى قائد بارع يوجهه نحو النافع، وحثهم بكل قوة نحو تحقيق هدف عام، لن يحققوه فرادى او جماعة فوضوية.

أكدت الوقائع التاريخية انه لا يجمع الناس إلا قهرا، يتنازلون عن بعض حرياتهم وحقوقهم، مقابل جزء هام من احتياجاتهم الأساسية، مع الحفاظ على ما تيسر من وجود الحرية والعدالة والكرامة والعبادة والطموح واللهو، مقابل الحد من حرية الآخرين المتطرفة الضارة بالجميع، وقد بقى الاستبداد من غير استنارة طوال فترات طويلة في التاريخ، غير أن الصروح الحضارية العملاقة اعتمدت على إرادة رجل واحد، انهارت أيضا برحيله.

هناك أراء تشاؤمية في عالم السياسة، أثبتت جدارتها عبر التاريخ، من بينها :ـ فلاسفة ومفكرين وسياسيين، من أمثال "ديو كاسيوس" (Dio Cassius) حيث ذكر:ـ "أنه لا يكفي من ينشدون السلام ان يمتنعوا عن أذى الناس، بل انه كلما اشتدت رغبة الناس في السلم اشتد تعرضه للأذى، وان الرغبة في الهدوء لا تحمي الإنسان من الأذى، إلا إذا صحبها الاستعداد للحرب، وسرعان ما سيتحول الابتهاج بالبعد عن المشاكل الخارجية إلى القضاء على الذين يسرفون في حماسهم لهذا البعد (14).

النظريات والأسباب المفسرة لحطام الحضارات القديمة . . . هل يمكن تكرارها مرة أخرى ؟ .

هناك نظريات متعددة حول أسباب سقوط الإمبراطوريات الكبرى عبر التاريخ، من بينها المضاعفات البيئية والعوامل سياسية والاجتماعية والاقتصادية، حاولت أن ترصدها في غياب النظرة التكاملية لمسيرة نمو الحضارات القديمة والحديثة والمستقبلية عبر التاريخ الإنساني العام،

نهاية الحضارات والوجود البشري من منظور ديني.

ظل البشر يتوقعون مرارا نهايات مأساوية لسكان الأرض عبر التاريخ، ويندر أن يخلو قرنا أو حقبة زمنية إلا وتم توقع نهاية لها تصل بشكل مسرحي، من قمة التفاؤل أو التشاؤم المرضي إلى ذروة النهاية، خاصة على أيدي الكوارث الطبيعية وفواجع الإحباط البشرية في هزائمها العسكرية وعوزها وقحطها. . . ، ويطول مجال رصد أخطاء تحديد يوما افتراضيا لنهاية البشرية، لا احد يمل من إعادة احتسابه وإنذار الجميع بالمأساة، خاصة في الديانات غير السماوية، وافتعال كل غريب لنيل مكانة "مرجعية مقدسة" ، أيا كان نوعية المعتقدات الدينية وانتمائها، فهي تتوقع "النهاية" بلا أدنى شك على الإطلاق.

نظرا للتعدد الضخم لأوجه وصور وتعبيرات وروايات ونظريات توقع "نهاية البشر" وما بها من تشابه وتطابق وتناقض وهزلية ولا معقولية، سوف يتم الاكتفاء بأقل قدر من الإشارات عن بعض العقائد التشاؤمية والأفكار الدينية، كالآتي : ـ

الديانات الوثنية: ـ تتأثر بالظروف والأوضاع الجغرافية والاقتصادية في المقام الأول، فترى المجتمعات الزراعية أن "الهلاك" يجسده الجفاف، ويشغل انتشار القوارض والآفات الزراعية حيزا جوهريا في مقدمات نهاية البشر، يوازيها نقص الفرائس في مجتمعات الصيد البري، والأسماك لدى صيادين البحر، يظهر ذلك بوضوح من خلال أساطيرهم، وعاداتهم، وطقوسهم، سيظل هاجس الأمن الغذائي تحرك مخيلة الإنسان الساذج والراقي على الدوام.

الديانات السماوية.

اليهودية: ـ انعكست معاناة اليهود في سابق عهدهم منذ السبي البابلي والاجتياح الروماني على عقيدة انتظار "مسيح عسكري" قائد حربي مرسل من الله للانتقام من أعدائهم، يؤمن الحاخامات بأن الساعة ستأتي عندما يعلن المسيح اليهودي المنتظر عن نفسه من تل أبيب ويتقدم لقيادة شعب إسرائيل ومن يتبعه من اليهود لغزو العالم والانتقام من جميع أعداء اليهود من المسلمين والمسيحيين على حد سواء، ويحقق لليهود أحلامهم وطموحاتهم في السيطرة على العالم، ثم يأتي زلزال عنيف يضرب الكرة الأرضية، ثم تقوم الساعة ويبعث الله الموتى عام 2035م (15)

توضح العقيدة اليهودية عن نهاية العالم ظاهرة انتقام فئة مضطهدة على الكفار والمتنعمين والمتنمرين، ليؤجج سعير حرب إقليمية تتحول إلى عالمية شديدة الدموية، لترسم خاتمة مسرحية، ويسدل الستار، وتقوم الساعة.

الإسلام ونظرته لعلامات يوم القيامة.

يزخر الإسلام بالتحذيرات المتكررة للبشر من مصير السوء، قال الله عز وجل : ـ " ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ " (16) ، وقد وردت تأكيدات عديدة عن علامات يوم القيامة، شابهها الغموض حول ميعادها، واحتاجت دوما إلى إعادة تفسير دقة مقدماتها ، من بينها على سبيل المثال : ـ قال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في احد أحاديثه مستهلا مقدمات يوم القيامة "توشك ان تتداعى عليكم (المسلمين) الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعة (إناء الطعام)، قالوا : امن قلة يا رسول الله ؟، قال : ـ لا بل انتم كثرة كغثاء السيل، أصابكم الوهن، قالوا : ـ وما هو الوهن، قال: ـ حب الدنيا وكراهة الموت.

هل يمكن أن نعي معنى "يتداعى عليكم" من ناحية الجغرافيا السياسية، حالة من الموقع المتوسط للوجود العربي والإسلامي بالنسبة لخريطة العالم، فيما يشبه وصف انهيارا مشابها لانهيار الصخور على المنازل، وبالفعل يعتلي الغرب أعلى مناسيب سطح الأرض في بيئاتهم المختلفة؟، وهل يقصد بـ" الوهن" هو اتساع الفارق الحضاري الكبير لصالح الدول غير العربية والإسلامية المتنافسة معها؟، كما يوحي "غثاء السيل" بكل معاني التفرق، لكنه يعني أيضا كذلك التفتت والتشرذم السياسي لدول عربية وإسلامية في كيانات كبيرة العدد.

"يوم الحساب" في فكر الحياة المعاصرة : -

صدرت عدد من التوقعات عن الميعاد الدقيق ليوم الحساب منذ مستهل القرن الحادي والعشرين، بواقع حوالي توقعا دوريا كل عام عن "يوم القيامة"، ويلاحظ انه يكتب لإحدى تلك النبوءات حظا وافرا وصخبا إعلاميا كل خمس سنوات، وتتأثر جميعها بمخاوف التهديد العسكري والاقتصادي على مستويات فاقت ما لدى المجتمعات الوثنية الساذجة حجما وقلقا واكتأبا، من بينها على سبيل المثال: - توقع المبرمجون انهيار الاقتصاد العالمي نهاية العالم في سنة 2000 م، بسبب أن أجهزة الحاسوب القديمة كانت مبرمجة على استيعاب خانتين في حقل السنة المالية، ثم صدرت توقعات عن نهاية العالم في سنة 2006 لأنه كما يعتقد البعض ان فيه رقم الشيطان، وهو تاريخ 06/ 06/ 2006م، ويتوقعون الآن نهاية العالم في سنة 2012 م! ، ويُمدد هذا التاريخ إلى 2013م، حتى سنة 2015 م [17] ، وسيسلط الضوء على تواريخ أخرى لتغذية فضول البشر لمعرفة الغيب.

الفصل الثاني

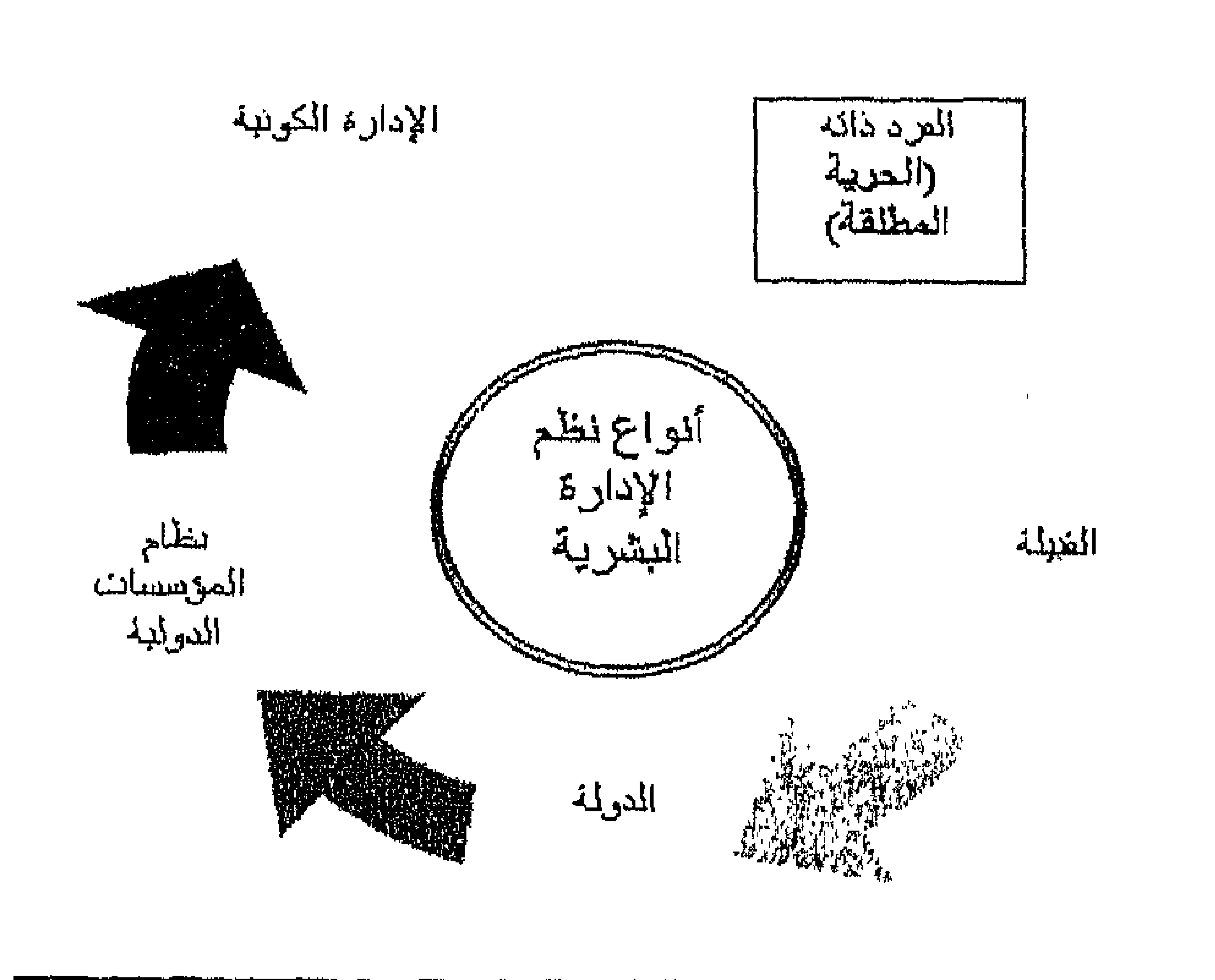
أحجام وأشكال ومسميات دول العالم في المستقبل

الفصل الثاني

أحجام وأشكال ومسميات دول العالم في المستقبل

ماذا لدى النظام الدولي للإنسان في المستقبل ؟

خضع الإنسان للأعراف والقوانين البشرية والإلهية بشكل طوعي أو قهري، من اجل تحقيق الأمن ورعاية النذر الممكن من مصالحة الاجتماعية والاقتصادية، ومع أن ذلك لم يحقق كل ما يصبوا إليه الإنسان، إلا انه قنع بما ألقي له، أو أتيح له، حتى في مرحلة الثورات والانقلابات والأزمات الحادة، فما كان من صرخته إلا عبارة عن "مطالبات بالمزيد من المنافع الذاتية"، ولم تكن في الغالب حركة هدامة لذلك النظام، لسبب بسيط، هو انه لم يظهر أن هناك بديلا عن ذلك النظام غير الفوضى الهدامة، أو المطالبة بإيجاد نظام جديد عم سبق، فلم لا يسعى الإنسان إلى الاستغناء عن النظام العام، ببناء نظام فردي خاص يشمل كل من سعى إلى الاستقلال الكامل، وحقق نظام الحرية المطلقة الخاصة به؟!، وهناك مراحل من النظم الإدارية للبشر ودورة تقلبها وتغيرها، انظر للشكل التالي.



المصدر : ـ من إعداد الباحث.

شكل (13) دورة توالي النظم الإدارية الخاضع له الإنسان منذ وجوده حتى الآن وامتدادها في المستقبل

بدأت النظم البشرية من النظام الفردي البسيط، ثم القبلي، ثم الخضوع لنظام الدولة، ثم الإذعان للنظام العالمي، والمؤسسات الدولية متعددة الجنسيات، تمهيدا لمرحلة سيطرة الشركات والمؤسسات العابرة للفضاء، وتعاود مرة أخرى إلى سيطرة الإنسان الذاتية على نفسه بشكل يبدو عقلانيا مستقلا عن غيره من الإدارات البشرية الأخذة في الاضمحلال من حوله.

خصائص الموقع الجديد

التحرر من"الحتمية المكانية" (اسر الموقع الجغرافي)

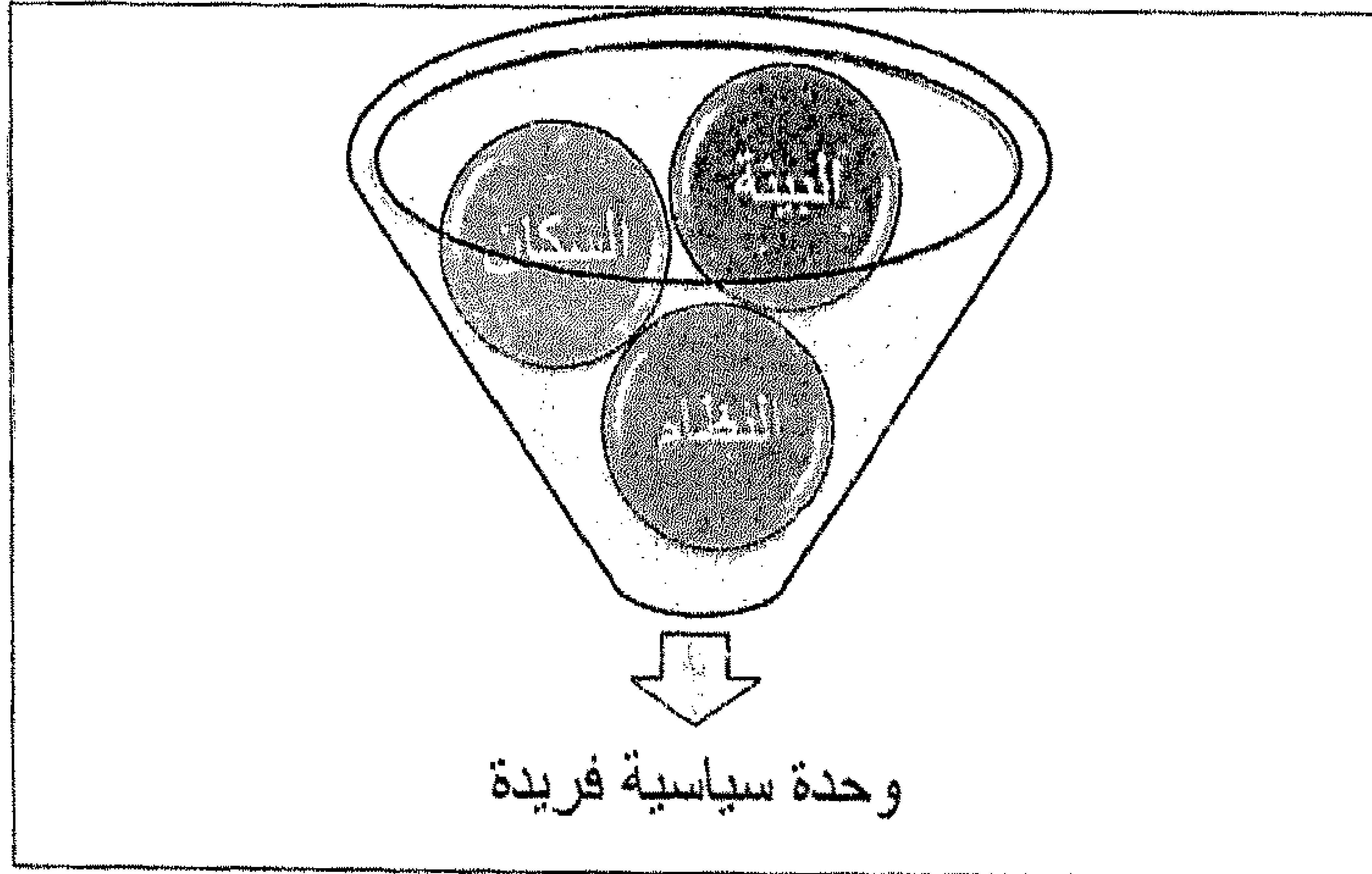
ربما تؤثر بعض الحرف او الأوضاع الخاصة على أن يكون للدولة أكثر من مقر رئيسي دائم، في وضع أشبه بحركة الرعاة الموسمية، مع أن السبب الذي سيدفعها إلى ذلك ليس له علاقة بحرفة الرعي، وكذلك كل الآثار المترتبة على تأثيرات المناخ الموسمية في الإنسان والحيوان والنبات والأسماك والميكروبات والكائنات المجهرية. . . ، لان من المحتمل أيضا أن يتم التحكم في بعض خصائص المناخ على مستوى كلي يشمل سطح الأرض، ومستويات اصغر تشمل المدن الالكترونية، فما الداعي إلى حركة الدول ذاتها؟، المفترض ألا يبقى شيء على حاله، وان تتيح وسائل النقل العملاقة القدرة على تحرك الدولة لدوافع سياسية واجتماعية وعلمية سياحية ودينية، وغالبا ما تتشارك هذه العوامل في الحث على الهجرة الحتمية أو الاختيارية.

هل هناك دول ليس لها أرض وموطن رسمي ؟ "الدول الجوالة ".

نشأت الدول على عناصر أساسية لا جدال عليها، هي البيئة والسكان والنظام، انظر للشكل التالي، فهل من الممكن أن تنشا في المستقبل القريب دولا ليس لها مقرا جغرافيا رسميا، بمعنى أوضح لا تشغل حيزا فلكيا أو جغرافيا محددا؟!، دولا متحركة؟، ظهرت تلك الحالة بعض الشيء خلال مرحلة سقوط الدولة اثر الغزو الخارجي، ولجوء حكومات المنفى لمقر آخر يقع في محيط الدول الصديقة القريبة من الأحداث، وهناك أمثلة واضحة على ذلك، من بينها على

سبيل المثال: ـ فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية، وما قام به ثوار ومقاتلي الأراضي الفلسطينية في تونس، وكانت عبارة عن تغيير بسيط أشبه بتغييرهم لـ "قاعة الاجتماعات الرسمية" لظروف اضطرارية، لا يعني هذا تغيير الموطن، أو إيجاد بديلا دائما عنه، لكنه وضعا سياسيا وجغرافيا عابرا.

تعتبر فكرة تكوين نسقا سياسيا متكاملا حر الحركة أمرا غريبا لم تعهده الجغرافيا السياسية على مر التاريخ، يرتكز على فرضيات ممكنة من الناحية المادية والتقنية والتنظيمية، تسهل أن تنتزع شرعيتها السياسية من المجتمع الدولية، وتقر المواثيق الدولية بالاعتراف بوجودها دولة حرة مستقلة لها سيادتها على "أراضيها المتحركة"، فمكن الممكن أن تكون بعض شركات الملاحة الدولية، وتكتلات رجال الأعمال والمستثمرين في مجال النقل البحرية والجوي، فيما يعتبر نمطا مستقلا من الإدارة الحرة المتحررة من القيود القانونية والسياسية الدولية، لتنشأ بمرور الوقت ونجاح الفكرة نوعا من الكيان السياسي والتجاري غير المعلن، ينقصه الجهر بالمطالبة بالاعترافات الدولية بحرية ممارساتها واستقلالها الرسمي.



المصدر : ـ من إعداد الباحث.

شكل (14) الأسس العامة لتشكيل دولة ذات شخصية فريدة سواء مستقلة أو غير مستقلة.

البيئة: ـ دائمة، مؤقتة / على الأرض ـ في الفضاء/ على اليابس، في الجو ـ في البحر، تحت البحر/ في الواقع المادي ـ في عالم الانترنت الالكتروني.

الشعب: ـ تبدأ من الفرد الواحد ـ أسرة ـ سلالة ـ قبيلة ـ قرية مختلطة ـ مدينة ـ ولاية أو إمارة ـ دولة ـ إمبراطورية.

النظام: ـ بوبي ـ عائلي ـ نخبوي ـ / ملكي ـ رئاسي / دكتاتوري ـ ديمقراطي/ فوضوي ـ مقنن.

سوف يظهر مع مرور الوقت أن هناك أنواعا متعددة من الدولة المستقلة التي ليس لها موطنا محددا، سيظهر بعضها في مجال شبكات التعارف والتواصل الاجتماعي المختلف عبر شبكات الانترنت، وستدعو لها المنظمات السرية، وأتباع الديانات والمعتقدات الدينية ذات النشأة المجهولة، من بينها على سبيل المثال: ـ الماسونيين، الماديين، الغيبيين، السحرة، الملحدين ...، كما سوف تروق للبعض، من المجموعات والفئات المنبوذة من المجتمع، من بينها على سبيل المثال: ـ الشواذ، المتحررين جنسيا، المتحولين جنسيا وجينيا. . . ، حتى أن الأمر سيتحول إلى نوعا من الحمى الوبائية!، سينادي العام بتقنينها، ووضع الضوابط المحددة لنشاتها ومجالات سيادتها والحدود الذي تنتهي عندها هيمنتها الجغرافية.

تتصدر الدول العظمى اقتصاديا وإعلاميا القائمة المحتملة التي يسهل أن تخرج منها تلك النظم الحرة جغرافيا، بشكل احتجاجي على بعض القيود، وبدعوى حرية التعبير والممارسات الخارجية، وللاستفادة من الأموال الطائلة في الوصول إلى سدة الحكم.

ربما يتصارع النظام القديم مع النظام الجديد، مثلما هو الحال في كل الحالات المشابهة، وغالبا ما تبدأ النظم الجديد في تحدي الدول الجغرافية القديمة، وهدم ما تطوله يداها، وتشجيع الحركات الانفصالية، ومؤازرة الحركات الشبيهة للاعتراف الدولي باستقلالها، وتشجيع الهجرة البشرية إليها، وجذب الاستثمارات المالية

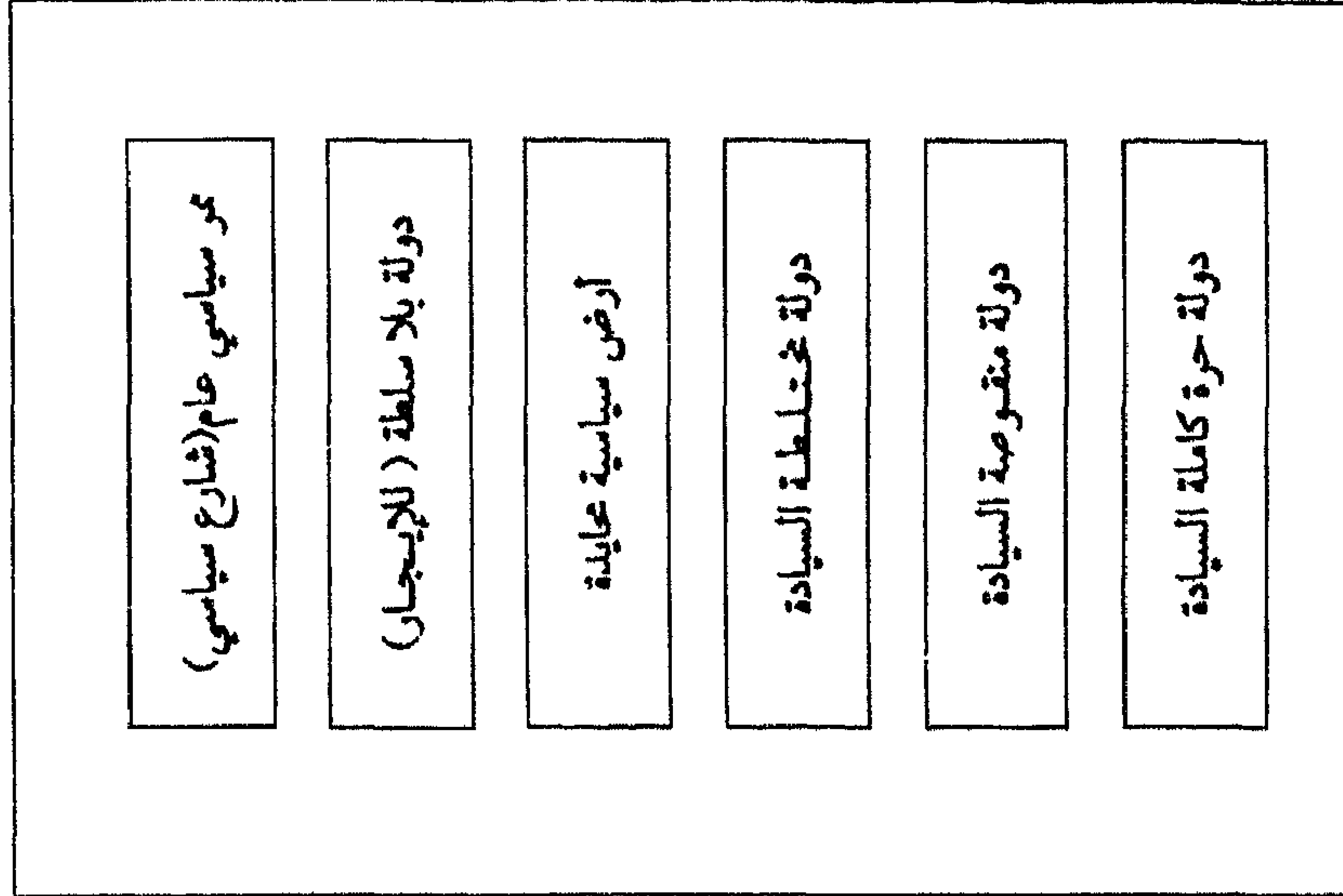
لتقوية موقفها السياسي، وسعيها الاستقلالي، وتوسيع سيطرتها على محيطها الحركي، وأيا كان الأمر فلن يعم السلام بين تلك النظم، بل وستتصارع مع بعضها، حينما تحسم صراعاتها مع نمط الدول الجغرافية القديمة، لتعيد تكوين سيطرتها على بعضها البعض، وبسط سيادتها عليهم، وسيطرتها على أشياء ومجالات كثيرة، بما فيها المجال الجغرافي، ولكن بشكل اقل عاطفية لكل ما ينتمي للوطن الجغرافي بما تعهده حاليا.

هل يمكن تخطيط الدول تخطيطا سياسيا دقيقا؟ : دول الوحدات المتراصة (الدول سابقة التجهيز)

ستتيح موجات الحرية السياسية الضاغطة على العالم وتوجهاتها الليبرالية المبالغ فيها في تخصيص مساحات من الأراضي الفضاء والحقول والبراري داخل كل دولة، لتخصيصها كمنطقة حرة لها سيادتها المعترف بها عالميا، يحميها القانون الدولي والعرف العام، يمكن أن تعتبر الملجئ المعترف به داخليا، منطقة لا تخضع لقانون الدولة الأم الواقعة فيها، ولا تحيى بحرية تامة بلا قيود أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية، وستحمل بعض الأسلحة الشخصية لحمايتها الذاتية، وسيشكل تناميها المالي وتأييدها السياسي من الخارج وضعا وموقفا متحديا للدولة الأم، تصل أحيانا إلى الحرب السافرة، أو تحل محلها، لتصبح بديلا عنها، يحضرنا مثالا واقعيا من السياسة الدولية، فعلى سبيل المثال: ـ دولة تايوان المنشقة عن دولة الصين، حتى أن كلاهما تنافس على التسمية السياسية، حين لجأت الصين إلى تمييز ذاتها بإعادة تسمية نفسها بالصين الشعبية.

يعبر الشكل التالي عن تدرج في نوعية السيادة، ولا يعني بالحجم، فغالبا لن تتساوى هذه المساحات مع بعضها البعض، وقد تكون الدول الكاملة السيادة أصغرها في المساحة، لكنها أكثرها ثراء وتنظيما وتخطيطا، بينما الوحدات السياسية الأخرى أكبرها اتساعا، وأفقرها حالا، كما تدعو الحاجة لإنشاء **ممر سياسي عام**،

أشبه **بالشارع الدولي**، أو المجرى الملاحي العالمي، يتاح للجميع بلا شرط أو قيد، غير شروط السلامة البيئية والصحية والأمنية المتفق عليها مسبقا.



المصدر : ـ من إعداد الباحث.

شكل (15) الأوضاع والحالات المختلفة لخصائص الخريطة السياسية للعالم في المستقبل.

لماذا ستتغير أسماء الدول في المستقبل؟.

لن تلتزم أسماء الدول بمسميات جغرافية وموروثات تاريخية قومية ودينية، بل ستُطرح مسميات حديثة لا تتقيد بشيء، فيمكن أن تسمى بـ"رقم"، أو عدد له علاقة بنشأتها، أو صادف مناسبة هامة حدثت فيه قبل أو بعد النشأة، أو صفات تعكس الغرور والمزاج العام للمجتمع والنخبة الحاكمة، وليس بالضرورة يشترط ان تكون تلك المسميات مطابقة للواقع، فسنجد على سبيل المثال: ـ دولة "الكرامة"، "الشجعان"، "الأحرار" . . .

الأكثر غرابة هو إعادة إحياء أسماء وشخصيات وأحداث قديمة، فعلى غرار تسمية الأوربيين للعديد من مدن قارات أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا عقب اكتشافهم بأسماء مدن وممالك معاصرة، وأخرى لا وجود لها إلا في كتب التاريخ

أو الأساطير الخيالية، ستُطرح على سبيل المثال دولة: ـ **"رمسيس"، "نابليون"، "طروادة"، "النازي"، "الفراعنة"** . . .

وستساهم العائلات الثرية، والآسر الحاكمة المنتزع منهم الحكم في أنشاء دول حرة خاصة بهم، ربما تحمل مسميات الآسر الحاكمة العريقة، فنجد على سبيل المثال دول: ـ **"بوربون"، "رومانوف"، "محمد علي"، "العثمانية"** . . .، وربما تسمى باسم أوطانهم الأولى، بإضافة كلمة أو وصفا مبالغا فيه، فتصبح مثلا: ـ **"فرنسا الحرة"، "روسيا العليا"، "مصر الجميلة"، "تركيا العظمى"** . . .

هل من المتوقع أن تفرض بعض القيود الدولية على مساحة الدول؟

تحججت الدول القوية بان هناك أقاليم ومساحات شاسعة من قارات ودول العالم كذريعة لاحتلالها، فهل سينطبق ذلك الوضع على المستقبل؟ !، ولم لا، ومازالت هناك مساحات شاسعة في كل دولة غير مستغلة على الإطلاق، ومع ذلك تستعر الحروب والنزاعات الإقليمية حول أحقية السيادة على القطاعات الحدودية، فسوف تطرح تحديد سيادة الدول على الأقاليم المسكونة فقط، أما الأراضي الأخرى فقابلة للنقاش، قابلة لنشأة وحدات سياسية أخرى، وسيشمل ذلك تدويل الأنهار والبحار والتضاريس والملامح الجغرافية الكبرى، فعلى سبيل المثال لن يقتصر تبعية الأنهار على دول الحوض المحيطة به، بل ستتاح لكافة الدول القريبة منها، طالما تميز بضخامة خصائصه المائية بما يفوق احتياجات دول المجرى ذاتها [(18)].

الكبرياء الفردي والجماعي وتأثيره على الدول.

إن ما نظنه مصلحة اقتصادية ليس في الواقع الأمر سوى حاجة إلى الاعتراف بالذات، او ما يمكن أن يسمى **"سلع المركز الاجتماعي"**، نحن نريد عربة فاخرة، لا لأننا نحب العربة الجميلة، وإنما كي نبز جارنا صاحب السيارة الفاخرة، ولا يلزم أن تكون الحاجة إلى الاعتراف بأمور شخصية، فقد يطلب الفرد أن يعترف الآخرون بآلهته، أو بمقدساته، أو بأمته، أو حتى بقضيته العادلة، وربما أصبحت الدول الجديدة أفضل حالا إن ظلت جزءا من دول كبرى، غير أن شعوبها لن

تنشد الرخاء الاقتصادي كهدف أوليا، بقدر ما تطلب علما ومقعدا في الأمم المتحدة...[19].

أسس التخطيط الهندسي للخريطة السياسية الجديدة للعالم في المستقبل.

يمكن أن تتشابه الإعدادات الأولية للتصميمات الهندسية للمدن سابقة التخطيط وتتخذ نموذجا مثاليا لتقسيمات الخريطة السياسية الجديدة للعالم، فكما نجد تقسيم المدن إلى شوارع أفقية وراسية (خطة شطرنجية)، ودوائر تزداد اتساعا كلما اتجهنا إلى الخارج (مدن القلاع والحصون القديمة)، ومدن جديدة تأخذ شكلا هندسيا منتظما أو غير منتظم، أو ترسم صورة كبيرة لأشكال حرة، منها على سبيل المثال أشكال: ـ حيوانات، كاريكاتير، رموز، وسائل نقل، أدوات حديثة . . .، أو ابعد من ذلك بما يفوق الخيال الهزلي نفسه.

يفضل الإنسان الطرق والأدوات البسيطة ليصل إلى مبتغاة بأقل عناء ممكن، ولذا فأيسر أنواع التخطيط الهندسي للمدن إتباع التخطيط بخطوط وحدود مستقيمة في المناطق المسطحة والمستوية، والقطاعات التي تسمح بذلك، غير انه لن يجد قابلية وفاعلية حقيقية في تبنيها في بعض المناطق التي لا تسمح بذلك، إذا وضعنا في الاعتبار المشكلات التضاريسية التي سوف يتم التغلب على الكثير منها، وتقوس الفضاء وتعرج مساراته بما لا يسمح بالسير أو التقسيم والتحديد بإتباع مسار منحي، وكذلك بعض الاضطرابات السياسية التي لابد أن تحدثها المصالح والأمزجة البشرية حين تختلف حول نقاط حدودية عالية الشأن أحيانا، تافهة القيمة غالبا، ولذلك فالقول الفصل هو غلبة التخطيط المختلط على الخريطة السياسية للعالم لبواعث طبيعية محدودة، وبشرية لا حصر لها .

كيانات سياسية متخصصة شرطا في التخطيط السياسي للعالم.

المفترض أن تنشا مجموعات سياسية دولية في عالم المستقبل، وهي اكبر من حجم الدول الاتحادية (الفيدرالية)، واقل حجما من القارة، بمفهومها الحالي المعاصر، إذا لم يتغير في المستقبل بإضافة قارات جدد، أو تفتيت بعضها، وإعادة النظر في تحديد المصطلح الجغرافي لوضع ضوابط جديدة لـ"القارة"، مثلما حدث حين طرد كوكب "بلوتو" من المجموعة الشمسية بطريقة علمية وهزلية !.

المهم في تلك "**المجموعة السياسية الدولية**" سابقة التخطيط، بأسبقية الدفع والحجز!، هو مراعاتها لتخصيصها "**كيانات خدمية**" أي "**دولة متخصصة**" فيما يشبه الدول المحايدة، خاصة للأمور محل النزاع العام، والاحتياجات والخدمات الضرورية التي لا غنى عنها، لا يشترط أن تحتكر تماما سلعة أو خدمة ما، بل يمكن أن تتواجد شبيهها في دول نفس المجموعة، ولكن في أحجام وخصائص اقل حجما وشانا، انظر إلى الشكل التالي، وتمثل تلك الدول المتخصصة مرجعية عليا لاستشاراتها وحمايتها وتنميتها، وتقديم الدعم العم المتبادل بين هيئاتها، ومن أبرزها على سبيل المثال دول كل من: ـ العبادة، الإعلام العام (منبر للرأي الدولي)، الرياضة، ، الإدارة الدولية العليا، الصحة، المواصلات الفضائية. . .

سيراعى في تخطيطها تخصيص مساحات كبيرة لها، ومواقع متميزة، إما تحتل مكانا وسطيا لاحتياج نشاطها لذلك، أو موقعا متطرفا في أخر امتدادها، لتفرغها لأنشطتها الفكرية على سبيل المثال، وستشكل الضرورة ابرز الأسس المفترضة لموقعها، غير أن تأثيرات ومطامع البشر ستساهم ولا شك في حيثيات عشوائية التخطيط، كما هو المعمول به الآن.

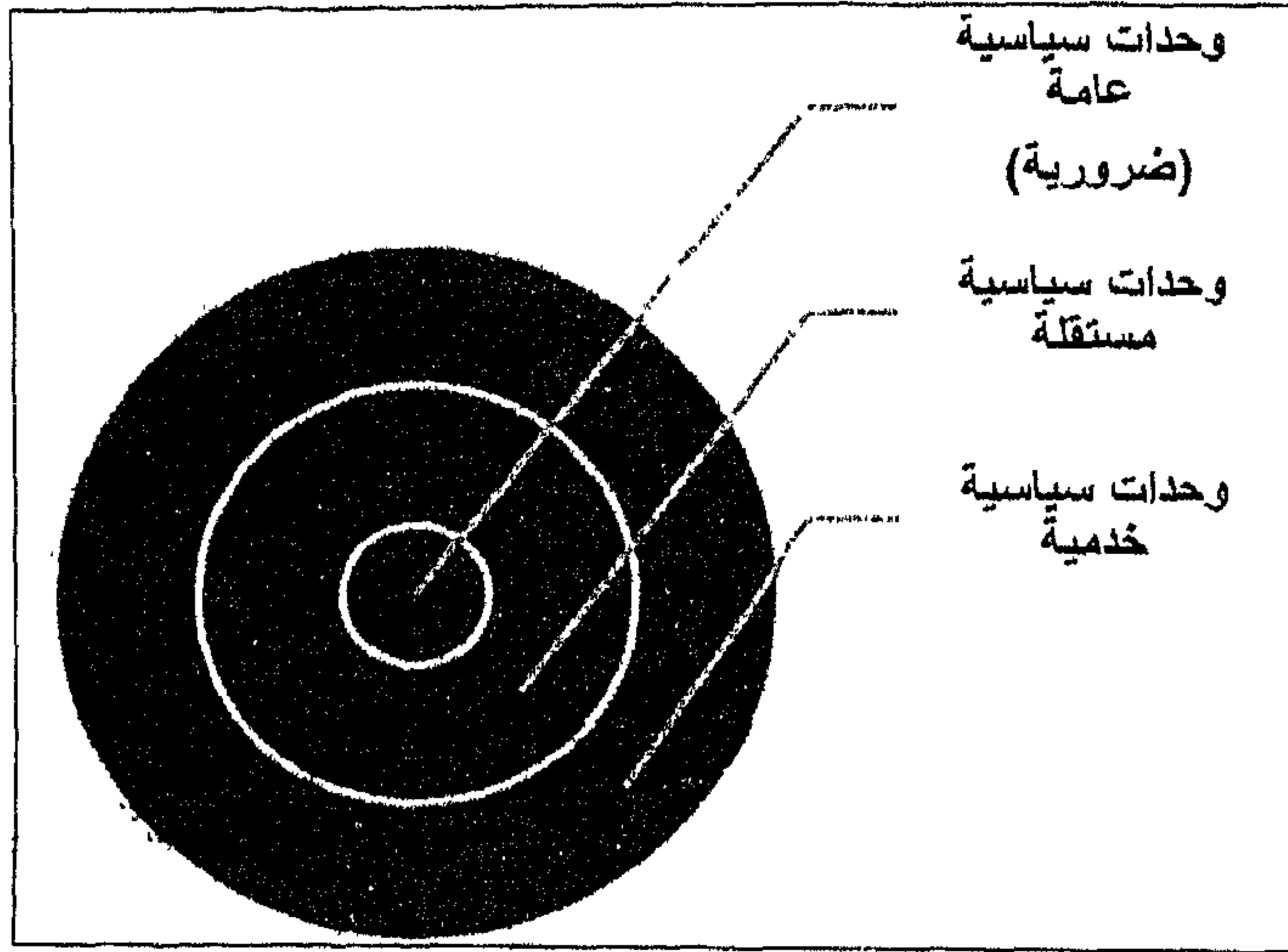
أشكال دول المستقبل سابقة التخطيط.

رصدت تلسكوبات الغرب صورة لجبل قريب الشبه بوجه بشري على وجه المريخ، مما أثار جدلا علميا واسعا، وجنوحا خياليا، فهل هي ظاهرة طبيعية صادفت أن تكون كذلك؟، آم أنها منشأة لكائنات فضائية حاولت أن تحاكي

وتتواصل مع البشر من خلال صورة مصغرة لهم، لم يحسم الأمر حتى الآن، من المتوقع ان يحسم ذلك عقب رحلات استكشاف المريخ، إن لم تُحجب كما كبيرا من الحقائق التي تم التوصل لها، والاكتفاء بنذر يسير جدا من المعلومات الأولية البسيطة، كما هي العادة في بعثات استكشاف الفضاء منذ بدايتها وحتى الآن[20].

أيا كان الوضع، فقد قام الإنسان بوضع صورة خطية أشبه بالرسم الخطي الكاريكاتيري لرجل وامرأة عاريان تماما على سطح القمر، يشيران خلالها لموقع موطنهم (كوكب الأرض)، عنوان بسيط بلغة الصورة، لتيسير الفهم لكائنات الفضاء إذا أرادت أن تتواصل مع الإنسان، فهل سيعيد الكرة ويرسم في الفضاء نماذج لصور أرضية؟، إن لم يكن لذلك السبب، فربما بدافع الحنين لكوكبه وعالمه وانجازاته الماضية.

من الممكن ان تتآلف كل من: ـ الأعمال والشئون والاستثمارات الاقتصادية والسياحية والإجرامية، التي تعززها المساندات السياسية، أو على الاقل عدم الممانعة منها، وكذلك الابحاث العلمية ذات الصلة بها في تحويل فكرة **"انشاء دولة جديدة لمن يشاء"**، وتصبح المسالة مجرد ثمن باهظا بعض الشيء للاستقلال، ثمنا لانشاء دولة ورسم سياسة خاصة بها، دولة تعمل وفقا لقوانينها وافكارها ومعتقداتها الشاذة احيانا، الانانية دائما، ويتيح هذا المناخ ظهور دولة"الإتجار الشرعي في المخدرات" ، ودولة "الملذات الجنسية الحرة"، ودولة "عبادة الشيطان"، وكل ما يمكن ان نتوقعه من اهداف لانشاء كيانات حرة ذات سيادة لتفعل كل ما تريد.



المصدر : ـ من إعداد الباحث.

شكل (16) تتابع مجالات انتشار الدول المحايدة والدول المستقلة في التنظيم السياسي سابق التخطيط .

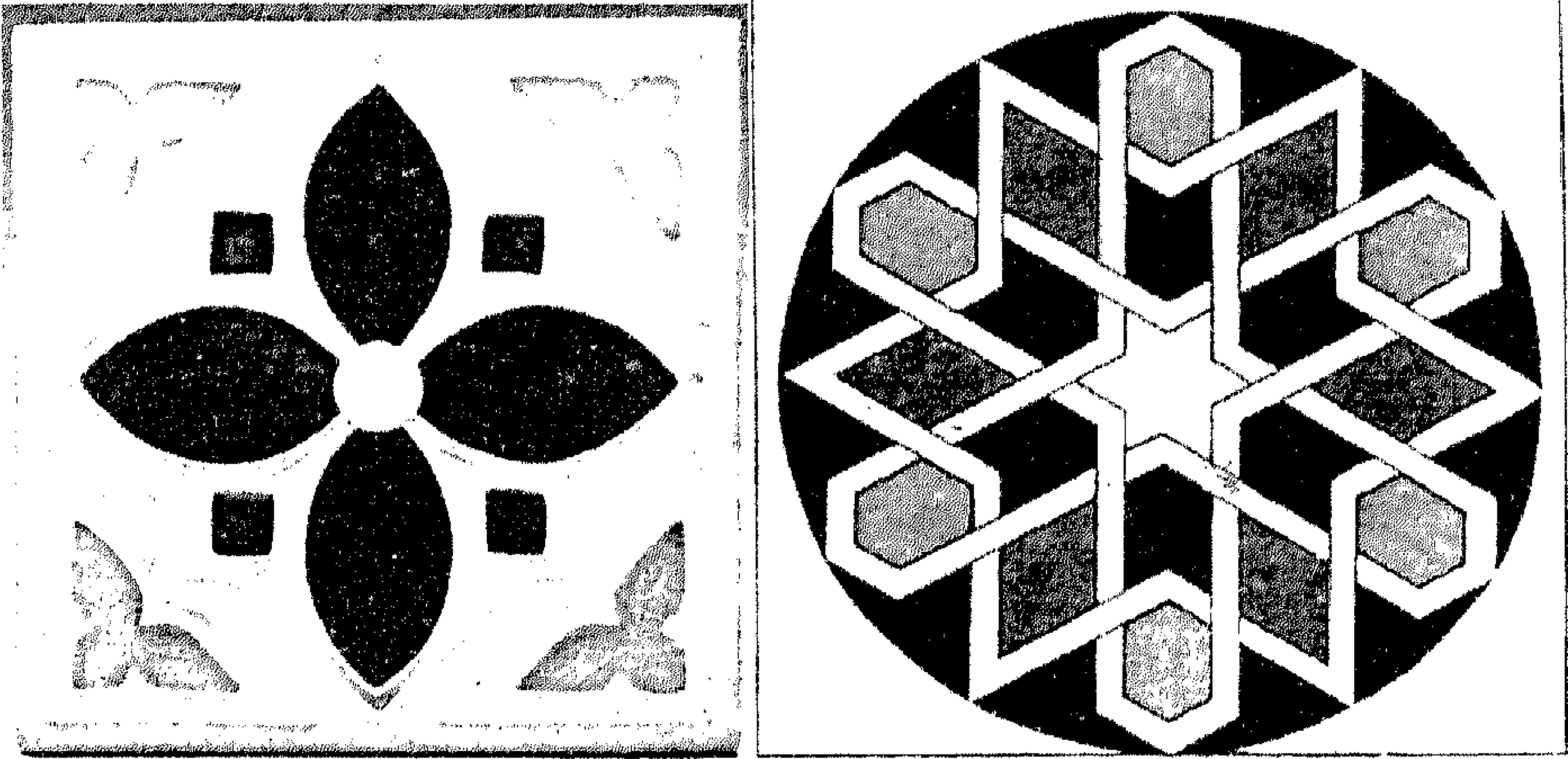
يوضح الشكل امتداد نوعين من الدول المحايدة هي: ـ

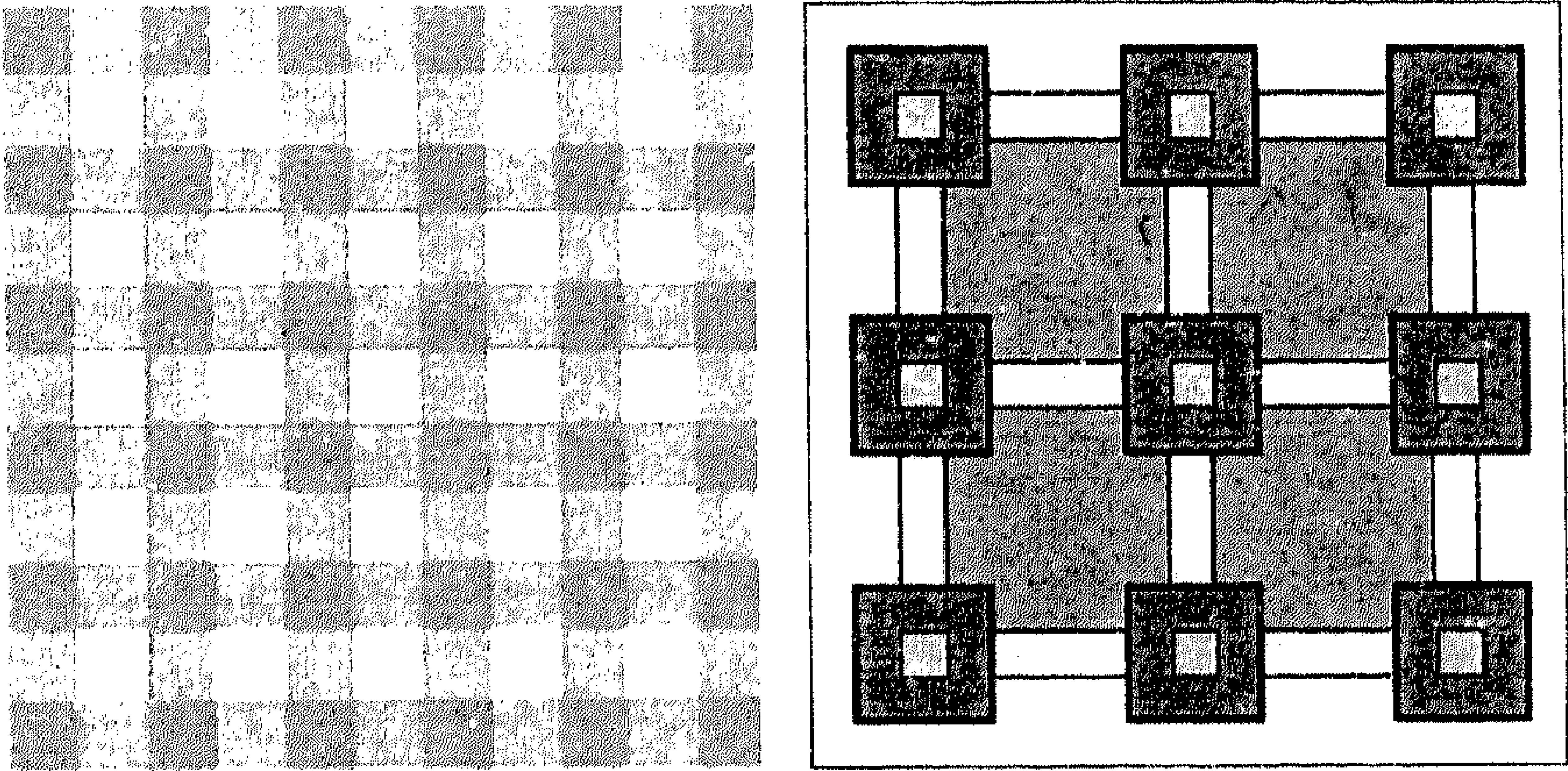
الأول: ـ يقع في النواة، ويضم الدول السياسية المحايدة التي يتطلب نشاطها الهام في أن تتخذ موقعا متميزا قريبا من الدول المستقلة الأخرى، وتتخصص طبيعة وظائف الدول المحايدة على سبيل المثال في الإعلام، الأمن. . .

الثاني: ـ وحدات سياسية حرة التخصص، تتشابه في مسمياتها وأوضاعها وأنشطتها، يعكس أنانية الاستقلال السياسي.

الثالث: ـ الدول المستقلة المحايدة الواقعة في الأطراف، وتتخصص في الوظائف والأنشطة التي تتطلب بعض الهدوء الفكري، ولا تتطلب موقعا متوسطا ليخدم أنشطتها، كما تحتاج إلى مساحات واسعة رخيصة الثمن، وتتخصص على سبيل المثال في: ـ إنتاج الغذاء، استخلاص الطاقة، تنقية الجو والماء، العبادة، تنظيم الواصلات الدولية والفضائية، الرياضة الطبيعية (فمن المحتمل

ان ينشا هـذا المصـطلح بفعـل اجتيـاح الرياضـة الالكترونيـة، أي اسـتخدام الأجهزة الكهربائية في الرياضة). . .



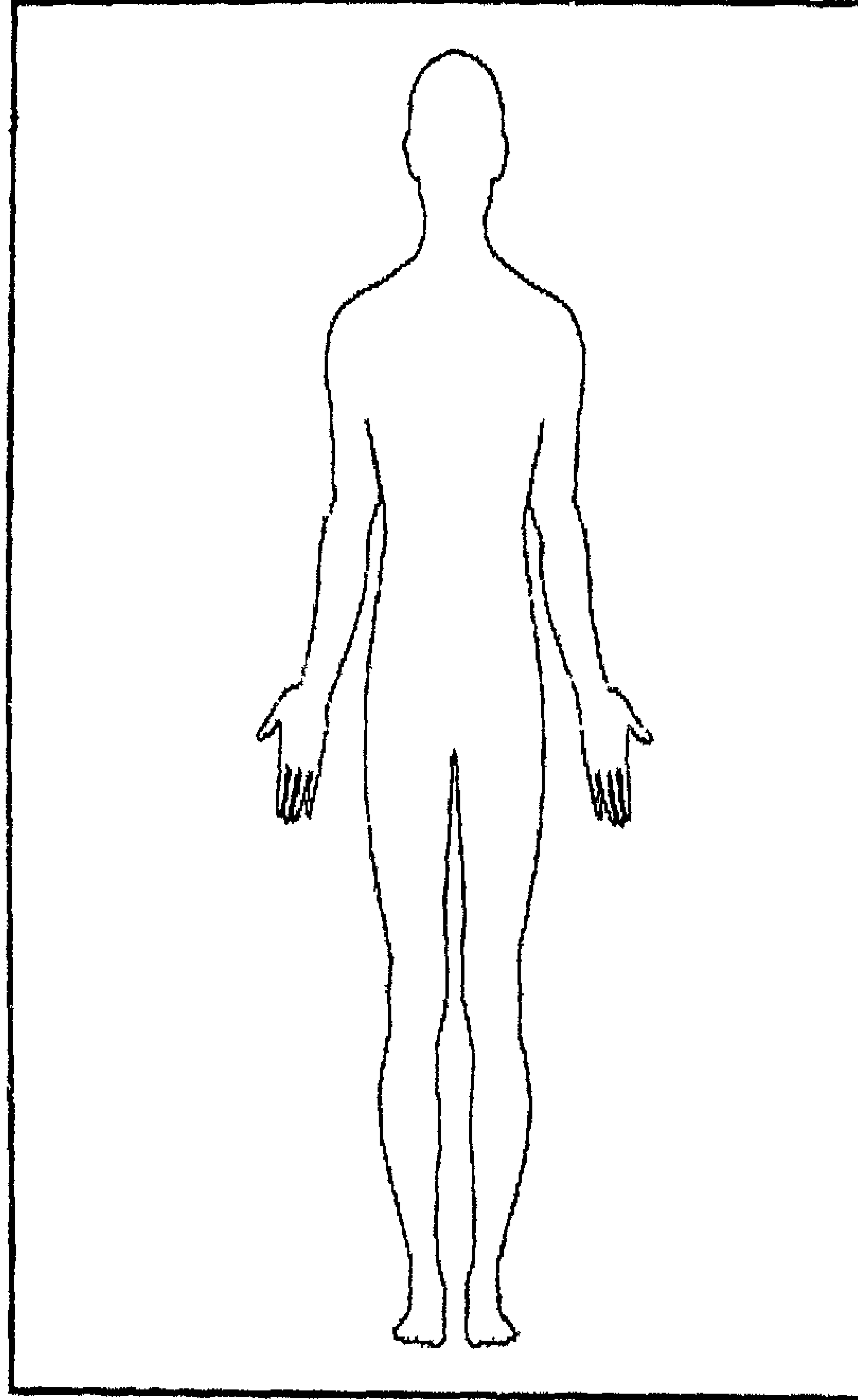


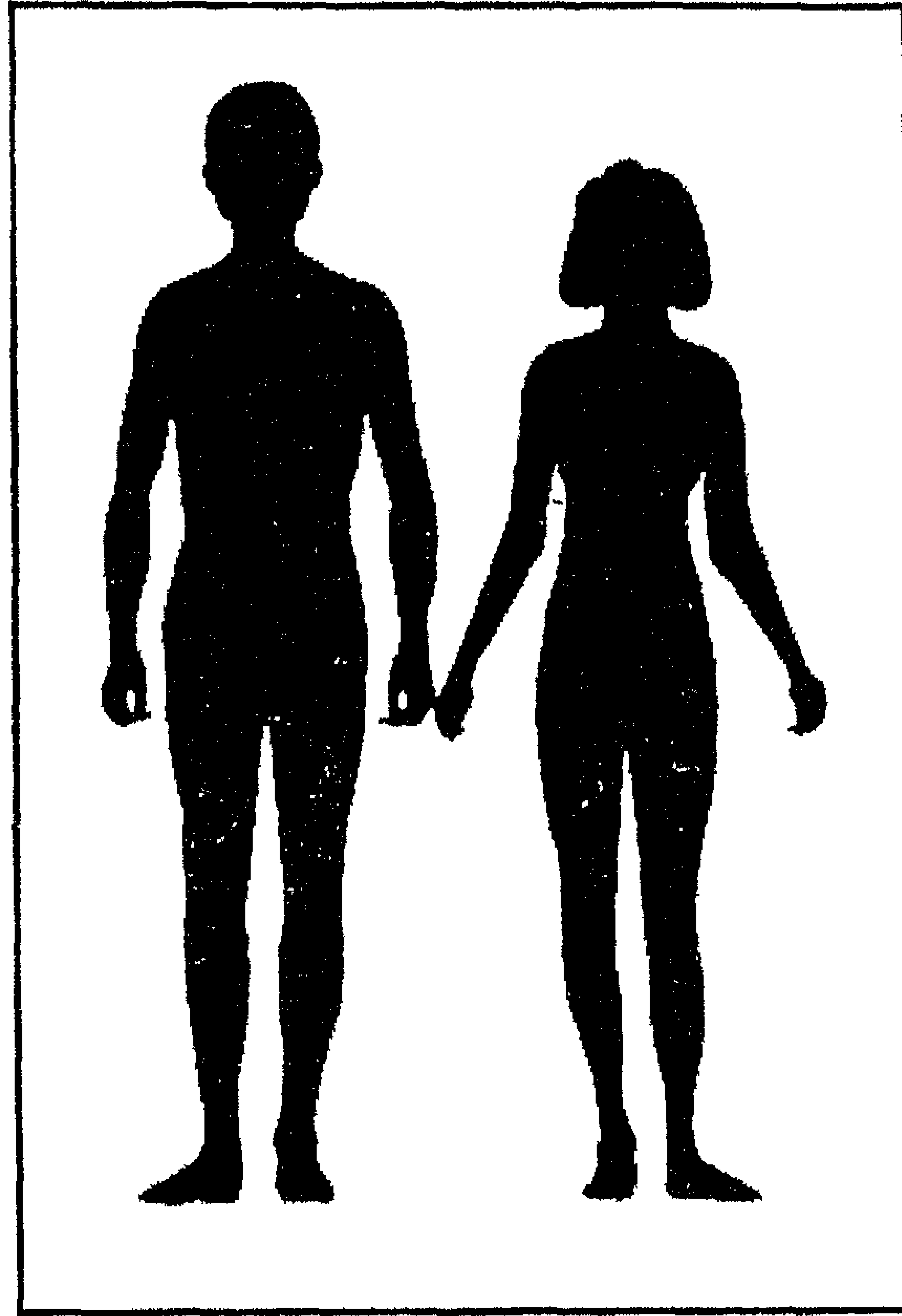
المصدر : ـ من إعداد الباحث.

شكل (17) زخارف نباتية وأشكال هندسية

تمثل تنظيما سياسيا مخططة لدول المستقبل، غالبا ما ستتنوع إلى حد ابعد من ذلك بكثيرا.

تبدو دول المستقبل مخططة جيدا بإشكال مختلفة، فمن الممكن أن تحتل "العاصمة" مكان المركز، وتخصص أماكن محددة يرمز لها بلون واضح على الخرائط لإنشاء المدن والمجتمعات العمرانية، ولون آخر يخصص للمشاريع الاقتصادية، ولون ثالث لمناطق الترفيه والإبداع والرياضة وشؤون الدفاع..، وتعتبر الخطوط الفاصلة بين الألوان عبارة عن شوارع رئسيه، ويكتمل هذا الشكل الهندسي أو الزخرفي الأنيق بغلاف عام يشكل الحدود السياسية للدولة.





المصدر : ـ من إعداد الباحث.

شكل (18) صور أدمية تعبر عن المخططات السياسية
لإنشاء مستعمرة بشرية أولية على كواكب المجموعة الشمسية.

من المحتمل أن يبنى الإنسان مستعمرات هندسية الشكل لا ترتبط بان تلتزم بصورة معينة، ويشير شكل الرجل والمرأة إلى حقيقة تصوير الطبيعة الإنسانية لبني البشر، يناسب ذلك الرسم شكل المستوطنات البشرية المزمع إقامتها على سطح كواكب المجموعة الشمسية في المستقبل، خاصة شكل الإنسان وهو عاريا تماما ـ استبعدت صورة العري للحياء الأدبي ـ ، ليرمز لبني جنسه بصورة أكثر وضوحا للكائنات الفضائية العاقلة المحتمل تواجدها، فيمكن على سبيل المثال : ـ أن تمتد مخازن الطعام في منطقة الساق من جسم الإنسان، ويخصص اليدان لإنتاج الغذاء،

وتقام المختبرات وغرف الإعاشة في منطقة الصدر، وتخصص منطقة الرأس للنوم والراحة، وتدار تلك المنظومة من الجهة اليسرى للصدر، كقلب نابضا لا يكف عن الحركة، ويمكن إحاطة "**دولة الإنسان الفضائية**"، "**الدولة البشرية الفضائية**" بسور يمثل مجال النفوذ الأولي، يمكن أن نطلق عله حدودا سياسية للمستعمرة، يتيح تركيب أجهزة إضاءة وعواكس فسفورية، وأيا كان فان وجوده ضروريا للغاية، وينتهي الشكل ببرواز أو إطار جامع أو سور (حدود) تأكيدا على أن للشكل (الإنسان) ليس له زوائد أو أطراف أخرى، كما تُعد قاعدة لانطلاق الرحلات الفضائية، وساحة تبدأ منها الرحلات الدورية اليومية لاستكشاف المنطقة المحيطة بأراضي الكوكب تمهيدا لاستغلالها الأنسب.

سيادة ظاهرة العواصم المتنقلة للدول في المستقبل ! .

ثبتت العواصم على مر التاريخ ثباتا يكاد يكون مقدسا بين سكان العالم عبر التاريخ، وكانت محور نمو السكان ونشاطاتهم وتطلعاتهم وارتقاء النظم الإدارية منذ نشأتها، وأحيانا كانت العاصمة المدينة الأولى والاهم في الإقليم، لتنشأ من اجلها دولة كاملة أخذة في الاتساع، منها على سبيل المثال مدينة "روما" وبزوغ الإمبراطورية الرومانية، وفي حالات أخرى ظهرت كأحد الاحتياجات الرئيسية لإدارة الدولة، وولدت العواصم مثلما وجدت المدن، تحكمت فيها الظروف المناخية، فاختيرت المناطق الأدفئ في الجهات الباردة، والألطف جوا في الجهات الحارة، واستقرت على مقربة من الأنهار في الجهات الصحراوية، وفي أكثر الجهات استقبالا للأمطار في المناطق القاحلة، وساهمت في ترقية القرى الواقعة على خطوط التجارة الرئيسة ومسالك الصيد لتتحول إلى مراكز عمرانية عامة، نال بعضها مرتبة العاصمة، هذه هي الفلسفة المختصرة لأسباب نشأة العواصم واتخاذها لمواقعها الجغرافي دون سواه على مستوى العالم.

وقعت عواصم العالم القديمة المعمول بها حاليا ضحية سوء الاختيار البشري بكل معنى الكلمة، بما فيها تلك التي تمتد جذورها لآلاف السنين، وكذلك

العواصم الجديدة لدول العالم حديثا، لا تذكر كتب الجغرافيا هذه الحقيقة على الإطلاق!، لأنها تعلل وجودها كأنها ثوابت، تشير حيثيات اختيار العواصم إلى تلك الحقائق إذا ما استخدمنا المنهج العلمي وأسس مناقشة الفروض والمجادلة فيها للخروج بنظرية، فالعواصم التي تم اختيارها على أسس "الموقع المتوسط" لإحكام السيطرة على الدولة شابهها الدقة، ووقعت نتيجة **"الاستسهال"**، لأنه تم اختيار اقرب المراكز العمرانية من القطاع الأوسط، لا المركز نفسه، هذا إذا كان الإنسان حينها يحسن القياس، وقد قيست المسافات الشاسعة قديما بزمن الرحلة المقطوعة بين المسافات بالأيام بشكل تقريبي، فلا مجال للحجج، ينطبق ذلك على عواصم المناخ الدافيء، وكذلك الأبرد، لوجود مناطق أفضل تم تجاهلها عن عمد !، أكان يختار الإنسان بحرية مطلقة، أم يهوى؟ !.

أيا كان ما سيحسم الجدل لصالح الاختيار آم الهوى فقد كانت الحقيقة تشير دائما إلى أن ظاهرة العواصم على مستوى العالم قرينة بوجود **" قلعة الحاكم "** ، **" قصر الحاكم "** ، هو مركز الحكم، بصرف النظر عن حيثيات موقعه وأسباب اختياره، ومع تعدد القصور تعددت أيضا العواصم الثانوية للدولة بشكل غير رسمي، وعرفت بفعل السياحة العليا للحكام ما يعرف بـ "العاصمة الصيفية " و "العاصمة الشتوية للدولة"، ويمكننا أن نعتبر حتى **"قصور المبيت"** للحكام أثناء سفرهم أو تحركاتهم في خضم حروبهم مراكز إدارية اضطرارية يرجع لها للفصل في أمور الدولة، وحدث في العصر الحديث والمعاصر تم اعتبار **"طائرة الرئيس الشخصية"**، **"الطائرة الأولى"** على مستوى الدولة، وهي غالبا من اكبر الطائرات حجما وأكثرهم أناقة، وتضم أدق أجهزة المتابعة للشئون الإدارية للوطن، وتحمل طاقما كبيرا من المساعدين للحاكم ...، فيما يمكن أن نعتبرها العاصمة الجوية للدولة !.

الحق أن كل عواصم العالم القديم والحديث لم ينشاها الإنسان المتحضر قط!، كلها بمعنى كلها، بما فيها تلك العواصم التي أنشأت بقرار أو أمر مباشر من أولي

السلطة، يتماشى ذلك مع حالات تفوق الحصر، من بينها على سبيل المثال: ـــ واشنطن العاصمة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية المنشاة بقرار من الكونجرس سنة 1790م، نظرا لما أثبتته الأدلة والبقايا الأثرية لإنسان ما قبل التاريخ من استقراره شبه الدائم في مواقعها، والتواجد الهزيل نوعا ما للمساكن البسيطة في المنطقة في الفترات التالية من التاريخ، قبل صدور قرار تأسيسها الرسمي المعلن "الاتخاذ ثم البناء".

ظلت عواصم العالم الواقعة على الساحل أو على ضفاف الأنهار دائمة الجريان قبل أن تنال الحظوة السياسية للدولة مجرد قرية صغيرة استقر فيها الصيادين، ساحة صادفت أن توافر عندها فرص اكبر للصيد بالقرب منها، الصيد بشقيه البري والبحري، واستمرارا لا ينقطع للماء، وربما منظرا خلابا بعض الشيء، غالبا ما تتفوق عليه مناطق أخرى لا حصر لها، أي إن اختيار العواصم من بين كل الإمارات والولايات والأقاليم ما هو إلا كوضع "شارة رمزية" على كائن حي (مدينة) من بين أقران كثر، لم يكن أبدا إحياء للعدم، لم يكن بداية من الصفر، لم يمتلك احد الجرأة ليبدأ في وضع حجر الأساس في ساحة أو صحراء لم تسكن من قبله قط.

هل ستساعد التكنولوجيا في تعدد عواصم العالم وحتمية تنقلها؟، بلى، وقد ظهرت العديد من الدلالات الحالية كما يمكن أن نعتبر أن مراكز الكمبيوتر وأجهزته المعاونة هي العواصم المستقبلية للدول، تنتظر فقط أن تأخذ اللقب الرسمي، بل يمكن أن تساهم بعض العوامل والمضايقات لخطط وتوجهات أباطرة شركات ومواقع الانترنت في اتخاذ مواقع جديدة، يمكن أن تؤدي إلى إضعاف الوجود المعني للعواصم والمناطق السابقة، وظهور عواصم جديدة، ويمكن أن نعتبر **"كوكب الأرض عاصمة البشر في المستقبل"** مع نجاح عمليات استيطان البشر للأجرام السماوية.

ربما يمكن أن تساهم الديمقراطية ذات البواعث الجغرافية في "**تدوير منصب العاصمة**" لباقي مدن الدول في المستقبل، وإعادة الاختيار على أسس علمية مبتكرة، وانتهاء دور العواصم المختارة لأسباب التجارة البرية القائمة على القوافل قديما، لتطور وسائل النقل، ومدن "بيع الجلود والفراء" في شمالي أوربا واسيا على سبيل المثال لانتهاء فاعلية حرفة الصيد، وزوال السبب.

تحتاج العديد من المدن الافتراضية " الذكية" إلى مساحات فارغة من المباني ليبنيها المهندسون بكل رحابة، ولن تتيح المدن الحالية إمكانية تنفيذ رسوم ومخططات هندسية تأخذ وقتا وإزعاجا لا يسمح به السكان المستقرون بسلام، وربما يمكن أن تنشا مدن المستقبل في امتداد العواصم القديمة، وهي ظاهرة موجودة بالفعل في العديد منها على مستوى العالم، تظهر في مسمى "جديد" ، من بينها القاهرة القديمة" (مصر القديمة) و "مصر الجديدة" (القاهرة الجديدة) ، الطريف في الأمر أن التجديد أصاب الجديد نفسه، فظهرت امتدادات عمرانية احدث منها، وتجاوزتها، وستظل تتجاوزها ما حيا الإنسان ونما البشر دوما ! .

دول حرة على طوابق متتالية!.

من المحتمل أن تشترك بضعة دول في مكان وا حد يشغل نفس الموقع المحدد فلكيا وجغرافيا، باختلاف المستويات الأفقية، كل منها فوق الآخر، تشغل مجالات تعلو فوق بعض، تبدأ من أعماق سطح الأرض، وكذلك أعماق البحار والمحيطات، ثم سطح الأرض، ثم التحليق في الجو، فضلا عن مجال الفضاء الخارجي الأكثر اتساعا واستقلالا عن المجالات الأخرى.

ربما لن يصل الأمر عند هذا الحد، فكما أن لكل طائرة مستوى جوي تحلق فيه، يمكن أن يخصص مستويات محددة لتشغله دولة ما، وتستحوذ على ممر دائم خاص بها، تستغله لفترة موسمية مؤقتة أو دائمة، ولا تمتلكه بصفة تامة، بل مجرد انتفاع مقنن تحدده أسس دولية عامة، من قبل هيئات تشبه "الأمم المتحدة" بمفهومها الحالي، مجلسا دوليا، أو اجتماعا لرؤساء القبائل والشركات والعلماء والرؤساء،

لوضع قانون بشري عام لطبيعة الحدود السياسية لبني البشر على سطح الأرض، وفي الفضاء، والمستعمرات البشرية في كواكب المجموعة الشمسية، وما يتكشف من عوالم جديدة في المستقبل.

يرتبط تعدد الكيانات السياسية الحرة المستقلة بعاملين رئيسيين لا جدال فيهما، هما: ـ

التكنولوجيا العلمية: ـ بفضل طفرة الأدوات والاختراعات والتطبيقات الناجحة، ومدى تسهيلها لعملية استيطان البيئات القاسية غير الممكن الاستقرار فيها سابقا، من بينها أعماق الأرض والبحار والمحيطات، والاختراعات الفذة نحو التغلب على الجاذبية الأرضية بصفة كاملة، مع إمكانية بناء مستعمرات حرة الحركة تسبح بسهولة في الجو !.

طغيان الحرية: ـ بسبب زيادة النزعة الاستقلالية الحرة للجماعات والأقليات والقبائل والأسر . . . ، وتجاوزها مرحلة الاكتفاء بنيل الحرية المدنية، فيبعث النمو المفرط لرغباتها ومطامعها تحت سيادة الدولة عن الحلم بان تصبح هي الدولة نفسها، لا مجرد فردا و جزئا منها، أو حتى احد عناصر نخبتها، في صورة مشابهة لسعي كل السياسيين لمحو سدة الحكم، فهي محاولة عملية قصوى لتحقيق وصف وحالة "**أنا الدولة**" في عالم المستقبل.

ندرك مفهوم سيادة الدولة على أراضيها في مجالها البري والبحري والجوي، فهل برزت على الساحة قضايا مثارة حول انتهاكات للسيادة الدولية في مجالها الفضائي!، ليس بالضرورة ضد أقمار التجسس فحسب، بل تشمل حتى أقمار الرصد الجوي والبث الإعلامي والاتصالات...، لماذا لم يحدث ذلك؟، من المقرر أن تندلع تلك المشكلات في المستقبل القريب، وتشغل حيزا مهما في أسباب الصراعات الدولية على سطح الأرض.

التحديد السياسي العالمي لسيادة الدول على المياه الإقليمية.

منذ فشل مؤتمر "لاهاى" سنة 1930 في التوصل إلى اتفاق لتحديد البحر الإقليمي (Territorial waters) عقدت من بعد الحرب العالمية الثانية ثلاثة مؤتمرات دولية كبيرة لبحث قوانين البحار والمياه الإقليمية في نطاق الأمم المتحدة، كان أولها عام 1958 في جنيف، وثانيها عام 1960، ثم عام 1982م، وظل العنصر المختلف عليه هو تحديد عرض البحر الإقليمي لكل دولة، وقبلت معظم الدول النص الجديد القاضي بأن لكل دولة الحق في تحديد عرض بحرها الإقليمي بمسافة لا تتجاوز 12 ميلا بحريا تبدأ من خط الساحل، ولذا فالأمر خاضع حتى الآن إلى إعادة النظر في امتداد المياه الإقليمية للدول، بعدما تحول الآمر حتى الآن إلى فوضى سياسية بكل معنى الكلمة، وشهدت تفاوتا كبيرا في اتساعها بصورة غير مبررة على الإطلاق، فعلى سبيل المثال: ـ امتداد محدود للغاية لا يقارن على سبيل المثال بما لدولة الصومال (200 ميل بحري) [(21)] .

من الممكن إعادة تقسيم المياه الإقليمية على النحو التالي : ـ

1. **مياه إقليمية شاطئية تتبع سيادة الدول الساحلية المطلة عليها، في متوسط افتراضي يبدأ من 20 إلى 30 كيلو متر على الأكثر**، من المحتمل أن يحدد لها اتساعا متوسطا يلزم كل الدول بإتباعه، بغض النظر عن المطامع السياسية فائقة الحدود، وامتداد الشواطئ الضحلة لأكثر من هذا المعدل، أو اقل منه.

2. **مياه بحرية مفتوحة للملاحة الدولية والاستغلال الاقتصادي العالمي: ـ تبدأ من نحو 30 كيلو متر إلى أعالي البحار**، حتى تتقابل مع ضفة بحرية لدولة ساحلية أخرى.

تقسيم مستوى أعماق البحار والمحيطات للسيادة الاقتصادية المختلفة.

من الممكن تقسيمها في المستقبل على هذا النحو (انظر إلى الشكل التالي):ـ

1. **عمق ساحلي بسيط للدول الشاطئية: ـ** في متوسط عمق لا يزيد عن 500 متر في الأغلب، ربما يقل عن ذلك تبعا للتكالب وشراهة الأنشطة الاقتصادية للشركات عابرة القارات.

2. **عمق ساحلي متوسط محمي دوليا من أنشطة الصيد وكافة صور الاستغلال الاقتصادي،** في متوسط عمق يلي العمق الخاضع لسيادة الدول الشاطئية، ما بين 500 إلى 1000 متر، فمن المتوقع أن ترضخ الإرادة العالمي لضجيج علماء البيئة وكل المهتمين بالحفاظ على الحياة البحرية والتنوع البيئي والحفاظ على قدر من الثروة البحرية للأجيال القادمة، ولذلك يمكن أن تعتبر بحارا كاملة في عداد "الحماية البيئية الدولية"، ومن بينها البحر الأحمر والخليج العربي على سبيل المثال، عدا نقاط وبؤر وفجوات وأخاديد عميقة جدا .

3. **أعماق بحرية سحيقة: ـ وهي ما تزيد عن 1000 متر تقريبا،** وتمتد حتى أكثر من 11 كيلو متر في أعمق أخاديد البحار والمحيطات (وربما يُعلن عن تلك الأخاديد كمحمية طبيعية دائمة)، وغالبا ما يسهل الاستغلال الاقتصادي في مدى لا يتجاوز في الأغلب حتى عمق 5 كيلو متر تقريبا ، يسمح خلالها بممارسة كافة أنشطة الصيد واستكشاف واستخراج البترول والغاز الطبيعي . . . ، كما يسمح بإقامة مراكز الأبحاث العلمية ذات الطابع الدولي، والمستوطنات البشرية المستقلة "**دول بشرية تحت أعماق البحار**" مختلطة الانتماء والأدوار، تبحث لها عن هوية سياسية مستقلة لا ينازعها فيها احد .

• شواطئ ساحلية • مياة اقليمية	المياه الضحلة (حتى ١٠٠ متر)
• المياة المحايدة • محمية طبيعية	اعماق متوسطة (١٠٠ الى ١٠٠٠ متر)
• خنادق بحرية • صدوبحرية	أعماق سحيقة (أكثر من ١٠٠٠ متر)

شكل (19) مجالات الأعماق البحرية وتقسيماتها السياسية على أساس العمق.

التوطن البشري الدائم في أعماق البحار والمحيطات.

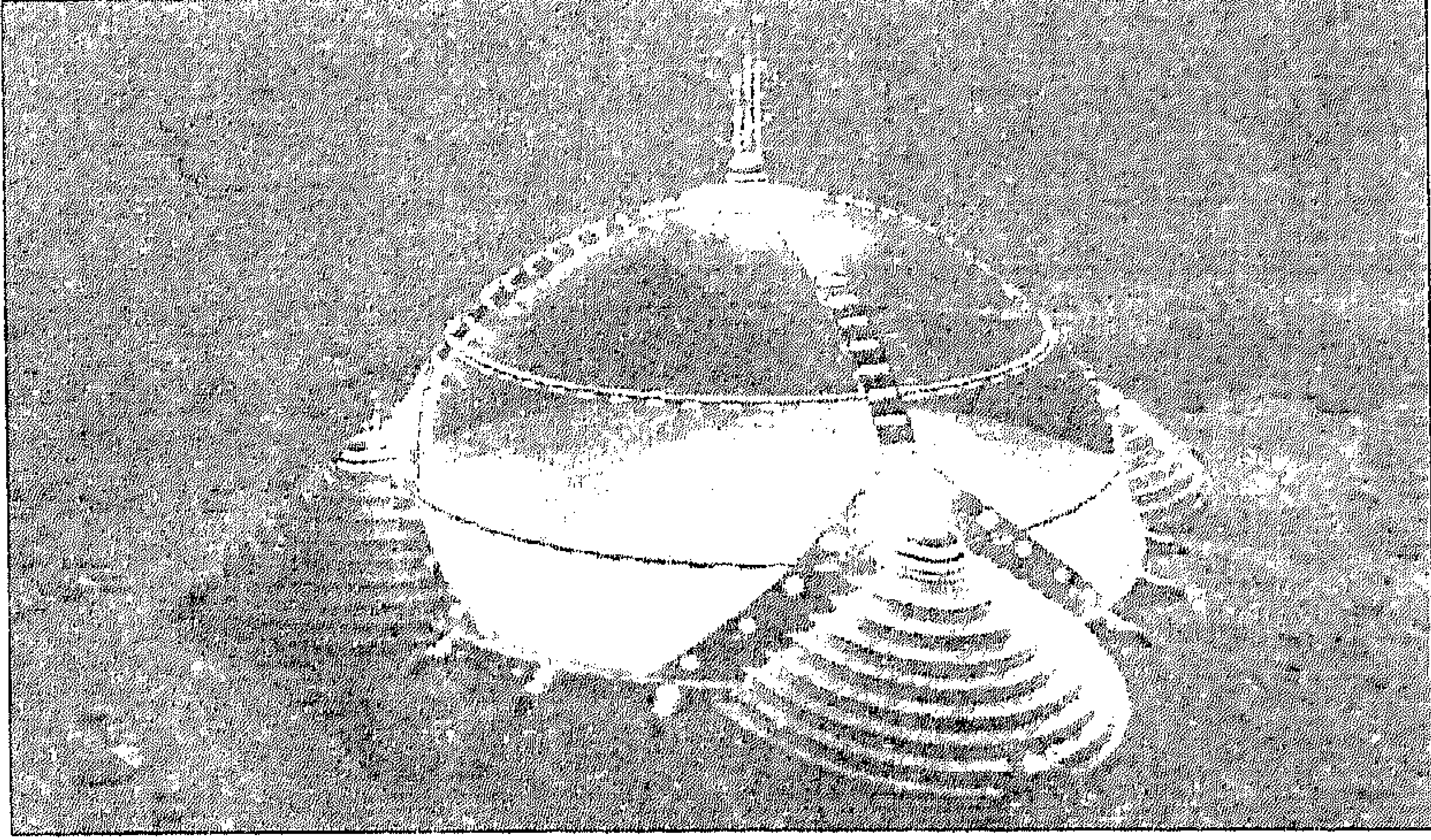
تركزت الأهداف الرئيسية من إجراء تجارب المعيشة على قاع البحر في الآتي [22] :-

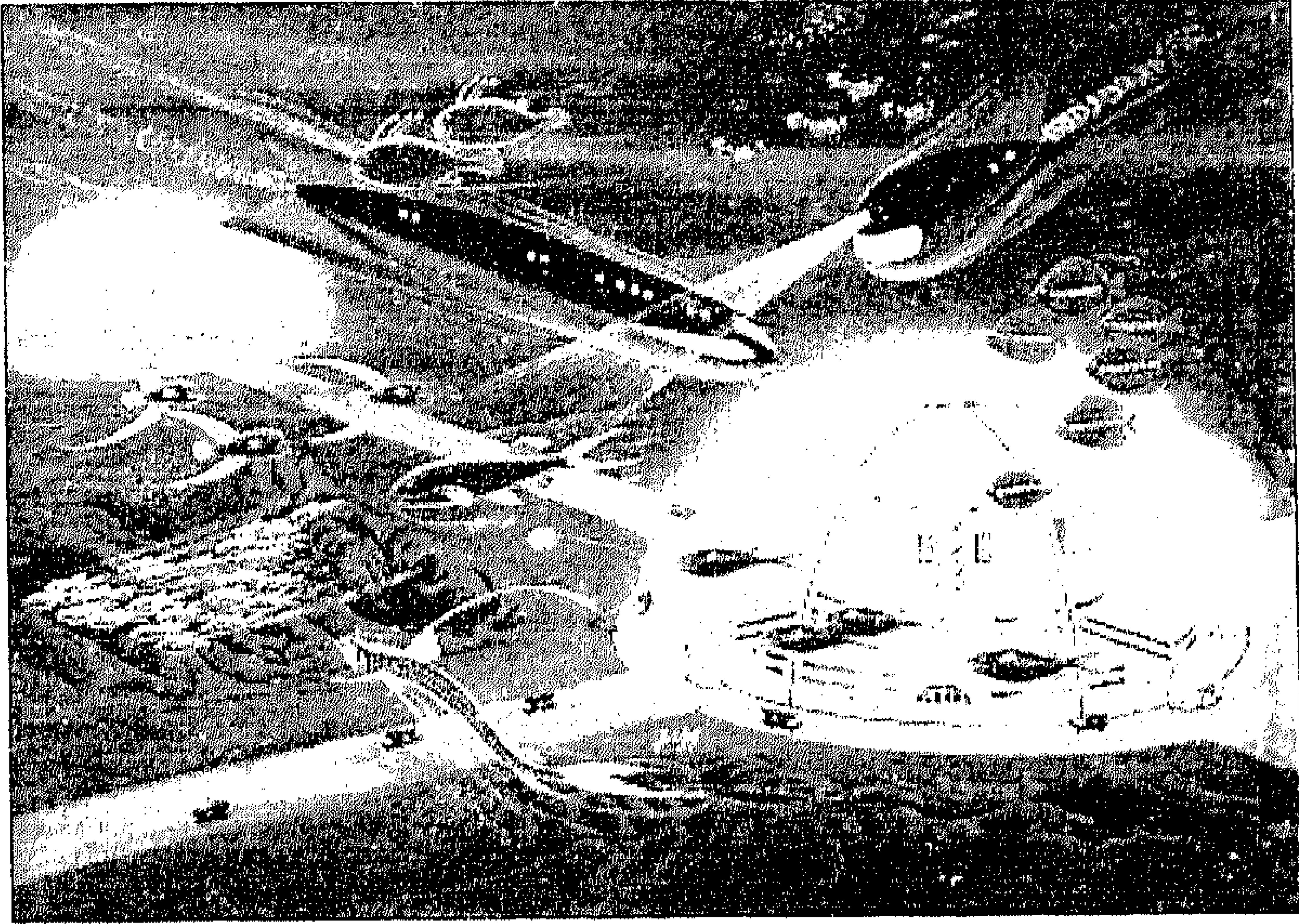
1. إنقاذ السفن والطائرات والصواريخ العابرة بأنواعها، سواء في الأعماق البسيطة أو الكبيرة
2. انتشال البضائع الثمينة أو الخطرة في مختلف الأعماق.
3. إجراء الإصلاحات الطويلة في السدود والخزانات.
4. مساعدة الغواصات المصابة.
5. استخراج المعادن والثروات من قاع البحر.
6. الحفر تحت الماء.
7. إجراء استطلاع وتجارب الجيولوجية والبيولوجية.
8. التجهيز الموضعي قبل التركيبات والإنشاءات الضخمة كالإنشاءات الأسمنتية مثلا.

9. الأبحاث والتطويرات في الحياة البحرية والمواضيع العلمية.
10. الأبحاث والتطويرات في معدات الغوص وأدوات الأعمال.
11. عمليات اللحام والصيانة تحت الماء.

تقتصر معظم التصاميم لمحطات المدن في أعماق البحر على تصورات ساذجة تراعي جمالية الشكل الخارجي للأغراض السياحية، ويلاحظ استخدام عنصرين ثابتين: ـ أولا: ـ القباب نصف الدائرية عادة، ثانيا: ـ الحوائط الزجاجية المضاءة من الداخل أو من اعلي، انظر إلى الشكل التالي، وربما يلاءم ذلك مع الضغط البحري البسيط تقريبا في المياه بسيطة العمق (من 10 إلى اقل من 50 متر تقريبا، ولا يناسب ضغط ماء البحر لأعماق كبيرة للغاية تزيد على 100 متر وما هو يفوقها، على أي حال تحتاج إلى الأتي :ـ

1. تقديم الاستثمارات المالية الكبيرة، بما تفوق ما خصص للمنشات على سطح اليابس، وعدم انتظار العائدات المالية وتحقيق الربحية في المراحل الأولى.
2. إجراء التجارب المستمرة على ملائمتها، والتقليل من مخاطرها.
3. الاحتياج الدائم إلى فترات زمنية مناسبة، للنضج والاستقرار والوصول للحد الآمن من الكوارث.
4. مقاومة التآكل المستمر.
5. توفير وسائل التهوية والتنفس.
6. نقل وإنتاج الكهرباء والطاقة بصورة آمنة إلى الأعماق.
7. التخلص الأمن من التلوث الهوائي والمائي والبيئي.
8. معالجة الصرف الصحي بما لا يخل بالبيئة.
9. تامين حركة النقل والمواصلات وانتقال البشر والسلع من السطح إلى الأعماق.
10. توفير وسائل النقل البحرية بين الأعماق والبؤر الاستيطانية المشابهة.
11. الاستعداد الممكن للتوسع وإضافة مساحات جديدة للمناطق العمرانية المكتظة تحت سطح البحر.





شكل (20) تصاميم افتراضية مختلفة عن مدن البشر تحت سطح البحر.

هل من المحتمل اكتشاف جزر وبحيرات جديدة على سطح الأرض في المستقبل؟ ! .

إذا جاز توجيه هذا السؤال إلى احد أساتذة الجغرافيا فغالبا سيكون الرد قبيحا لسؤال سخيفا، فكيف تطرح أفكار مماثلة؟، بعدما تم رسم ومسح خريطة كوكب الأرض في القرون السابقة، وبلغت حدا كبيرا من الكمال في نهايات القرن العشرين، إلا أن الاعتقاد في بلوغ الكمال هو الجمود العلمي في ابسط صوره.

جرى مسح القطب الشمالي المتجمد على سبيل المثال، ورسمت خرائط لامتداد الجليد عليه، وكان من المتوقع أن تظهر على الخرائط بضعة جزر تحت ركام الجليد السميك، هذا ما توقعناه، على الرغم من جهود العلماء المتخصصين في المراكز البحثية المهتمة، والدراسات الكثيفة للمنطقة، واستخدام آلات رصد متقدمة، من بينها الرادارات لاختراق الجليد، ونجحت في رسم قاع القطب الشمالي المتجمد، وأظهرت ما يشبه "ممر" عند نقطة القطب الشمالي نفسه، انظر إلى شكل التالي ، ربما ساهم في وجودها وتعميقها حركة دوران الأرض حول نفسها، وما يصاحبه من "طردا مركزيا" للقارات نحو الأطراف.

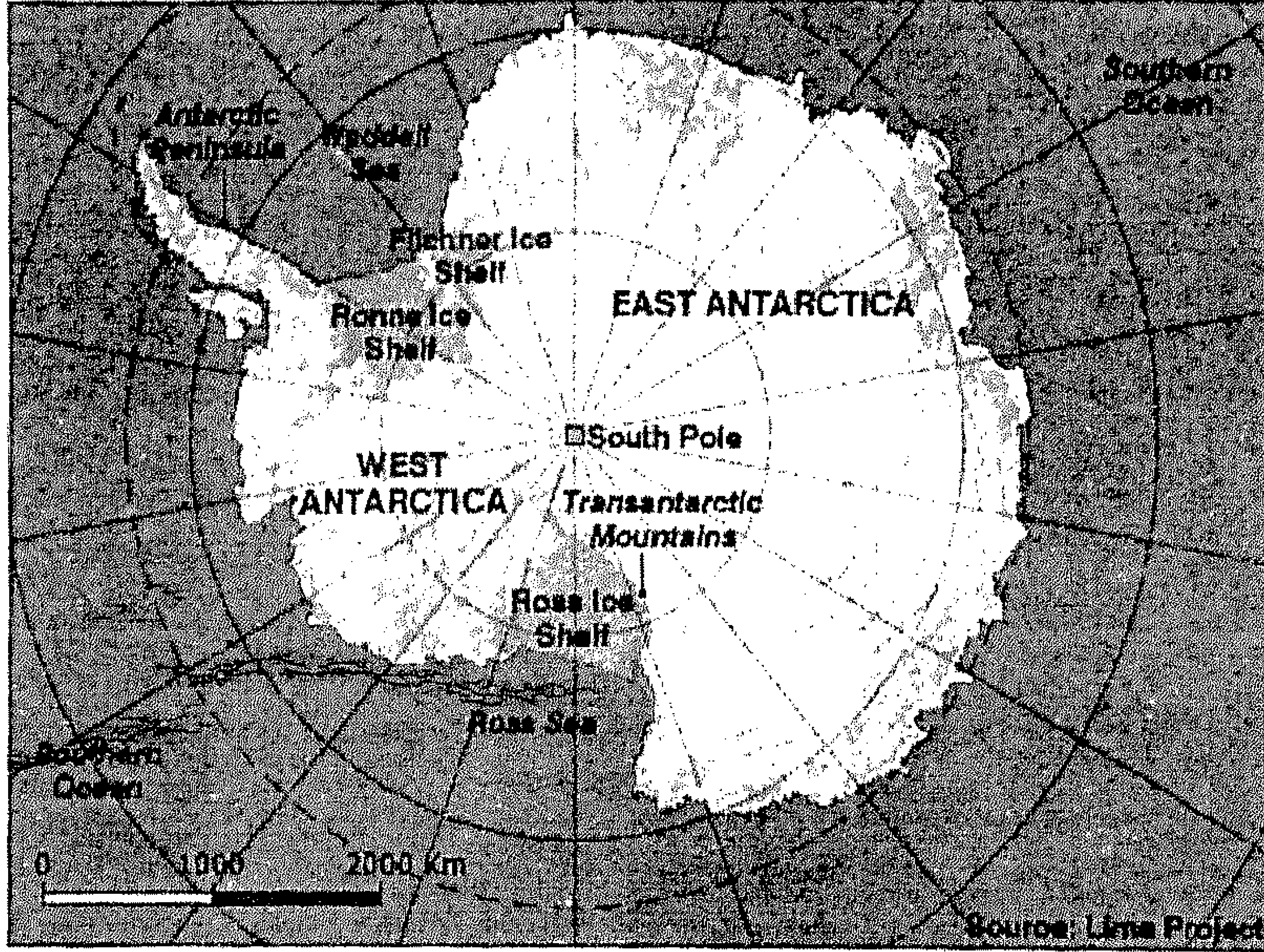
الغريب في الموضوع وجود القارة القطبية المتجمدة **"انتراكتيكا"** في المكان المقابل في القطب الجنوبي، فلماذا لم تتزحزح نحو الأطراف هي الأخرى؟، ونظرا لان الخرائط التي ترصد هذه القارة ما زالت في بدايتها، وتكتفي حاليا برسم خريطة "المظهر الخارجي" الظاهر للعيان، ولم تُرسم حتى الآن خريطة تضاريسية دقيقة للمنطقة، وهو ما يسمح لنا بان نعتقد على سبيل المثال: ـ وجود ما يشبه " **بحيرة منخفضة المنسوب عن سطح البحر، أو على الأقل منخفضة المنسوب عما جاورها من جبال وأراضي مرتفعة**" تشغل مركز القطب الجنوبي، تتسع تدريجيا بفعل زحزحة القارات! .

ماذا تخفي "الغابات " الكثيفة على سطح الأرض؟، جاب العلماء أطرافها حتى الآن، واخترقها بصعوبة، ورصد الكائنات التي صادفها إثناء مروره، ماذا عن الكائنات الانعزالية الخجولة التي هربت من لقي البشر؟، وهل سوف يعيد الإنسان نظرته للعالم؟، هل سينطبق الأمر على تصنيفات الظاهرات الطبيعية، الجبال والأنهار والقارات . . . ، هل من الممكن خفض رتبة بعضها؟!، ليتم مثلا إطلاق "جزيرة إفريقيا" بدلا من القارة الإفريقية؟!، وهل من الممكن إعادة وصف الأنهار طبقا لمستوى ملوحة أو عذوبة المياه، فيصبح نهر النيل مثلا نهرا شبه عذبا من الناحية العلمية في المستقبل!، ولم لا؟، في مصيرا مشابها لما يتبارى فيه الجغرافيين انطلاقا من انتماءاتهم الوطنية، فل نهر النيل ام نهر الأمازون الأطول على سطح

الأرض على سبيل المثال، او الخلاف حول تسمية "الخليج العربي" ونزع تسميته القديمة (الخليج العربي) وإنكارها تماما، هكذا تسير الأمور، وتثار القضايا، ويتصارع العلماء والجهلة حول المسمى والمعنى ودقائق الأشياء التافهة التي لا نفع منها غير التسلية في أوقات الفراغ (الجمود) وتعثر النزعة الابتكارية المجددة للعلم.



شكل (21) خريطة تضاريس قاع القطب الشمالي المتجمد،
يظهر ما يشبه "ممر أو اخدود" عند نقطة القطب يبدأ من جهة جزيرة "جرينلاند" إلى وسط روسيا.



شكل (22) خريطة القارة القطبية الجنوبية المتجمدة أنتراكتيكا
ماذا يخفي الجليد تحت السطح ؟.

فرضيات وحيثيات استقرار الانسان على سطح القمر.

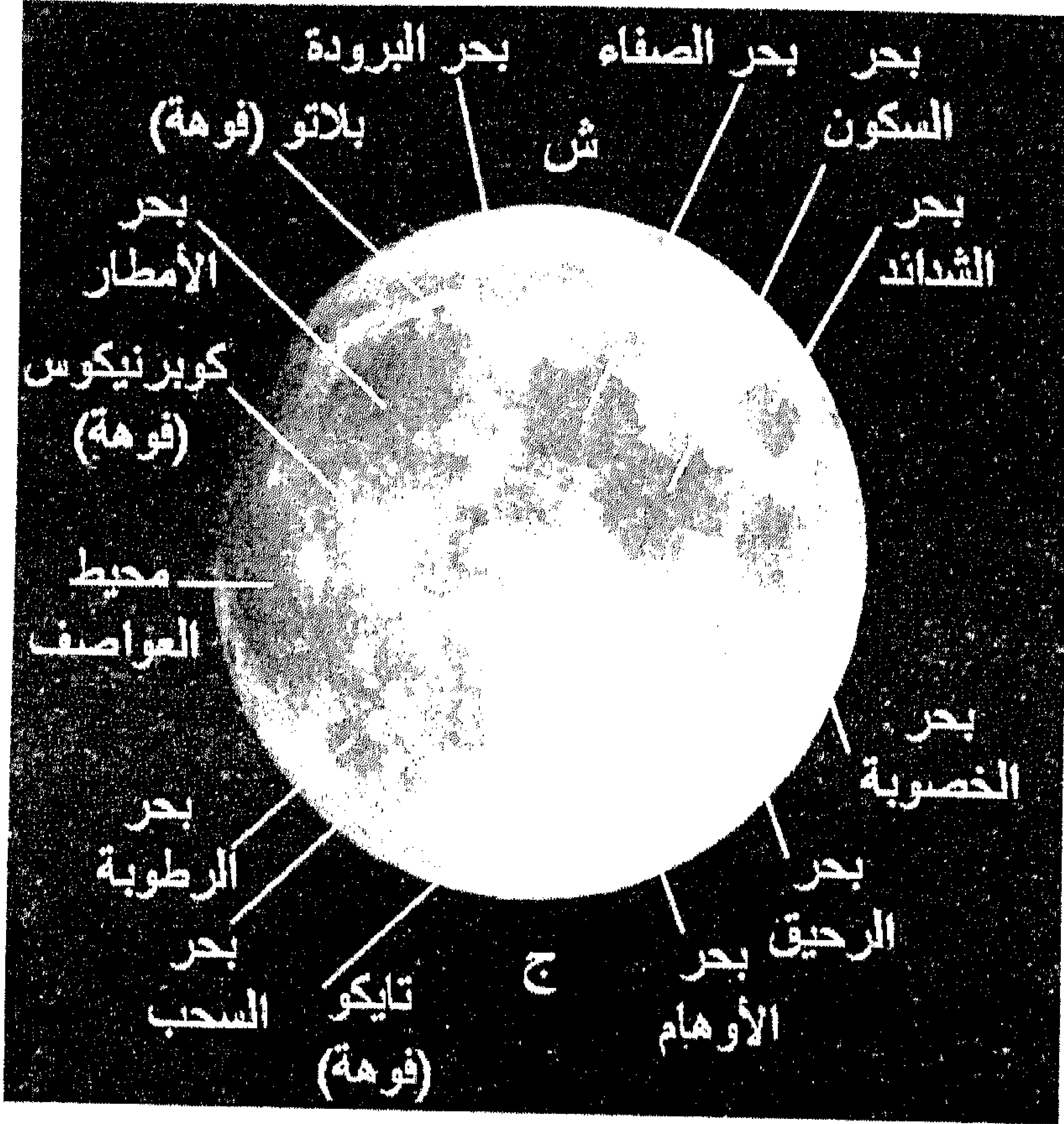
إن الملفت للنظر ان تم هبوط الانسان لاول مرة على سطح القمر في سنة 1969 م فيما يعرف بـ" بحر السكون " (يطلق عليه ايضا بحر الهدوء لأنه ترجمة لمصطلح 'Mare Tranquillitatis')، انظر الى الشكل الالي، وهو عبارة عن منطقة منخفضة المنسوب، تتسم بالاتساع وقلة وعورة السطح [23]، هذه الاسماء محل اعادة نظر وتغير كامل، ليس في المستقبل البعيد، بل في السنوات المقبلة، فور بدايات الاستيطان البشري الحقيقي على سطح القمر.

تعد محطات هبوط الانسان على سطح القمر من البؤر الاستيطانية المحتملة للبشر، واعتبارها من اكثر المناطق الصالحة للسكن والتوسع العمراني واقامة "مدينة اولية" لرواد الفضاء والعلماء وراغبي التنزه السياحي، وغالبا ما سيكونون من المستوطنين الاوربيين بصفة خاصة في المرحلة الأولى.

التصور المبدئي لأولى مستوطنات البشر على سطح القمر.

هناك حاجة ماسة لا خلاف عليها حول المراكز الحيوية التي يجب أن تتوافر في المستوطنات البشرية المزمع إقامتها على سطح تربة منبسطة من كواكب المجموعة الشمسية، كالتالي: ـ

1. مرفأ (ميناء جوي وفضائي) على سطح القمر.
2. مخازن الطعام (ثلاجات) .
3. مخازن السلاح والمعدات.
4. مقر الإدارة والمراقبة
5. مراكز الأبحاث والتسجيل.
6. منازل مؤقتة.
7. محطة استخراج وتنقية وضخ الماء.
8. محطة إنتاج الطاقة.
9. مراكز الرعاية الصحية.
10. مركز التأهيل الجسدي والنفسي للتكيف مع البيئة الجديدة.
11. قاعة اجتماعات.
12. مركز الاتصالات الداخلية والخارجي.
13. مركز الدراسات البشرية والبيئية.
14. محطة الزراعة والتنمية البيولوجية.
15. مركز تربية الحيوانات والدواجن.
16. مركز الطبخ الصحي ومطاعم.
17. مركز رياضية وأنشطة ترفيهية.



المصدر : ـ موسوعة ويكبيديا، خريطة القمر.

شكل (23) خريطة عامة لتضاريس سطح القمر.

تبدو أسماء الظاهرات على سطح القمر ساذجة ومتسرعة وقابلة للتغيير السريع في السنوات المقبلة، وليست لها علاقة بالواقع، ولا تعكس الحقائق الجغرافية المعمول بها على سطح الارض، فاين البحارة على سطح كوكب يخلو من الوجود الظاهري للماء؟، وفقا لما ادعته الرحلات الفضائية الاولى، ثم اكدت على وجود كميات كبيره تصلح لاقامة المستوطنات البشرية، كما لا تلقى ترحابا بين المروجين لمشاريع السياحة الفضائية، وخطط الاستيطان المستقبلي على سطح القمر، هل يلقى مثلا مكان يحمل اسم "بحر الاوهام" قبولا للذوق السياحي عالي التكلفة؟، ويبدو ان للاسماس عمرا افتراضيا تنطبق على كل الأشياء، بما فيها

الفضاء، فعلى سبيل المثال : ـــ اكتشف جاليليو باستخدام التلسكوب "الأقمار الأربعة" الأسطع ضوءا والأكبر حجما لكوكب المشتري في مطلع عام 1610م، وأطلق بنفسه عليها اسم "نجوم ميدتشي"، تكريما لاسم الأسرة الحاكمة في فلورنسا، وان كان معروفة لعلماء اليوم باسم "أقمار وتوابع جاليليو" حول المشترى [24] ، فلابد ان تتغير مثلما تم تغيير المسمى المطلق على الطرف الجنوبي لقارة افريقيا ابان الكشوف الجغرافية، من "راس العواصف"، الى "راس الرجاء الصالح" على سبيل المثال، وتعد جبال سطح القمر التي تم تسميتها على اسماء مطابقة للجبال على سطح الأرض موضع إحلالها باسماء اخرى، أو على الاقل أعادة تسميتها بما يهوى سكان القمر في المستقبل .

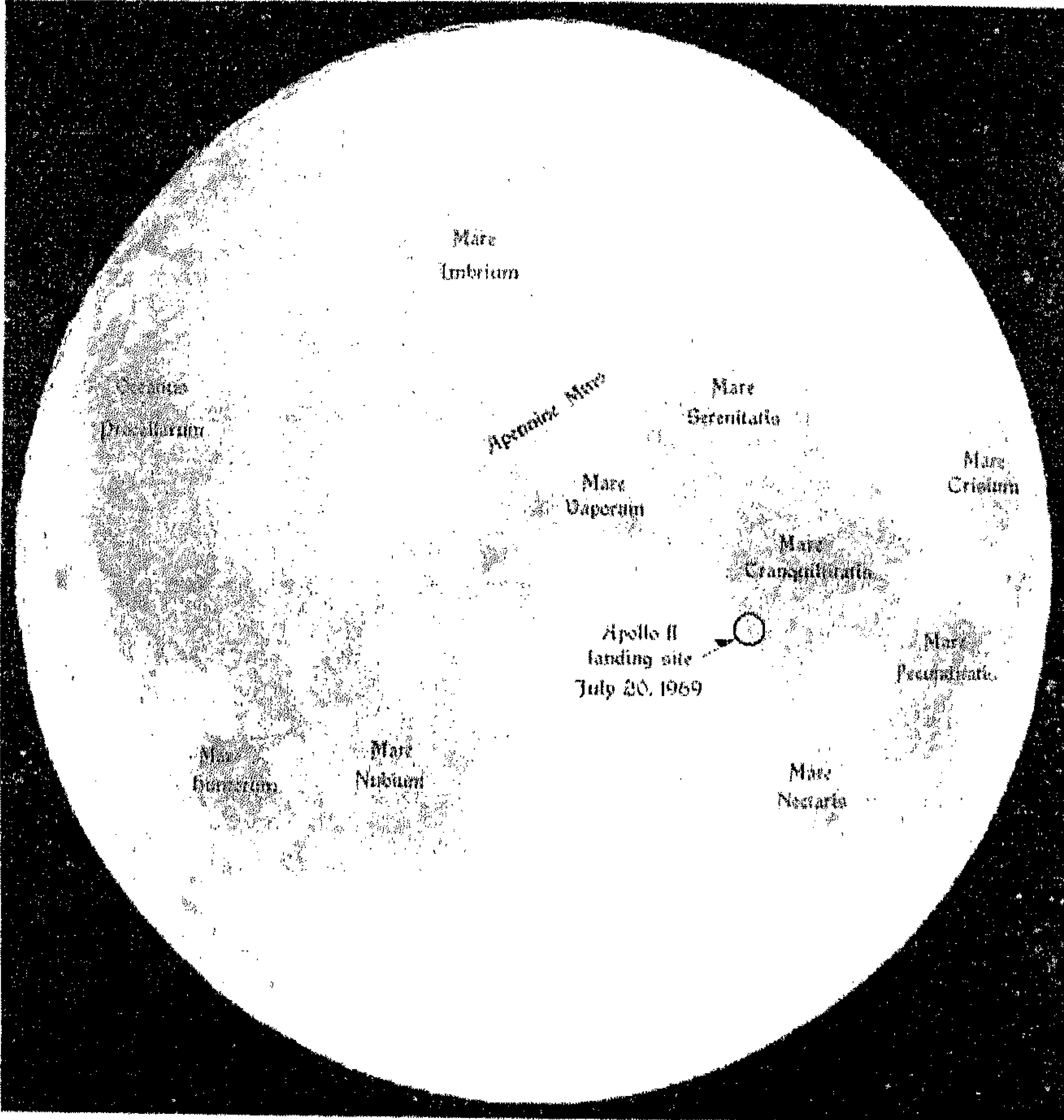
وقد فضل الانسان الهبوط على قاع البحر (المنخفض) بدلا من المرتفعات غير المستوية معظمها، ربما ستشهد حالة معكوسة من استيطان الانسان للمناسيب المنخفضة عن متوسط منسوب البحر(الفرق بين اعلى نقطة واخفض نقطة على سطح القمر) بدلا من المناسيب العليا، والتي المحصر عليها استقرار الانسان على سطح الارض منذ الخلق حتى الان.

عينات صخور القمر . . مادة علمية خام . . ام طرائف للهو ؟.

أثناء جولات رحلات الفضاء الأمريكية، جمعت حوالي 2.415 عينة تزن 382 كيلوجرام، كما وجد أكثر من 90 نيزك قمري على الأرض ابتداء من 2006، والتي شملت أكثر من 30 كيلوغرام من المواد.

تشير الدراسات التي أجريت على بعض عينات صخور القمر أنها ذات تركيبة جيولوجية قديمة، تشبه صخور الأرض في حقبة سابقة تعود إلى ملايين السنين [25] ، إن أهم ما أمكننا إدراكه من تفاصيل جيولوجية معقدة للغاية صلاحيتها لزراعة، والإنشاءات وتحملها للمباني، ونستطيع أن نتوقع تنوعا كبيرا سوف يكتشف في المستقبل بما يدعو للدهشة، وتعدين خامات ومعادن كثيرة، تساهم في البنية الصناعية والتكنولوجية حينما تجرى محاولات فعلية لاستغلالها .

جمعت صخور القمر باستعمال تشكيلة من الأدوات، من ضمنها المطارق، وأدوات البحث والتنقيب، والمجارف، والملاقط، وأنابيب الحفر، وتم تصوير معظمها لكي تسجل أماكن وظروف تواجدها. تم وضعها داخل حقائب لحمايتهم من التلوث.



المصدر : ـ وكالة ناسا الامريكية للفضاء، خريطة القمر.

شكل (24) مناسيب سطح القمر، تشير الدائرة الصغرى
إلى منطقة هبوط الانسان على سطح القمر سنة 1969 م .

تعتبر صخور القمر التي جمعت أثناء فترة الاستكشاف القمري الآن ثمينة للغاية، وأغلبها مخزنة تحت النتروجين لكي يقيهم من الرطوبة ومن جو الأرض، إن

المستودع الرئيسي لصخور القمر الخاص يقع في أماكن متنوعة، وتلقى معاملة متباينة للغاية، كالتالي : ـ

- مبنى العينات القمرية في تكساس (الولايات المتحدة).
- مجموعة أصغر مخزنة في قاعدة القوات الجوية في تكساس.
- تم بيع ثلاثة أجزاء صغيرة في عام 1993 ، تزن 0.2 كيلوغرام من روسيا إلى الولايات المتحدة مقابل 442.500 دولار أمريكي.
- سرقت خزانة من مبنى العينات القمرية في عام 2002 تحتوي على عينات دقيقة من مواد قمرية ومريخية، ثم استعيدت العينات، وفي عام 2003 قدرت ناسا قيمتها للمحكمة بحوالي مليون دولار أمريكي لـ 285 غرام من المادة.
- تباع صخور القمر التي على شكل نيازك قمرية على نحو واسع، وتتاجر بين الجامعين، على الرغم من غلائها الشديد.
- قدمت بضع مئات من العينات الصغيرة إلى الحكومات الوطنية والحكام الأمريكيين، تمت سرقة أحدها على الأقل لاحقا، ثم تباع، وبعد ذلك تستعاد.
- ذهبت العينات الأخرى لمتاحف مختارة، منها المتحف الوطني للطيران والفضاء، ومتحف كانزاس كوسموسفر الفضائي، وقسم الزوار في مركز كينيدي للفضاء، حيث يمكن أن "تلمس قطعة من القمر"، والتي في الحقيقة صخرة قمرية صغيرة مستقرة على عمود بالقرب من مكان تجوال الزوار.
- جمع بعض غبار القمر من الآلات التصوير الفضائية حينما نظفت إحدى آلات التصوير بعد المهمة.

يبدو من ذلك الإسهاب المطول حول مصير عينات الصخور التي تم جلبها من القمر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أنها تعامل على أنها نوعا من "الطرائف" حتى الآن، ليست مجرد مادة علمية محضة، يذكرنا ذلك حينما كان الظهور الأول لمعدن الحديد يعتبر بمثابة طرائف أكثر من كونه مادة نافعة عمليا [26] ، كما كان ينظر إلى التلسكوبات المبكرة في عام 1609 م ذات قوة تكبيرية للجسم المرئي لثلاث مرات معروضة للبيع باعتبارها "لعب الأطفال" في باريس [27]، ولازال مصير معظم العينات لدى روسيا السوفيتية أمرا غامضا، خضعت بعضها لدراسة العلماء، بعضها فقط، فهل كان يلهو بها زعماء الحزب الشيوعي؟ !، ورؤساء الاستخبارات مهيبي الطلعة؟! ، وشكلت جزءا من بين التفاخر بمقتنيات وأوسمة الاستحقاق العسكري، نعتقد هذا، ومصيرها أكثر عبثية لدى الدول الصديقة، حينما قدمتها الولايات المتحدة كهدايا تذكارية لبعض الدول الحليفة، من بينها مصر على سبيل المثال، كمجاملة سياسية، فهل انزوت في خزائن ثروات الرؤساء المشروعة وغير المشروعة، وربما أصاب الدهشة حينما أعيد فحص محتويات الأقبية والخزائن بعد موتهم، وتساءل الورثة عن قيمة حجارة عادية تشبه أحجار الأرض، وضعت جنبا لجنب بين الذهب والفضة والماس ؟ ! .

متى يبدأ اتخاذ كوكب القمر مثلا مسكنا دائما للبشر ؟ . . ما هي الدلالات ؟ .

عندما يسرق اللص منزلا مهجورا ويبدأ في سلب محتوياته مرة تلو مرة ويودع المسروقات في منزله البسيط، فهو يعلم ان هذا المنزل ليس ملكا له، ولن يكون، ثم يكتشف تدريجيا أن المنزل المهجور لا صاحب له، لا احد يدعي ملكيته عليه، لا احد ينوي الإقامة فيه، فهل يمكنه أن يستولي على المنزل نفسه؟، هل يمكنه الانتقال والعيش في البيت المهجور؟، إذا اقتنع بالفكرة وبلغت منه مبلغا واقعيا فسوف يبدأ في نقل مقتنياته وأدواته إليه، تمهيدا للإقامة النهائية.

رصدت حالات الاستيلاء على أراضي الغير، خاصة أراضي الدولة غير المستغلة، تبدأ بمحاولات ماكرة من شغل المكان تدريجيا، كاتخاذه كمنطقة لتأدية الصلوات، وركن السيارة، وإقامة مظلة . . . ، مع ملاحظة ردود الأفعال على شغله للمكان، وعدم ممانعة احد، ليبدأ بعدها على الفور شغل المكان بكل تبجح، وبناء بيتا خاصا، وزراعة المناطق المحيطة به، بل وإمكانية بيع الأرض المسلوبة إذا سنحت الفرصة، وحين يظهر أصحاب الأرض الحقيقيين، ويطالبون بحقوق ملكيتهم الشرعية، ترتسم المفاجأة على وجوه المحتالين، ويستميتون في الدفاع عن سلبهم، مدعين شرعية شغل المكان لسنوات طويلة، مطالبين بالإبقاء على الوضع الحالي، ويتباكون للسلطات، مطالبين بمراعاة هذا الموقف الإنساني الذي قضته الظروف! .

وقد استطاعت الرحلات الناجحة إلى القمر جلب عينات كثيرة من تربة وصخور الكوكب، والاكتفاء بنقل عربة لتيسير التنقل، وأدوات للحفر والتنقيب لأخذ العينات، ولم يسع لإعادة شحنها إلى كوكب الأرض لارتفاع التكلفة فقط، أما المرحلة الحقيقية للنقل إلى القمر فلم تأتي حتى الآن، بل أن التفكير فيها مازال مبدئيا وفي مرحلة التجارب، وينحصر فقط في توفير سبل الإعاشة على سطح كوكب الفضاء، تمهيدا لاستكمال الرحلة.

يتوقع أن تمر مرحلة اتخاذ كوكب القمر على سبيل المثال مقرا دائما لمجمعات من البشر، حين يفرغون من دراسة خصائصه الجديدة، أو يقللون من كثافتها، مقابل السعي الحقيقي لنقل عينات الصخور والنباتات والحيوانات والبشر إليه، من **"مرحلة التوقف عن سلب كنوز الكوكب" إلى "مرحلة نقل كنوز الأرض إليه هو"**، سيصاحبها انتقال مجموعات من البشر من الذكور والإناث، لا تخطط أو تحلم بالعودة إلى كوكب الأرض، وتتأقلم بكل جدية في بيئتها الدائمة، وتتزوج وتتناسل وتنجب "أطفال العالم الجديد"، وتسعى لإقامة حياة متكاملة، حتى الموت، والتفكير

في إقامة مقابر للبشر في الفضاء، إن موطنك هو الأرض التي تولد وتعيش وتموت فيه.

من المفترض أن يزداد تركز البشر حول مصادر الحياة الأساسية في بيئات الكواكب الفضائية الجديدة، وخاصة محطات المياه ومستودعات الطعام والمراكز الصحية، ومحطات الاتصال ومهبط الطائرات والصواريخ الفضائية، ومن الممكن أن نفترض مواقف وحالات تتأخر خلالها تلقي الأوامر الموجهة من الإدارة العليا لكوكب الأرض، لينموا تدريجيا ملكة الإرادة الحرة والتصرف الحكيم وفقا للضرورة، وإعطائهم مساحات من الارتجال وتقدير الموقف، لاتخاذ قرارا حاسما تقتضيه الضرورة، مثلما يمنح لضباط السلاح البحري في مهامهم وتحركاتهم وتصرفاتهم في المواقف الحرجة، إن التوقف عن تلقي المساعدة، أو مجرد الاعتقاد في ضعف تلبية الاحتياجات المطلوبة منها هو الحافز الأقوى في التصرف، والاستقلال الإداري المبدئي لشئون الفضاء في المستقبل.

المناطق المتوقع الاستيطان البشري على سطح القمر.

نود أن نؤكد على أن عمليات استيطان البشر في أي كوكب، وليكن سطح القمر على سبيل المثال لن تلتزم حرفيا بالخطط الدقيقة التي سوف تُعد لذلك، وبشكل عام من النادر أن تجرى الأمور بلا مفاجآت في أي خطة مسبقة تمت على سطح الأرض في مجال الحرب أو السلام، ويؤكد على ذلك ما حدث أثناء هبوط أول مركبة فضاء مأهولة بالبشر على سطح القمر، فقد ظهرت صعوبة النزول في المكان المحدد من قبل على سطح القمر في منطقة "بحر الهدوء" (Mare Tranquillitatis) فقد أدى انفصال المركبتان إلى إزاحة غير إرادية في المدار، نتج عنها أن قادهم الحاسوب الذي يقوم بعملية الهبوط آليا إلى مكان يبعد 5و4 كيلومتر عن المكان المحدد [28].

ربما يتبادر إلى الذهن أن المناطق المأمول استيطانها على سطح القمر هي بالضرورة المواقع المستوية التي هبطت عليها المركبات الفضائية منذ الرحلات

الكشفية للقمر، لكننا لا نرى التزاما مطلقا بين "مقر الهبوط" و"مقر السكن"، خاصة بسبب تغيرات ضوء الشمس وانعكاسه من سطح القمر، وتوالي مراحل أوجه القمر من الهلال إلى البدر إلى زواله تدريجيا، مما ينجم عنه أن متوسط ما يناله قطاعات سطح القمر المقابل لكوكب الأرض هو نصف شهر قمري تقريبا (14 يوما)، أما الجزء غير المقابل للأرض فيعيش في ظلام كامل طوال العام.

ويعتبر الضوء احد أهم مقومات الحياة للإنسان، خاصة لمساهمته في رفع درجة الحرارة، بما يسمح أن يتقارب مع أوضاع الحياة الممكنة للبشر، ولذا نرى أن أفضل المناطق المفترض اتخاذها مسكنا دائما للبشر تقع في أقصى الطرف الشمالي (القطب الشمالي) للقمر، فقد أظهرت الصور الملتقطة سنة 1994م (بواسطة المسبار كليمنتين) بأن هناك أربع مناطق جبلية على حافة فوهة "بياري" في منطقة القطب الشمالي تبقى مضاءة طوال اليوم القمري، وتبقى في حالة ذروة ضوئية دائمة، ولا توجد مناطق مشابه في القطب الجنوبي للقمر، بل على العكس توجد مناطق تبقى دائماً في حالة ظلمة مثل قيعان الفوهات الصدمية، وبطبيعة الحال تكون درجة الحرارة منخفضة بشكل كبير في هذه المناطق [29] ، ونعتقد أن مساحات قمم القطب الشمالي ضيقة ولا تسمح بحرية الإنتقال على القمر والإتصال بالأرض، وسهولة متابعة أنشطتها وإدارتها من الأرض، ولا تتيح بناء "مدينة قابلة للتوسع" على سطح القمر.

على أن الاستيطان في المناطق المظلمة موسميا، وكذلك المظلمة دائما، وضعا غير مستحيلا، وان كان غير ميسرا، ومكلفا بعض الشيء، ومنفرا لطبيعة البشر الباحثة عن تقليل النفقات مع زيادة العائد، فمن الممكن أن يقنع مجموعة من البشر بالاستيطان في مناطق موسمية النور والظلام، ربما بفعل التزاحم في القمم دائمة الإضاءة، والنأي بأنفسهم عن التبعية السياسية الإلزامية لسكان تلك المناطق.

إذا جاز لنا أن نتخيل هذا الوضع الجديد فسنجد امتدادا للمستوطنات البشرية المضاءة في الليل القمري، لتتلألأ من الفضاء، وتمثل مؤشرا على توزيع

البشر على القمر، وربما يغازلنا سكان القمر بكشافات من الليزر، كنوع من اللهو، والتعبير عن وجودهم وحرية التعبير عن ذاتهم.

على كل حال يمثل كوكب القمر حالة مختلفة تماما عن الأوضاع السائدة على كوكب الأرض، فنجد أن لكل منطقة حافزا مساعدا على الاستيطان، مع معوقا قويا على ذلك أيضا، لا يقف الأمر عند حد الضوء والظلام، بل أشياء كثيرة، من بينها بنية الصخور، فتعتبر بنية التربة مخلخلة تم إضعافها على مدى الآلاف وملايين السنين بفعل الجاذبية الناشئة عن كوكب الأرض، نجد أن وجه القمر الآخر غير المرئي لنا من على الأرض أكثر قوة وتحملا واندماجا، قادرا على تحمل الإنشاءات البشرية في المستقبل، كما أن الفوهات الباردة ذات التضاريس الوعرة تتيسر خلالها عمليات التنقيب واستخراج الماء على سبيل المثال، سيساهم كل ذلك في حيثيات توزيع السكان وإعادة تصنيفهم وهجراتهم وتكيفهم على سطح القمر في المستقبل الآني بإذن الله. .

هل يمكن أن ينشأ "تقويما عالميا" جديدا للبشر ؟ ! .

أدرك البشر منذ القدم تغيرات دورة السنة القمرية قبل السنة الشمسية، ولذا فان العلماء يرجحون اعتماد الإنسان القديم عليه في معرفة التقويم قبل معرفته بأسس علم الفلك، وقد عرف الفراعنة التقويم الشمسي، لكنهم لم يعتمدوا على تقويما واحدا معمول به طوال عهدهم الطويل، واستخدموا تقويما جديدا عند اعتلاء كل ملكا جديدا عرش مصر، يبدأ حينها العد التصاعدي حتى ينتهي حكمه أو ملكه، وربما كان ذلك احد عوامل ضعف تسلسل وتعاقب مجريات التاريخ المصري القديم، وشكل عقبة غامضة أمام علماء المصريات حتى الآن.

وقد بدا التقويم الميلادي على أيدي الرومان أنفسهم، وهو التقويم الجريجوري، وقسمت السنة إلى 365 يوم وربع، ويجمع الربع كل أربع سنوات فيما يعرف بالسنة الكبيسة في شهر فبراير، ويصبح حينها 29 يوما بدلا من 28 يوما، وقد كان عدد أيام شهر فبراير في بدايات العهد الروماني 30 يوما، يصبح 29 في

السنوات غير الكبيسة فقط، ورأى "أغسطس قيصر" أن يأخذ منه اليوم رقم 30 ليضيفه إلى شهره المسمى على اسمه "أغسطس"، لألا يتفوق عليه شهر "يوليو" (المسمى على اسم يوليوس قيصر) في العدد أو العدة، حافز الغيرة وحدها غيرت مجريات التقويم الميلادي لا أكثر.

هل ينتهي التقويم الميلادي فعليا ؟ !، بالطبع، ولم لا ؟ !، طبقا للمفهوم الديني الغيبي لدى كل من العالم المسيحي نفسه إضافة إلى العالم الإسلامي، فان السيد المسيح يُنتظر له ان يعود مرة أخرى إلى الأرض، كإحدى علامات اقتراب "يوم القيامة" ، فما قيمة استمرار عد السنوات حينها على نفس الطرية دون تغيير يذكر ؟ ! .

ما الذي أدى إلى ظهور مصطلح "السنة الضوئية"؟، هو احتياج العلماء إلى قياس وتقدير مسافات شاسعة بوسائل تفوق المعهود به في إحصاءات البسيطة على الأرض، وهناك مواضع خلل كثيرة في التقويم الميلادي، تدعو إلى إعادة النظر في الاعتماد عليه بدون تعديل، او تغييرا كاملا، او الاستغناء عنه تماما، لعدة أسباب، أبرزها :ـ

- **قصور الدقة في التقويم الميلادي (الشمسي).**
- **تغير الأمزجة للبشر في كل فترة زمنية** :ـ لاحظنا ان كتاب "وصف مصر" على سبيل المثال يتبع فيه علماء الحملة الفرنسية على مصر تقويما خاصا بهم، يبدأ بالثورة الفرنسية، وكانوا يأملون ان يعمم على مستوى العالم، لكنه لم يحدث بفعل مواجهة القوى العالمية لطموحات الثوار التوسعية والايدولوجية، وتقلب الأوضاع السياسية من الثورة إلى عودة الملكية الفرنسية مرة أخرى، فما الذي يمنع من إعادة المحاولة من قبل زعماء مغرورين في المستقبل ؟ ! .
- **احتمالات نجاح الإنسان في الاستقرار الدائم على كواكب المجموعة الشمسية**:ـ تصبح السنة حينها أمرا مختلف عليه، لان دورة دورا الكوكب حول نفسه

تختلف تماما عن الفترة التي يقطعها كوكب الأرض للدوران حول نفسه، فعن أي سنة نقصد؟ !، سنة كوكب الأرض، آم سنة كوكب المريخ على سبيل المثال.

- **احتمالات وقوع أحداث كبيرة ذات تأثيرات عالمية :** ـ وهو أمرا شائعا لدى شعوب العالم على مر العصور، بدا من الشعوب البدائية التي كانت تؤرخ أحداثها بالوقائع والفواجع الكبرى، كما فعل العرب قبل الإسلام، باتخاذهم لأحداث كبيرة كعلامات زمنية يبدأ العد من بعدها، حتى يأتي حدث آخر يفوقه أهمية، وكان عام الفيل إحدى هذه الوقائع الفريدة من نوعها، وجرى الآمر بطرق شتى في العصر الحديث، من بينها على سبيل المثال غارات دول المحور في الحرب العالمية الثانية على "برلين" في إحدى الليالي الهادرة شديدة الخراب والدموية على ألمانيا حتى ذلك الوقت.
- ظهور **أساليب جديدة لتدوين التاريخ وإجراء الملاحظات العلمية**، من بينها عد الأيام بشكل تصاعدي حتى نهاية السنة، فنجد على سبيل المثال: ـ اليوم رقم 1 . . . ، 100، . . . إلى اليوم رقم 365، وهكذا، وهو معمول به أحيانا في متابعات دورات الأقمار الاصطناعية حول كوكب الأرض، وبعض المراكز العلمية المتخصصة.

تؤكد تلك الحقائق على أن الفكر البشري لا زال في مراحل نموه المستمر الذي يصاحب النشاط العقلي ورؤى الإنسان، إن كان عاقلا أو ساذجا، ففي كلا الحالات يمكن أن يحدث تغيير ما لما نظنه نحن "**قواعد ثابتة**" في مفهومنا المحدود للحضارة البشرية المتنامية.

هل يمكن إعادة النظر في تقسيمات الأرض إلى خطوط طول ودوائر عرض جديدة ؟ !.

من الممكن أن يعاد النظر في وحدات القياس التي وضعها الإنسان أثناء تقسيماته لكوكب الأرض في 90 دارة شمالية و90 دائرة جنوبية، و180 خط عرض شرقي، ومثلهم غربي، نظرا لاضطرار الإنسان إلى وضع تمييزا رقميا مع التمييز العددي، مما يُحدث أحيانا بعض الخلل وتداخل المعلومات، حين يستخدم على سبيل المثال: ـ دائرة عرض 20 درجة (أين بالضبط شمالا أو جنوبا؟)، خط طول 60 (شمالا آم جنوبا؟)، ويتم الإحلال بوحدات أيسر واحدث وأسهل وأكثر دقة، فمن الممكن على سبيل المثال: ـ تقسيم الأرض إلى 180 دائرة عرضية مجتمعة، فيبدأ العد من القطب الشمالي إلى الجنوبي، او العكس، بلا توقف حتى النهاية، ويعمل بالمثل في خطوط الطول، ليتم العد بلا توقف حتى 360 درجة، ويصبح ليس هناك ما يعرف حاليا بشرق أو غرب خط جرينتش (خط طول صفر).

ربما يتم الاستغناء عن كل تلك الأرقام، وتقسيم الأرض إلى وحدات متساوية، منها على سبيل المثال :ـ ما يصل مجموعها النهائي إلى رقم 100، او يقسم الأرض على رقم 1000 درجة، أو استخدام وحدة ضوئية ثابتة، أو غير ذلك بما ستطرحه رؤى وحداثة وفكر التغيير العارمة في المستقبل.

الفصل الثالث

خصائص المجتمعات البشرية في المستقبل



الفصل الثالث

خصائص المجتمعات البشرية في المستقبل.

من نحن ؟ ! . . . تصعب الإجابة عن ابسط الأسئلة ! .

يمكن أن نبدأ بهذا المثال كمدخل علميا لحقيقة تضارب الآراء والنظريات حول ما يمكن أن نعتبره قضية مسلم بها، فقد فووجئت باعتباري رجلا مصريا بجدل في أمرا مسلما لدي، حين تناقشت مع إحدى الزميلات من دولة السودان (شمال السودان) بان جذور الفراعنة تعود إلى الشعب السوداني ! ، فهل كان ينتمي شعب المصريون القدماء إلى غير مصر ؟ ! ، تبدو الإجابة الحقيقية في غاية الغرابة ! .

1. يعني لفظ "**فرعون ـ فراعنة**" بيت الحاكم، أو يقصد به الحاكم نفسه، يشير تجاوزا الفئة الحاكمة من ملوك مصر القديمة، لكنه لا يعني سلالة بشرية على وجه الإطلاق ! .

2. سكن المصريون القدماء في ارض مصر، الأرض الفيضية السوداء على جانبي وادي النيل والدلتا، ولان الطمي يتوزع على ضفافه فان المناطق الواقعة بعيدا عنه للتو أراضي صحراوية صفراء، وهي جزء من المحيط العمراني والحضري والحركي لسكان مصر عبر كل العصور.

3. لم يستكثر شعب مصر القديمة إطلاق لفظ "فرعون" على من استطاع الوصول إلى سدة الحكم من شعوب المناطق المجاورة، من الليبيين والسودانيين والإثيوبيين وفقط، لا يطلقونه على سكان المناطق الشرقية، احتقارا للملوك الرعاة الذي اخضعوا مصر بمهانة في عهد "الهكسوس" .

4. يتهرب علماء المصريات الواقعين في هوى الحضارة المصرية من فترات مخجلة في سياق السجل المشرف لتاريخ مصر، منها على سبيل المثال: ـ ما صاحب الغزو الفارسي لمصر (في الفترة بين 525 قبل الميلاد إلى 332 قبل الميلاد)،

واسر الفرعون "بسماتيك الثالث" (الأسرة السادسة والعشرون، الملقب أحيانا بالفرعون الأسود) وتكليله بالأغلال وإرساله إلى "سوسا" في بلاد فارس لإعدامه، بتأكيدات على أن جذور الملك تعود إلى سكان إثيوبيا ـ السودان، لا مصر! [30]، في محاولة لتخفيف اثر الإذلال على مصر، فأين **"نظرية التمصير"** لشعوب الغرب والجنوب بمجرد إقامتهم في البلاد لفترات طويلة؟!.

5. اخضع ملوك الفراعنة العسكريين مناطق امتدت في أوجها من النوبة جنوبا إلى العراق شرقا، فهل لم يتناسلا في تلك المنطقة ؟ ! ، هل ليس هناك أشقاء مصريين في هذه الأقاليم ؟ ! ، الم يطب للقليل منهم العيش والاستقرار في **"أرضا خضنا فيها حربا"** ، كما يحدث في وقائع لا حصر لها عبر التاريخ.

6. امتد النشاط العمراني والثقافي للمصريين القدماء في مناطق خضعت يوما للوجود الفرعوني العسكري، ومناطق أخرى لم يدخلها جندي واحد، تلي ميادين التوسع، كامتداد لنمط التحنيط وبناء المعابد واتخاذ الآلهة..، فهل يمكن أن ندخلهم في عداد شعب مصر من الناحية الثقافية على الأقل؟!.

7. تدعي النظريات المتطرفة وانعكاساتها العنصرية انحدار ملوك معظم أوربا والولايات المتحدة الأمريكية من نسل الملوك الفراعنة، لا نعرف عن أي آسرة فرعونية من الآسر الثلاثون التي حكمت مصر، لكنهم من الفراعنة وفقا لروايتهم وحدهم ! .

8. يتشكك الكثير من العلماء في قدرة شعب مصر القديمة على بناء صروح الأهرامات والمعابد الضخمة والمنشات الغريبة غير معلومة الهوية، ويطرحون احتمالات تلقي المساعدة الهندسية من كائنات فضائية وحضارات أرقى قدرة وعلما (اتلانتا) ، فهل كان المصريون القدماء مجرد متفرجين لا أكثر، بل مجرد خدم بلهاء، يستطيعون بالكاد حمل الماء والطعام لمهندسين البناء الغرباء ؟ ! .

هناك جدلا كبير غير محسوم حول كل الوقائع التاريخية، وحقيقة ما جرى للزعماء والرسل والقادة . .، تتساءل عن: ــ فترة مولدهم بالتحديد، ما هي صفاتهم؟، كيف عاشوا؟، كيف ماتوا ؟. . . ، يأتي ذلك كمقدمة لسؤال واستفسار علمي، ربما لا يمكن تصور إمكانية طرحه، من نحن ؟ ! ، بل من أنت ؟ ! ، هل كنت موجودا في الحياة؟ ! ، شكوك وروايات متضاربة تختلف حول ما يمكن أن نراه حقيقة مطلقة.

السجل الدولي العام للخلايا الوراثية (D N A) . . كشف أسرار أصول أسلاف البشر لإعادة كتابة التاريخ.

مطلبا سوف يطرح نفسه بقوة في العقود المقبلة، لإعادة فهم الطبيعة الإنسانية، ومعرفة أسلاف البشر وانتسابهم لسلالات ومجموعات وشخصيات محددة، وكشف أسرار الجرائم السابقة التي عجز المحققين عن التوصل لها، والوقائع التاريخية والحوادث الغامضة التي تضاربت حولها التفسيرات العلمية لتبرير حدوثها.

صنف العلماء السلالات البشرية على أسس شكلية في المقام الأول، وحددت الشعوب وفقا لضوابط لُغوية محضة، لا تكترث بالتصنيفات الشكلية الأخرى، فالشعب العربي هو الناطق باللغة العربية، بغض النظر عن اللون والجنس والعرق والدين.

يساهم التصنيف العام للخلايا الوراثية في معرفة أسرار الأمراض الوراثية وتأثرها بالبيئات الجغرافية المضطربة، وفي تتبع أصول مجموعات كبيرة من البشر، والتعرف على هوية المفقودين، والتائهين، والقتلى، وحقيقة انتساب الأسر إلى أبائها، وما إلى لذلك من تأثيرات سياسية وأمنية واجتماعية وعقائدية، مسببا في مشكلات وتحديات لا حصر لا في المستقبل، من بينها تكريس الفكر الارستقراطي، وإعادة رسم جذوره مرة أخرى بكل دقة، فيمكن على سبيل المثال: ـ إثبات انتماء شخص ما إلى آسرة الفرعون "رمسيس الثاني" ، "النبي داود عليه السلام" ، "جنكيز

خان" . . . ، وما يتبعه من نعرة تفاخرية، ومطالب بإرث الآباء، والأحقية الشرعية في المطالبة بالعرش ! .

ماذا إذا أنكر الفحص الجيني صدق انتساب عائلات بأكملها إلى "الجد الأعظم" المتفاخرين به؟!، أمامهم اختياران وضيعين، إما الاعتراف بالكذب والخداع، أو تحمل تبعات وصمة الزنا؟! ، ويا لحظ أولئك الأشخاص العاديين حين يتأكد انحدارهم من أسلاف عظام القوم في تاريخ البشر! ، انقلابا جديدا في المفاهيم، وتبادل في المواقع، وما يتبعه من تغذية الصراعات والحروب البشرية بشكل مستمر.

من المحتمل أن يدخل جزءا كبيرا من بيانات السجل الوراثي العام للبشر ضمن اختصاصات الأمن القومي للدول بصفة خاصة وللبشر بصفة عامة، يحاط بجانب كبير من السرية، ويسمح بالتلاعب والخداع والتضليل حفاظا على الأمن القومي، وخدمة للزعماء بمنحهم ادعاءات ارستقراطية لا وجود لها، وحرمان المناوئين من النسب للأسلاف العظام بشتى السبل.

الاختلاف الشكلي والجيني الحتمي للبشر المستوطنين للفضاء والبيئات الجديدة "سلالة بشرية جديدة".

يعبر شكل وحجم وملامح الإنسان إحدى سبل وصور تأقلم مجموعات بشرية لفترة طويلة (مئات السنين على الأقل) في مناطق مختلفة على سطح الأرض، ولذا فان إعادة التأقلم مع عناصر مضادة لما اعتادت عليه سيؤدي لنشأة سلالة جديدة مع مرور الزمن، ولن يتشابه البشر المستوطنين في بيئات فضائية مع المجموعات البشرية المشابهة لها على سطح الأرض، تغيرا جينيا كبيرا من المحتمل حدوثه مستقبليا، عندما يستقر الإنسان في بيئات مختلفة عهما آلفه في كوكب الأرض، فعلى سبيل المثال: ـ يمكن أن تحدث خطط الغزو والاستقرار في كوكب "المريخ" وبيئاته الحادة تغيرا هائلا على البشر، من بينها الضغط الجوي المعادل 1/ 100 من الضغط الجوي على سطح الأرض الذي تعايش معه البشر عبر آلاف

السنين، والجاذبية الأقل من جاذبية الأرض لنحو 1/3 الحالية على الأرض، ومن المتوقع أن يحاكي الإنسان بيئة الأرض حتى يستوعبها جسمه وأجهزته البيولوجية، عن طريق إضافة أثقال في أحذية المستكشفين، وملابس واقية من الحرارة، ومحاكاة للضغط الجوي في الملابس الخاصة بهم، غير أن التأثير البيولوجي قادم لا محالة، قادم من نوعية الأشعة الكونية المختلفة عن الذي تتعرض له الأرض حاليا، والتربة المفترض زراعة النباتات فيها، وتأثيرات الجاذبية والضغط الجوي على الأدوية واستجابات الجسم البشري لها، وأمراض الشيخوخة، والأمراض الوراثية، والأمراض البيئية المفترض إصابتها للإنسان في بيئة جديدة، والتأثيرات النفسية العديدة، والانفعالات الشخصية ما بين الرقة والوداعة، والشدة والعنف، وما لهما من تأثيرات حادة على العلاقات الشخصية والممارسات السياسية، واحتمالات زيادة أو نقصان الصراعات والحروب المحتمل اندلاعها، . . . يتسع المجال طويلا للأبحاث العلمية المتخصصة، وإجراء توقعات طبية لما يمكن أن يطرأ على جيل كامل أو عدة أجيال ولدت وعاشت وتناسلت في الفضاء لنحو 100 سنة تقريبا .

ينطبق هذا التغير الجيني المستحدث تأقلمه مع بيئة أعماق البحار والمحيطات المتوقع استقرار مجموعات بشرية كبيرة خلال السنوات المقبلة قبل نهاية القرن الحادي والعشرين، وكل البيئات المختلفة عما اعتاد الإنسان استيطانه من قبل، بما فيها حالات الاستقرار على صفحة البحار والمحيطات، فيما يعرف بالمدن العائمة في المستقبل، وان كانت بسبل اقل حدة من آثار استيطان البيئات الأكثر غرابة بالنسبة للإنسان.

وأثبتت دراسات وكالة ناسا للفضاء أن الرواد الذين يحلقون لأكثر من 110 يوماً في الفضاء، عادة ما يرجعون إلى البلاد وهم في حالة عصبية شديدة، ويعانون آلاماً في العضلات، وإن كانت مؤقتة لبضع أيام، إلا أن مشاكل العين هي التي تثير القلق الزائد لناسا، حيث يسعون إلى إيجاد حل للضغط الذي يتعرضون له في الفضاء، لتفادي مشكلة فقدان البصر اللحظي والذي قد يكون حتمي في بعض

الأحيان، وحين يبدءون رواد الفضاء الذهاب إلى أهداف بعيدة جداً مثل المريخ، قد ينتهي المطاف بوجود مجموعة من رواد الفضاء العميان [31]، ولا تزال دراسة التأثيرات الفضائية على الإنسان في مرحلة البداية، ومن الممكن التغلب على العديد من مشكلاتها، ولكنه سوف يؤثر على العديد من وظائف الجسم والسلوك البشري في الفضاء، بما يعزز نشوء سلالة بشرية مختلفة تماما على ما يشابهها على الأرض.

يمكن أن نعتبر هذه التغيرات حالة فعلية تتسبب في ميلاد تصنيفات جديدة للبشر، "**سلالات بشرية جديدة ذات خصائص فريدة من نوعها**" يمكن أن نقسمها إلى قسمين،

- **الأول** : ـ "**سلالات كوكب الأرض المستحدثة**" (بخلاف السلالات الحالية الزنجية ـ المغولية ـ القوقازية التي يمكن أن تعتبر سلالات قديمة)، وتضم : ـ "**إنسان سطح البحار**" ، "**إنسان أعماق البحار**" ، "**إنسان أعماق الأرض**" ، "**إنسان المدن الطائرة**" . . .
- **الثاني** : ـ "**سلالات إنسان الفضاء**"، وتضم : ـ "**إنسان المركبات الفضائية**" ، "**إنسان القمر**"، "**إنسان المريخ**" ، . . .

تتلازم معها سلالات مرضية لكل لما يصيب الإنسان والنبات والحيوان، تنشأ مواءمة هي الأخرى للبيئات الجديدة، وتطورها الطبيعي المتوالي دائما، واحتياجها لأدوية جديدة، مبتكرة، ومستقلة لكل نوعية منها.

تنمية سلالات الكائنات المشوهة.

يحتمل أن يستهوى الإنسان التغيرات الجينية المسببة للخلل الشكلي والوظيفي لأعضاء الحيوانات والنباتات والبشر، في نوع من البحث عن التميز، والتغلب على تحديات تكاثر الكائنات الشاذة، كما من الممكن الإقبال العلمي العام على تهجين أجناس بيولوجية ظلت حتى الآن في غاية التباعد، بداية

بالسلالات المتقاربة، ثم محاولة الشطط العلمي وجمع صفات وشمائل حيوانية وبشرية في كائنات جديدة لم يعرفها البشر قط.

على اثر ذلك يأتي دور رجال الدين والفكر المحافظ في محاولة ضبط التقدم العلمي، وكبح تهوره وتدخله في المحرمات، لينشا صراعا فكريا يتحول لموجه من التنافر والتباغض العام، ويلقي بتأثيراته على منافسات الساحات السياسية والنظم الاجتماعية والاقتصادية، ممهدا لتدخل الحقوقيين، لإعادة وضع ضوابط جديدة، وتقنين العلاقة بين العناصر القديمة (خلق الله) والحديثة (عبث البشر) !.

هل هناك تدرج في المكانة والمقام السياسي لدول البشر في المستقبل؟.

من ينكر حقائق وجود المجتمع لبشري وتضمنه على طبقات من العامة والصفوة؟!، حتى في حالات الحروب والثورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي شهدت استهداف الطبقة المميزة في المجتمع، تنتصر فئة مقهورة محددة على نظام الصفوة، لتعيد رسم طبقة جديدة من النخبة على أسس جديدة، وقد ظل البشر يحددون نظاما وطريقا دبلوماسيا لاعتبارات معنوية في حالات المودة والتنافس الرياضي والفني وفقط، ونادرا ما تعدت ذلك، أما في المستقبل فيمكن أن تتدرج الدول كالتالي: ـ

- **دول عظمى متعددة المواقع والأوطان: ـ** وهي أقوى أنواع الدول وأكثرها ثراء وتقدما، مما أدى إلى أن تخضع أوطان تمتد على مستوى سطح الأرض، وكواكب المجموعة الشمسية، والغلاف الجوي، والفضاء الخارجي، وتسعى لنيل هذا المكانة في الوقت الحالي بضعة دول، على رأسها الولايات المتحدة والصين، غير انه من الممكن أن يجري تحالفا ما بين شركات البترول والسلاح والتكنولوجيا يطمح في بناء مؤسسات سياسية فائقة النمو السياسي التوسعي.

- **دول متخصصة النشاط للمنفعـة العامـة: ـ** مـن الممكـن أن تتخصـص دول محددة في أنشطة متفق عليها دوليا بشكل احتكاري تام، أو يجـري بنـوع مـن الحرية ، فنجد على سبيل المثال : ـ **دولة أو أكثر للشعائر الدينية**، مثلمـا هـو الحال لدولة الفاتيكان، ومن الممكـن ان تأخـذ بعـض الأراضـي المقدسـة في فلسطين والعراق والسعودية نفس المسلك.
- **"دول المنفعة المتخصصة"** : ـ ستظهر **"دول للإعلام"**، دول **"الملاحة الجوية"** ، **"دول القاعات"، "قاعة الاحتفالات والمؤتمرات الدولية"** ، **"دول المصـحات العلاجيـة وزراعة الأعضاء البشرية"**. . . ، كما يمكن أن يطالب بعض الأفراد النافـذين في السياسة الدولية، والفئات الأكثر صياحا وتبجحا في المطالبة بتكوين دولا حرة لشعوب متجانسين عقائديا أو فكريـا . . . بمـا لا تسـمح بـه الظـروف الدولية الحالية، فنجد على سبيل المثـال : ـ **"دولـة الملحـدين"، "دولـة للشـواذ جنسيا"، "دولة للمعاقين"، "دولة للمدمنين المواظبين علـى تعـاطي المخـدرات"،** فربما تتحول نوادي الإباحية في الغرب إلى مطلبا دوليا يجد من يلبيه يوما ما.

متوسط العمر لدى سكان المستقبل.

تحول الإنسان من كائن نادرا عدديا منذ حقبة العصور الحجرية وما قبلها إلى الزيادة المفرطة، على عكس الكائنات الأخرى التي كانت أكثـر منـه قـدرة وعـددا، واستهلاكا مفرطا للجسم أدى إلى الإسراع من إعطاب الأجهزة الحيوية، وساهمت مع المشقة المتواصلة أثناء البحث عن الطعام والشراب في تحجيم متوسـط العمـر في تلك الفترة، بما يقارب الـ20 سنة، وأمد الحياة (متوسط العمر المتوقع بلوغـه حتـى الموت الطبيعي) حوالي 30 سنة، وها هو يقارب الآن نحـو 70 ـ 80 سـنة، بفعـل سبل تـوفير الراحـة المتزايـدة في الوقـت الـراهن، وارتفـاع الأوضـاع الاقتصـادية، والرعاية الصحية المتاحة، ولان كل من الراحة والرعاية الصحية ومستوى الرفاهيـة مختلفة من بلد إلى آخر حول العالم فقـد شـهد متوسـط العمـر تفاوتـا ممـاثلا، فهـل متوسط عمر الكائنات الأخرى في العالم التي مـا زالـت تعـيش في أوضـاع مشـابهة

لمشقة وهزال العصر الحجري بالنسبة للإنسان كان يمكن أن يتضاعف لمرة أو مرتان وربما ثلاثة أو أكثر قليلا لو أتيح لها تحسنا مشابها؟ .

تأخذنا طفرات الأبحاث الطبية والرعاية الصحية مبلغا يسير بالبشر في طريقين قريبين من بعضهما، **الأول:ـ** ارتفاع متوسط عمر الإنسان إلى 60 سنة أو أكثر في سنة 2050 م، وزيادة عدد النساء مقارنة بالذكور، وتحول المجتمع إلى دار تمريض عملاقة للمسنين، وفيه يعيش الناس روتينيا حتى عمر 150 سنة، وقلة الرغبة الجنسية، مع قلة ميلهم للمجازفة والتجديد، ونفورهم من خوض الحروب، ويستقطب المجتمع موجات منتظمة من المهاجرين الأكثر شبابا، مما يؤدي إلى بروز جبهات مضادة للمهاجرين تمهد السبيل إلى صراع اجتماعي مكبوت [32].

أما **الثاني** : ـ فيتصل بما يمكن أن نسميه عمليات "الإكثار العلمية المنضبطة" لسكان العالم، في مرحلة تجارية عامة لإنجاب الأطفال وفقا لرغبة الآسر، والمجتمعات، والإدارات السياسية، ولاختيار الصفات الموروثة الخاصة بالشكل والميول، فبمقدور كل دولة اختيار أن يولد لديها نسب كبيرة من المفكرين، والجنود مفتولي العضلات، والعمال المهرة، المواطنين ليني العريكة. . . ، طبقا لأهدافها وتطلعاتها، والتحديات التي تواجهها في كل حقبة.

من المأمول فيه أن تتم متابعة الفرد منذ تكون خليته الجينية الأولى بالطرق الطبيعية أو الاصطناعية، وخلال فترة الحمل (الذي قد يمكن أن يمارسه الذكور) حتى لحظة الميلاد، وبدلا من شهادة الميلاد سيسجل لكل فرد "شهادة حياة" تتضمن تحليل إمكاناته الوراثية، والإمراض التي قد يتعرض لها طبقا لهذه الإمكانات، مع ذكر الأنشطة والبيئات والتحديات غير الملائم لها صحيا، والتقدير التقريبي للعمر (أمد الحياة) [33] .

من المتوقع أن يحدث نوعا من "**الارستقراطية البيولوجية**"، توفر أقصى درجة من الرعاية الصحية الفائقة، وإكساب مهارات وقدرات جسدية وجينية لمن يتحمل

تكاليف أبحاثها وتطبيقاتها والأثمان الباهظة لمنتجاتها، كما من المحتمل أن تجرى الاحتكارات العلمية الحائلة دون إجراء البحوث والمشاريع المتخصصة في نقاط محددة، كما يجري حاليا فيما يختص بالاستخدام غير السلمي للطاقة النووية، وكذلك الأبحاث المتقدمة في الاستخدامات السلمية، مجرد إعادة توسعة جديدة لدائرة السرية الفائقة للبحث العلمي في المستقبل.

سيظل الإنسان الأطول قامة، الأرجح عقلا، الأقوى جسدا، الأجمل شكلا، هو الأجدر والأقدر على حكم البشر، ومن الممكن أن تصنع تلك الخصائص صنعا علميا، فمن يشترى التكنولوجيا البيولوجية هو الذي تتوافر فيه كل الشروط المؤهلة لقيادة القطيع في عالم الإنسان والحيوان؟!، ومن الممكن ان تتم عملية الطفرة البشرية الفائقة للأسر الحاكمة التي طالما افتقرت لكل عوامل التميز ورفعة الشأن ومقدرتها على إدارة شئون مجتمعاتها،

ينشا مع الوقت نوعين من السكان، **الأول:** ـ بشر عاديين طبيعيين "**إنسان بري خُلص**"، **الثاني:** ـ بشر معدلين وراثيا "**إنسان هجين**" يتمتعون بصفات غير مكتسبة، يضم السلالات والمجتمعات الفقيرة، صفات جينية ومنشطة عقاريا، ذات خصائص وقدرات غير عادية تفوق قدرات الإنسان العادي، بما يعادل جهاز حاسب آلي واتصالات وعربة سريعة. . . ، ويمكن أن يتخصص بعض البشر في ميزة واحدة مركزة للغاية، مع تواجد محدود للقدرات الأخرى، فعلى سبيل المثال نجد: ـ جنود فائقي القوة، ومفكرين وعلماء بالغي الذكاء، ومصنعون بالغي الدقة. . . ، وسيظل معدل الطلب ودرجة الاهتمام هي المحددة لكثرة إنتاج نوعية ما على ما عداها، وسيبقى "**الإنسان الخام**" أكثر الأشياء البيولوجية التي تشهد إقبالا وإدبارا من وقت إلى آخر حسب الحاجة اليه.

التفوق العددي للمجتمعات والثقافات الزراعية والرعوية

تتميز المجتمعات الرعوية والزراعي الممثلة في المجتمعات العربية والإفريقية والهندية والأمريكية الجنوبية بميلها للزواج المبكر وكثرة الإنجاب، مقارنة بسكان المناطق الحضرية المتقدمة والمجتمعات الصناعية وعالم الحداثة في أوربا وأمريكا الشمالية واستراليا، بما فيها أولئك الباحثين في مختبرات البحث العلمي نفسه، نظرا للعلاقات الجنسية المتحررة مع عدم اكتراثها بالإنجاب وتحمل أعباء إعالة الأطفال والانشغال بهم، ويمثل إحدى حلقات الصراع بين عالمين متباغضين عبر التاريخ، المجتمعات الرعوية والزراعية الكثيفة الفقيرة.

يعد **أكثر البشر إنتاجا للبشر** أفقر سكان العالم وأشدهم جهلا، ومن المحتمل أن يتفوقون عدديا في البيئات الجديدة التي يهاجرون إليها، ويحلون محل المجتمعات الأصلية في موطنهم الجديد في دول أوربا وينافسون السلالة القوقازية البيضاء في الولايات المتحدة الأمريكية واستراليا، غير أن من المحتمل أن يتحولون إلى رعايا مستضعفة تأخذ وقتا طويلا لا يتناسب مع قوتهم وثقلهم العددي للوصول إلى سدة الحكم.

الهند هي الآن أكثر سكانا من الصين في المستقبل ! .

من المحتمل أن تصل دولة الهند لنفس حجم الصين في ضخامة عدد السكان على مستوى العالم في سنة 2030م، باستثناء هونج كونج، باعتبارها الدولة الأكثر سكانا في العالم وفقا للأمم المتحدة،. الدولتين "التقتا" في حجم سكاني بلغ 1448000000 نسمة، ويقدر أن تتجاوزها الهند بحلول عام 2050 ليصل عدد سكان الهند إلى زيادة إلى 1593000000 نسمة، في حين يصل عدد سكان العالم إلى تسعة مليارات نسمة [(34)] مما يعني تزحزح مراكز الثقل البشري ناحية جنوبي شرقي قارة اسيا، ومناطق متفرقة من العالم، وما يتبعه من تبدل أحوال دولهم واحتدام الصراعات العرقية والدينية في العالم، والضغط المتزايد على الموارد الاقتصادية.

1.8 مليار مسلم في العالم.

وفقا لآخر الإحصاءات هناك الآن أكثر من 1.8 مليار مسلم في العالم بحلول عام 2025م، ويعتبر الإسلام هو الدين الذي كان له أكبر معدلا للنمو خلال العقود الماضية، نظرا للارتفاع الكبير في معدل المواليد، وليس بالضرورة ارتفاع نسبة المعتنقين للإسلام، وتعد ثاني أكبر ديانة في العالم بعد المسيحية والتي ستصل إلى2.6مليار نسمة، ولا تزال اندونيسيا أكبر بلدان العالم الاسلامي، تليها باكستان والهند وبنغلاديش، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ـ ما الذي يمكن أن يؤديه زيادة أعداد المسلمين في العالم عما عليه الآن؟ ، ويتخوف الغرب من سيطرة الفصائل المتطرفة وتوليها زمام المبادرة والسلطة، وتساهم في افتعال الأزمات والحروب مع الآخرين (35).

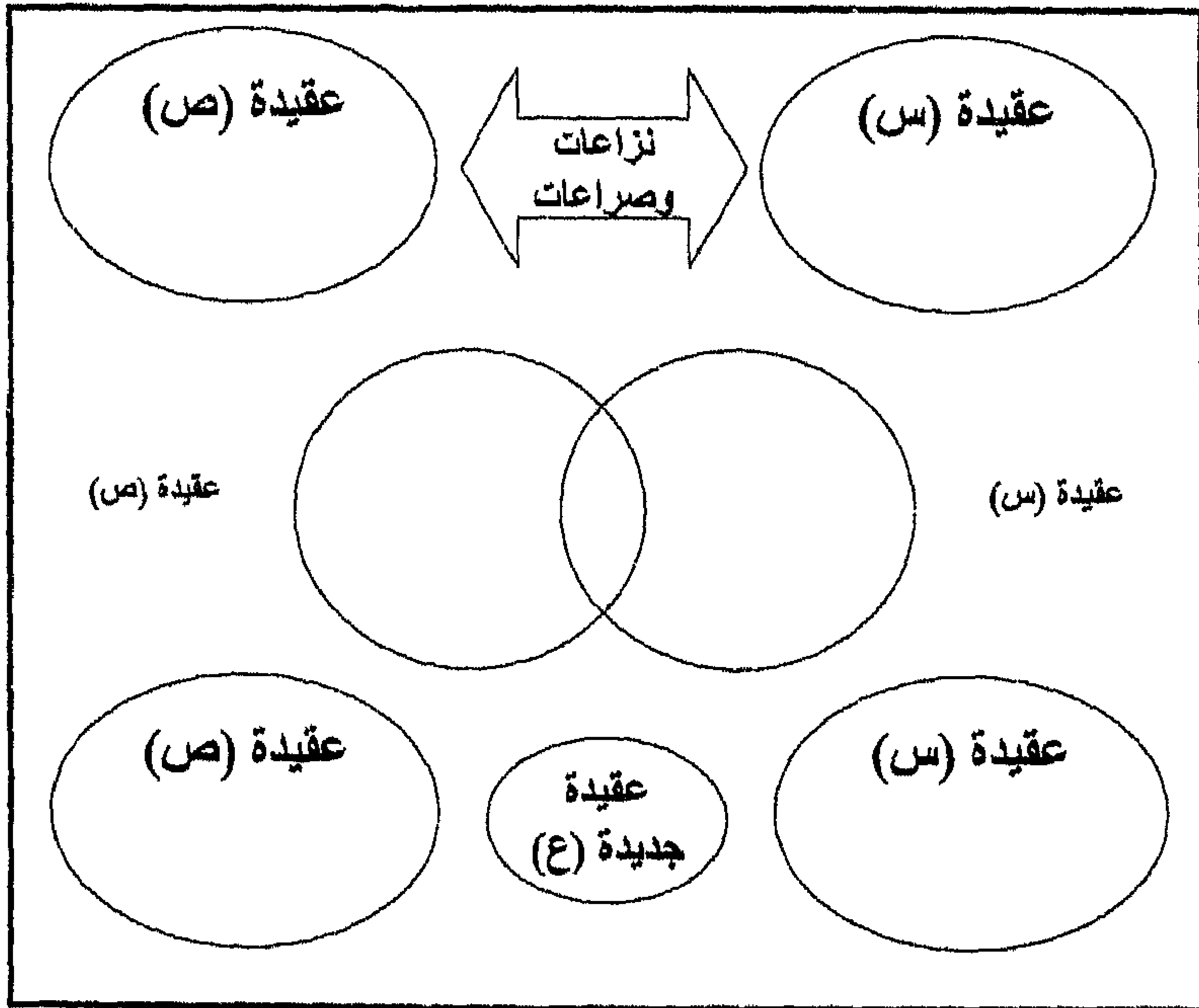
نمو نظم ومبادئ وعقائد مختلطة المنبع.

يتوقع أن تنشا مبادئ وعقائد وأفكار جديدة المنبع، تختلف تماما عن مصادرها الأولية القديمة، تتأثر في بدايتها بتطلعات الرومانسيين الحالمين لتقريب شطط الاختلافات البشرية الحادة المستعصية، حينما يبحثون عن منطقة وسطى تجمع المبادئ المشتركة وتبرزها لتوفيق الأوضاع وتقريب وجهات النظر وعقد هدنة وبعض التحالفات المؤقتة لإحلال السلام العالم بين العناصر المتشاحنة، تكمن المشكلة في صعوبة الوفاق في حد ذاته، واحتياجه إلى حدود إلزامية، تحول دون تشويه جوهر العقيدة الأصيلة المبرئة عن كل شائبة، انظر إلى الشكل التالي.

هناك وقائع لا حصر لها في التاريخ القديم والحديث، انزلقت إلى توفيق من لا وفاق له، فعلى سبيل المثال: ـ جرت محاولة إبان الاحتلال اليوناني (في عهد أسرة بطليموس) لمصر لجمع المعتقدات الفرعونية القديمة والمعبودات اليونانية الرومانية، لتقريبهما وصياغة دين جامع بينهما، ربما لاقت عدم ممانعة في اشد المناطق المختلطة بين المصريين القدماء والأجانب، لكن الشعب لم يتقبل ذلك، فهل

لو استمر الوضع طويلا لتسبب في نشأة عبادة جديدة، أخذة في الاستقلال عن أصولهما الفرعونية والإغريقية؟.

ينطبق ذلك على اللغة، فقد ظهرت أبجدية "فرانكو أراب" تستخدم الحروف والأرقام الانجليزية في الكتابة بالعربية، ظهرت في مصطلح جديد هو"عربيزي" يجمع بين اللغة العربية والانجليزية، وهي ظاهرة مستحدثة غير رسمية انتشرت منذ بضعة سنوات بين الشباب في الكتابة على الإنترنت في المنطقة العربية، وتنطق هذه اللغة مثل العربية تماما، إلا أن الحروف المستخدمة في الكتابة هي الحروف والأرقام اللاتينية، وإذا رصدت ظاهرة اختلاط الكلمات الانجليزية أو الفرنسية أثناء المحادثة بين طبقات المجتمع المتعلم، فهل نحن في مخاض ولادة لغة جديدة بكل معنى الكلمة؟!، تحتاج إلى ما يزيد على عشرات السنين ليعلن استقلالها التام عن مصدرها العربي والغربي معا؟! ، من يدري؟ ! .



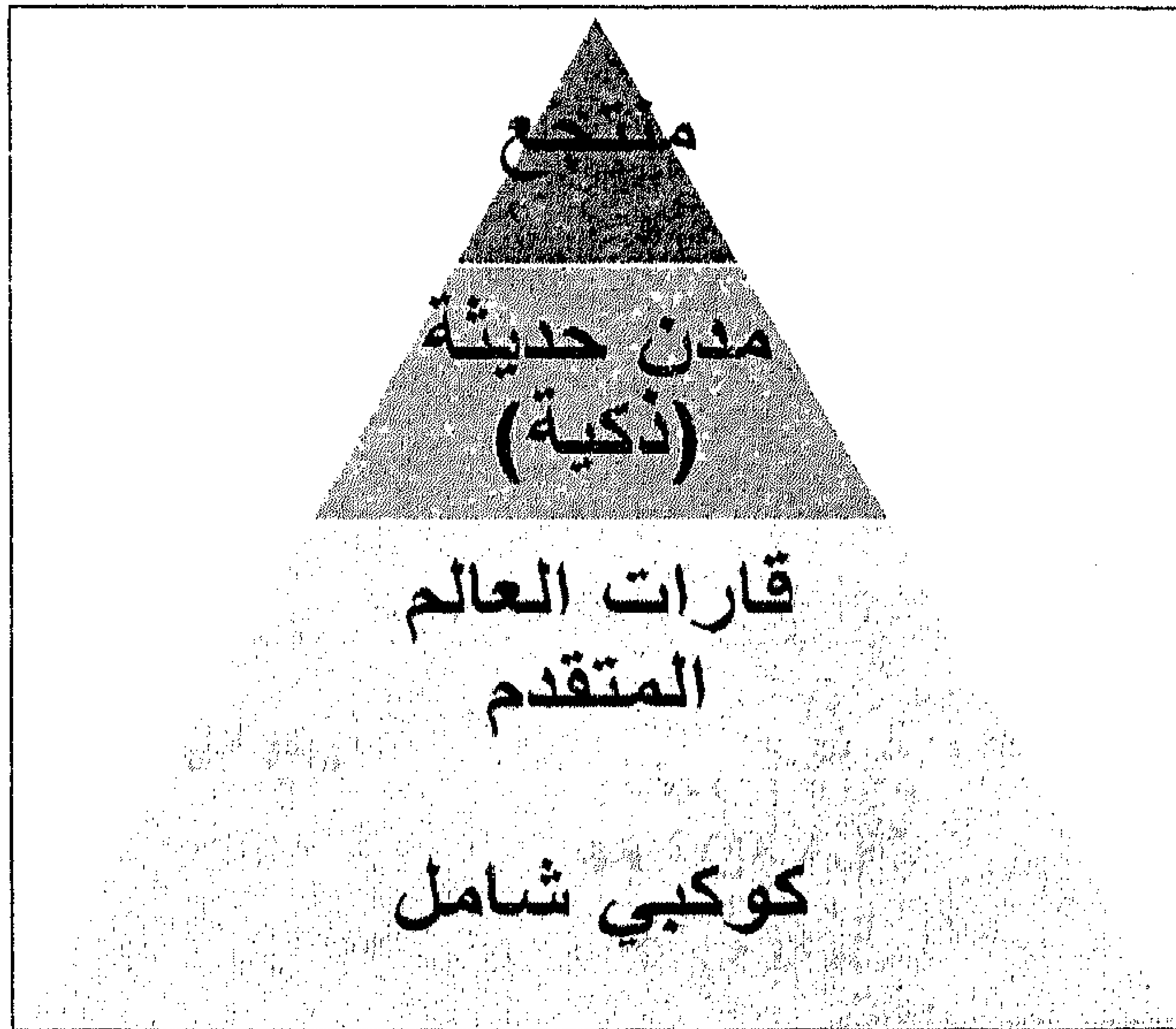
المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (25) تداخل العقائد أثناء محاولات تقريب المبادئ المشتركة والتقارب فيما بينها، مسببة اختلاطها

ونشأة المعتقدات الجديدة شبه المستقلة.

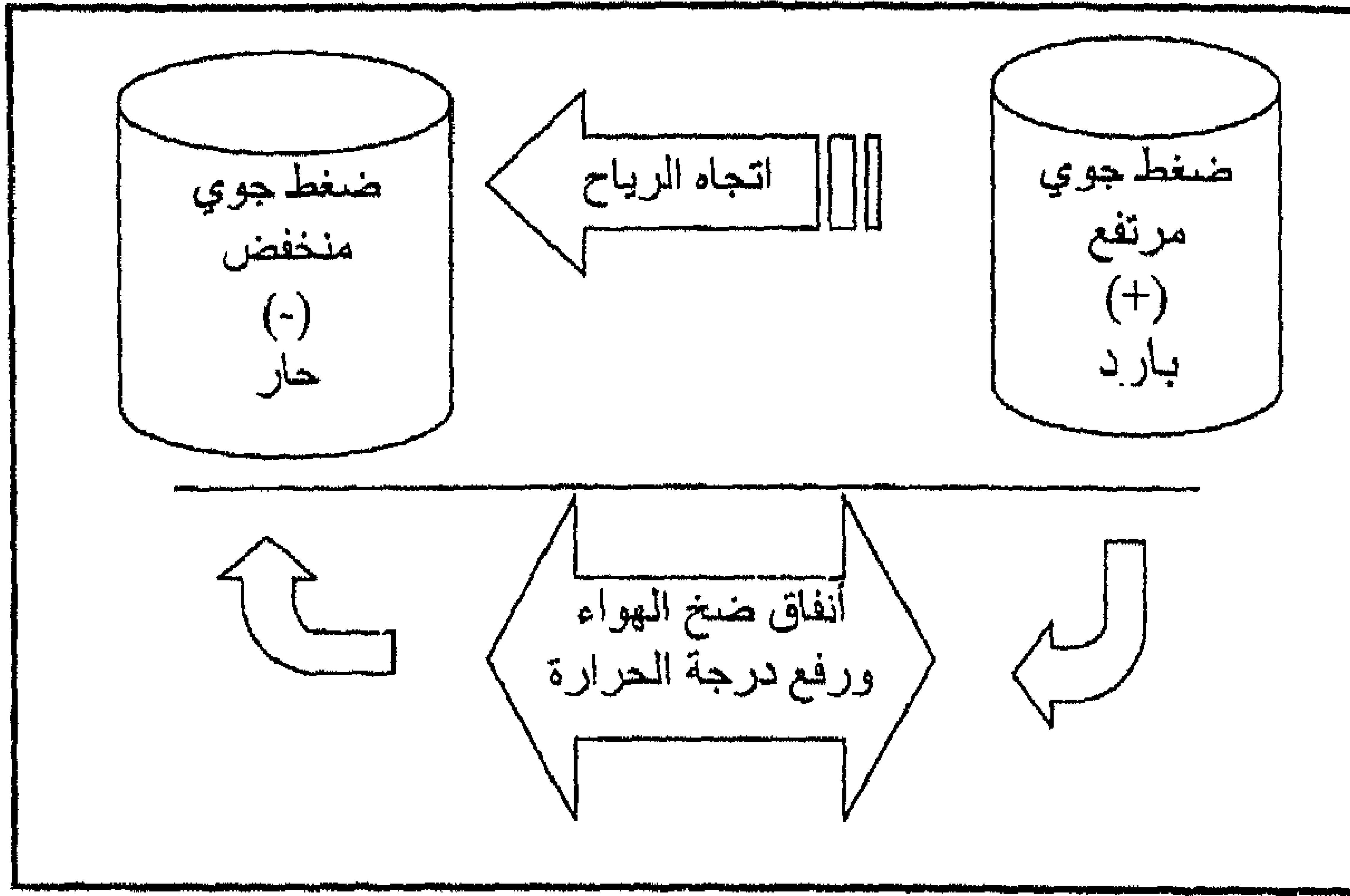
التحكم في المناخ.

تدخل الظاهرات الطبيعية في عداد اهتمامات واختصاص البحث العلمي في المستقبل، بهدف تغييرها وتبديلها وتعديلها بما يناسب الإنسان، من بينها عناصر المناخ (الضغط الجوي ـ الرياح ـ الأمطار)، وهناك تدرج في منظومة التحكم في المناخ على سطح الأرض، انظر إلى الشكل التالي، يمكن شفط الهواء وضغطه وتحويله إلى سائل مركز، ثم نقل الهواء المعدل حراريا عبر أنفاق خاصة، انظر إلى الشكل التالي، أو أنابيب تشبه تلك الخاصة بشبكة نقل البترول، كما من الممكن مثلا استخدام قطارات السكك الحديدية، والطائرات المستحدثة المخصصة لهذا الغرض، وضبط موازنة توزيع الضغط الجوي ودرجات الحرارة على سطح الأرض، كما يمكن التفكير في إذابة الهواء وفصل مكوناته وتحويله إلى ماء جاري في المناطق التي تعاني من ارتفاع تركيزه (الضغط)، ثم إعادة إنتاجه في المناطق الحارة



المصدر : ـ من إعداد الباحث.

شكل (26) توزيع منظومة التحكم في مناخ سطح الأرض.



المصدر : ـ من إعداد الباحث.

شكل (27) مخطط مبسط لعمل مضخات حقن الهواء البارد في الأنفاق لرفع درجة الحرارة ونقله من مناطق الضغط الجوي المرتفع إلى مناطق الضغط الجوي المنخفض لضبط التفاوت المناخي الحاد على سطح الأرض.

الزراعة و الموارد المائية و الري : ـ

ربما يمكن في المستقبل وبالتقريب في حوالي النصف الثاني من القرن الحادي والعشرين اختصار عمليات الزراعة المطولة من بذر وري ورعاية النباتات والحصاد في عملية واحدة، وفي زمن قصير خلال سويعات قليلة، وقد يزرع الإنسان ويحصد في دقائق معدودة أو أدنى من ذلك، عن طريق إسراع عمليات الإنبات بجينات وراثية أو تهجين بالطحالب أو البكتريا مثلا، لإكسابها سرعة النمو للمحاصيل الهامة، من بينها القمح والحبوب الأخرى و الفواكه، ولكن على الرغم من ذلك، فسيتقاتل الإنسان مع أقرانه بوحشية وضراوة، وستتحول الأرض إلى جحيم يستغل كل شيء، ستطبق على نحو واسع تدريجيا، وقد تملك سرها الجيني المراكز البحثية فتحتكرها لبعض الوقت، وستتصاعد الدعاوى المشككة في سلامتها مثلما يحدث الآن، وستتم زراعة الأسطح الملساء والمائلة، كالأسقف والحوائط دون الحاجة إلى تربة، ويمكن الزراعة على أي شيء بما فيها جسم الإنسان،

وسيكون النبات عوضا عن طلاء المنازل، ووسيلة للحد من التلوث الدخاني والميكروبي، وربما يمكن دمج الخلايا النباتية مع الحيوانية والبشرية، لتثمر محاصيل و لحوماً وأعضاء بشرية!، وسيقل في المستقبل الاعتماد على الأنهار كمصدر للمياه العذبة في المشاريع الزراعية الحديثة !، وسيستغنى عن فكرة الري بماء البحر، عن طريق تزويد النباتات بأجهزة إلكترونية لامتصاص بخار الماء، ويمكن أن يخترع جهاز صغير يزرع في جسم النبات، أو مواصلة التطوير الجيني ليتكفل النبات بري ظمأه من بخار الماء المتوافر في الجو، وسيتم الاعتماد على الأجهزة الإلكترونية أو الخلايا الجينية للتغذية بالماء وخدمة المدن والمنازل، و قد تطبق على بني البشر ويزود جسم الإنسان بالماء عن طريق استنشاق الهواء وامتصاص بخار الماء من الرئتين أو الجلد مباشرة، ونقلها للدم و توزيعها على الجسم، مثلما يحدث عندما توضع المحاليل للإبقاء على حياة المرضى(36) .

ـ السدود المائية و استخداماتها : ـ

يمكن حجز المياه عن طريق الموجات الصوتية والإلكترونية والمغناطيسية، ولذلك لن تبنى السدود، بل سيكتفي الإنسان بوضع الأجهزة حول المنطقة المراد تخزين المياه فيها، وستركب عند منابع الأنهار لتحجزها، ويتم التحكم في فتحها وكمية المنصرف منها عن طريق الموجات الإلكترونية، وسيمكن التحكم في ظاهرة المد والجزر، وربما عملية ارتفاع سطح البحر، وستكون عوضا عن الأهوسة و الصمامات المائية، وسيمكن صد البحر عن الأراضي المنخفضة الهولندية، والتحكم في تدفق مياه المحيط الأطلنطي في البحر المتوسط التي يخشى منها على الدلتا المصرية ومناطق متفرقة من إيطاليا و فرنسا، و يمكن أيضا تحدي نظرة " الأواني المستطرقة "، حيث ستتاح إقامة الأعمدة والشقوق المائية في عرض البحر!، وقد يمكن جمع المياه العذبة بفصلها أو كشطها من مياه البحار باستخدام أجهزة التحليل الكهرومغناطيسية، أو وسائل أخرى تثمر عنها البحوث المستمرة عن خواص المياه والقدرة على فصل مكوناتها، فوداعا لـ " نظرية الخروب من

أجل المياه"، فإننا نرى أن نتائج الاختراعات العلمية سوف توفر فائضا من الماء والطعام تنهي نظرية الحروب من أجل المياه، وتضع بدلا منها تصورات فعلية حول الحروب من أجل الجشع (37).

إعادة النظر لكائنات الأرض : ـ حيوانات ـ طيور ـ حشرات... (من للأكل ؟ !... من للزينة ؟!).

عرف الفراعنة طيور البط والإوز كأبرز الطيور المستأنسة الصالحة للطعام البشري، وخلت صور مقابرهم من « الدجاج » على سبيل المثال!، وقد نظرت المجتمعات البشرية لحضارة "المايا" منذ القرن الـ 17 قبل الميلاد في قارة أمريكا الشمالية إلى البط والديوك والكلاب كحيوانات وطيور أليفة تربى في المنزل للزينة! ، فهل على البشرية أن تعيد النظر مرات عديدة فيما هو صالح لـ : ـ الأكل، والزينة؟ ! .

أثيرت في المحافل العلمية المتخصصة في علوم البحار والمحيطات أهمية الكائنات المجهرية وما يمكن أن توفره من طعام مهول الحجم والقيمة الغذائية، إذ ما ساهمت البحوث العلمية والأجهزة التكنولوجية المستحدثة في جمعها لإدخالها في حيز الاستهلاك الغذائي للمليارات من سكان الأرض، جاءت هذه الرؤى في إطار ترويج العلماء للأهمية الاقتصادية لأبحاثهم، ومن ثم إبراز مكانتهم العلمية وما يمكن أن يقدموه من نفع كبير يفوق ما قدموه العلماء الآخرين.

تتحكم الأوضاع الطبيعية والظروف الاقتصادية من فقر وغنى والعوامل الدينية والثقافية والذوق الخاص للشعوب ودوافع الإقبال أو الإدبار في النمط الغذائي السائد في كل منطقة لها ظروف محددة على سطح الأرض، هل يمكن أن تتحول بعض الطباع والعادات الغذائية الغريبة لمجموعات بشرية محدودة منزوية الموقع على سطح الأرض وتعم بين سكان العالم فجأة أو تدريجيا؟ ! ، فهل ظاهرة أكل ديدان الحقل لدى بعض شعوب جنوبي شرقي أسيا يمكن أن تغزو العالم ؟ ! ، هل ظاهرة أكل القرود في إفريقيا جنوبي الصحراء الكبرى يمكن أن تعمم ؟ ! ،

هل ينجح بعض علماء من تلك البيئات ذات العادات الغذائية المستنكرة عالميا في إثبات المزايا الصحية لأطعمتهم المحلية؟! ، يبقى عاملا مهما، هو : ـ "الدعاية والترويج"، بالطبع، فهل يستهلك سكان العالم في نهايات القرن العشرين وبدايات الحادي والعشرين إلا من ثمرة نجاحات الطعام المروج عنه في الإعلام، فلماذا يُستهلك على نطاق عالمي الدجاج على سبيل المثال (خاصة الأوراك والصدور) لا البط؟ !، لماذا يقبل السكان على شرائح محددة من اللحم ويتركون أخرى؟ !، ما الذي سيفعله الشرهين والمجانين المتطرفين بالإنسان، من المأكل والمشرب، إلى الفكر والعقائد. . ؟ ! .

هوس الحاجة للبحث عن "مُذيل ـ محلل ـ مذيل ـ مُفترس" لمخلفات الصناعات النافقة.

هوسا سوف يشغل الإنسان في المستقبل، للتخلص من كل ما يعتبره حاليا من الانجازات الحضارية المادية، وتنشيط الأبحاث وتطبيقاتها، والتوسع في إنشاء مصانع الخردة القادرة على تدوير المخلفات البشرية كبيرة الحجم، ذات العائدات الاقتصادية المسددة لتكاليف النقل إلى مصانعها ومخازنها ومعاملها، على رأسها مواد الخام الرئيسية : ـ الحديد، البلاستك، الزجاج، الالومنيوم، النحاس، الاسمنت، الأخشاب، الحجارة، . . . ، وضرورة إيجاد سبل جديدة لإعادة استخدام المخلفات المعقدة التركيب، المختلطة العناصر، من بينها السيارات بكافة أنواعها، السفن، أجهزة الكمبيوتر . .

وتضم عمال القمامة الطبيعيين قائمة كبيرة، تضم : ـ كائنات عضوية : ـ بكتريا، فطريات، جراثيم، حشرات، موجات صوتية، موجات ضوئية، نبضات كهرومغناطيسية، حشرات،، حيوانات مهجنة، طيور محفزة، مجموعات بشرية مُنشطة، وأشياء أخرى ربما تطرح نفسها في المستقبل، نظرا للحاجة الكبيرة للتخلص من كميات لا حد لها من النفايات.

الاحتياج إلى وسائل قياس كبيرة لدرجة الحرارة

يقول إحدى رواه التاريخ في مطلع القرن التاسع عشر (1804 م) واصفا نهارا ملتهبا في حرارة اشد أيام الصيف بمصر: ـ "كان يوما يفقع المرارة من شدة الحرارة، لأنه كان واقعا في عاشر يوم من شهر تموز (يوليو)، والشمس قد يبست الماء في الكوز (الإبريق)، وضاقت النفوس" [38]، هكذا كانت بساطة التعبير عن ارتفاع درجات الحرارة، وكما نعرض تلك الفقرة من بين الطرائف ربما يحين الوقت في المستقبل للسخرية من وسائل قياس درجات الحرارة التي نتبعها حاليا، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، هما: ـ

• الارتفاع الشديد لدرجات الحرارة التي سيتم رصدها في المستقبل، خاصة النجوم التي تفوق حرارتها لهيب الشمس ذاتها، والاحتياج إلى وسيلة قياس كبيرة للغاية، تقارب ما هو معمولا به في قياس المسافات الكبيرة جدا بسرعة الضوء خلال فترة زمنية محددة، ولذلك فان كوكب القمر يبتعد مثلا عن الأرض بمسافة 1_ 2 ثانية فقط، ويفصلنا عن الشمس حوالي 8 دقائق فقط.

• التقنية العلمية المحتملة في المستقبل بلوغها عن طريق "تبخير وتكثيف المعادن" وهي حقبة من المأمول أن تصلها البشرية في مرحلة يجب أن تلحق بما سبق في تاريخ تعامل الإنسان مع المعادن، بدءا من مرحلة "تطويع المعدن" بالتسخين والسحب والطرق، والتي سادت في على العصور القديمة، ثم مرحلة "صهر المعدن" وقولبته وتشكيله، ليحاول أن يرفع درجة الانصهار ويتعداها إلى مرحلة التبخر، ليستكشف خواص جديدة ومبتكرة للغاية لكل معدن على حدا .

• الأسلحة الذرية وما فوق الطاقة التدميرية للقنبلة الهيدروجينية وتطبيقاتها وتجاربها المستقبلية المفترض إجرائها في الفضاء، ومحاكاة نظريات نشأة

الكون، وتجارب التخريب العلمي لإزالة كواكب لا أهمية لها، أو تتطلب تفتيتها ومحوها من الكون.

اكتشاف مزيدا من المتناقضات الجغرافية والعلمية. . . هل تستوعب نشاط العلماء في المستقبل؟ .

هناك تناقضات كثيرة تعتري الإنسان لحو فهمه عن القواعد الرئيسية الحاكمة والمسيطرة على عناصر سطح الأرض، يندر أن نجد عنها إشارات علمية طفيفة تؤكد على وجودها أو نفيها، يدركها عادة كبار المتخصصين في كل مجال علميا مستقلا، ولا تصلح تلك الأمور لتدريسها في المراحل الجامعية الأولى، تجنبا للإرباك، ربما كان سيؤدي ذلك إلى إقرار قاعدة "ثبات القوانين الصارم" ، مع التواجد الدائم لحالات حقيقية "خارجة عن القانون" لم يستطع الإنسان بعد فهمها وصياغة قانون اكبر يفسر سلوكها.

نعي أمثلة مختصة بالنظم الجغرافية مؤكدة على "**التناقضات العلمية**" لظاهرات مناخية غير مبررة لسقوط الثلج على نحو أكثر من مرتان تقريبا كل 100 سنة في المتوسط على اشد المناطق الصحراوية جفافا في العالم! (39) ، ووجود كائنات لا تتناسب مع الظروف الطبيعية لبيئتها، ونظرية التطور الداروينية ! ، من بينها على سبيل المثال : ـ "**فرس النهر**" (Hippopotamus) هذا الحيوان العشبي الذي يتغذى على الحشائش، ويستوطن في البيئة الاستوائية والمدارية في قارة إفريقيا، ويمضي معظم يومه في النهر، كل ذلك لا غرابة فيه، ولكن لماذا هذا الحجم الكبير من الدهون ؟ !، لو تأقلم في هذه البيئة حقيقيا لتخلص من هذا الكم المتسبب في رفع درجة حرارته بما لا يطيقه، إلا بالنزول في النهر!، فهو ليس كائنا مائيا إلا اضطراريا !، ولم يمنحه الله ما هو مشابه للكائنات البرمائية، كالخياشيم والزعانف والجسم الانسيابي المدبب، أنظر إلى الشكل التالي، ربما الأنسب له بيئيا تلك المناطق الباردة في أواسط أوربا على سبيل المثال، وحينها ما كان سيسمى بـ "فرس النهر" ، ربما كان يطلق عليه "**الأبقار عديمة الفراء عريضة الفم**" ! .

ينطبق ذلك أيضا على حيوان "الدب بني اللون"، ذا الفراء الكثيف بما لا يتناسب مع بيئات افريقية حارة !، لماذا لم يتكيف؟!، وهناك أمثلة أخرى لنباتات وأشجار ضخمة خازنة للماء في ساقها أو جذورها في منطقة من اشد المناطق سقوطا للأمطار! (من 1000 إلى 3000 ملليمتر سنويا)، ولماذا تهاجر الطيور بشكل موسمي إلى المناطق الدافئة في موسم الشتاء القارص، وإلى المناطق الباردة في موسم الحر الشديد؟، على الرغم من توافر الغذاء في كلا البيئتان، لماذا لم تتكيف؟، لماذا لم تستوطن إحدى البيئات في مناطق متسعة تليق بها، من تلك البيئات المعتدلة التي تلحظها حين تمر عليها ؟ !.

هناك أمثلة لا حصر لها تم تسجيلها رسميا في مشاهدات الرحالة حول العالم، تطرحها أمام العلماء، وتعتبر ساحة رحبة تستوعب جهود العلماء في المستقبل للمساهمة بكل ما هو جديد للفكر النهضوي الشمولي للبحث العلمي.

"نظرية الانتشار البيلوجي الحر تفسيرا للتنوع الكائنات على سطح الارض" ربما تعيد نفسها حين يستقر الانسان في بيئات جديدة في المستقبل

ربما وجدت الكائنات في مكان واحد، ثم بدأت في الانتشار التدريجي والتوطن في البيئات المختلفة على سطح العالم، وتفسر حقيقة وجود النباتات البيئة الجبلية الباردة والمتجمدة كيف جاءت في منطقة استوائية أو صحراوية شديدة الحرارة، تتيح دراسة الحياة الحيوانية سبل نجاح التأقلم مع البيئة، ونسبته المقاربة للكمال، أو تدنيها في أحيانا كثيرة بما يدعوا للغرابة، ويستفسر عن أسباب وجودها حتى الآن، كيف عبرت هذه السنوات دون أن تنقرض؟ ! .

يمكن تقريب الصورة بشكل ابسط وايسر لفهم وتفسير تلك الظاهرة، على سبيل المثال : ـ ملابس الجنود المموهة لدى جيش ضخم واسع الانتشار، وتوزيعها على الجندين الجدد لتنفيذ المهام المحددة في كل منطقة، وهي تنقسم الى: ـ

- ملابس اللون **الاخضر** للمناطق الزراعية.

• ملابس اللون **الاصفر** (الخفيفة) للمناطق الصحراوية.

• ملابس اللون **الابيض** (الثقيلة) المناسبة للمناطق الجليدية.

• ملابس اللون **الازرق** للمناطق الساحلية.



فرس النهر حيوان مائي لم يتأقلم مع الحياة البرمائية !

كائن برمائي لم يتأقلم مع البيئة المائية على الإطلاق، كان من المناسب لـه أن يهاجر إلى بيئات باردة أو معتدلة أثناء نهايات العصور الجليدية منذ آلاف السنين، ربما علق في إفريقيا، ولم يسمح وادي النيل ومجرى النيل الضيق الذي كانت تكتنفه المستنقعات المائية والحشائش والشلالات بهجرته شمالا، ربما علق لأسباب طبيعية، وعوامل الكسل والبلادة الذاتية، الشيء الوحيد الذي لـه علاقـة بالحياة البرمائية هو ظاهرة توريث صغار أفراس النهر لفطرة حب الإقبال والإقامة في المياه، وأوجه عدم الملائمة مع البيئة كثيرة جدا، وواضحة على تكوينه العضلي ومظهره الخارجي، هي: ـ

الرأس: ـ مفلطح وليس مدببا، مما يعيق الحركة السريعة أثناء الغوص في الماء.

الذيل: ـ لم يتحول إلى زعنفة خلفية، مثلما هو الحال لدى الأسماك والكائنات البرمائية، على الرغم من تكرار هز الذيل يمينا ويسارا لنثر الروث، فيما يعتبر تأكيدا على السيادة على أرضه وأقرانه.

الأقدام: ـ غير زعنفية، يستخدمها في السير مثل القفز على قاع النهر والمياه الضحلة.

الجسم : ـ ممتلئ مقاوم للماء أثناء السباحة.

الجلد: ـ لا يحوي الحرافيش أو الصدف المضاد للاحتكاك، وهي ظاهرة غير ملزمة أحيانا، فالملمس الجلدي يكاد يكون متشابها لدى الفقمة وسبع البحر على سبيل المثال، وبسبب طبقات الدهن الكبيرة لا يتحمل الجري لمسافات طويلة أو بذل مجهودا كبير، لأنه يمكن أن يؤدي إلى رفع درجة حرارته بدرجة قصوى، يمكن أن تتسبب في موته.

المأكل العشبي : ـ من غير المعروف عن فرس النهر تغذيه على الأسماك، وهي ظاهرة فريدة من نوعها في مجال الكائنات البرمائية.

يُطلب من الجنود اختيار نوع الملابس بحرية تاما لا تلتزم بصرامة تناسب الملامس مع البيئات التي اعدت لها مسبقا، والتي ستقرر المناطق الواجب عليهم الانتشار فيها، كل نوعا من الملابس خصص له ما يناسبه من أطعمة، ومعدات، وأدوات، وأسلحة، والتي أحيانا لا تصلح على الإطلاق في بيئات لا تتناسب معها

تبدا مجموعات الجنود في الاختيار العشوائي تبعا لميولهم الشخصية الساذجة، بلا وعي يعكس استعدادهم الحقيقي للانتقال لهذه البيئات، ويتجهون إليها، ويصل بالفعل كل فئة إلى وجهتها، في حين يتلكأ آخرون، ويفضلون الاستقرار في بيئات لا تتناسب مع الملابس، ويحاولون إعادة التكيف المناقض للون ونوعية الملبس، على هذا المنوال : ـ

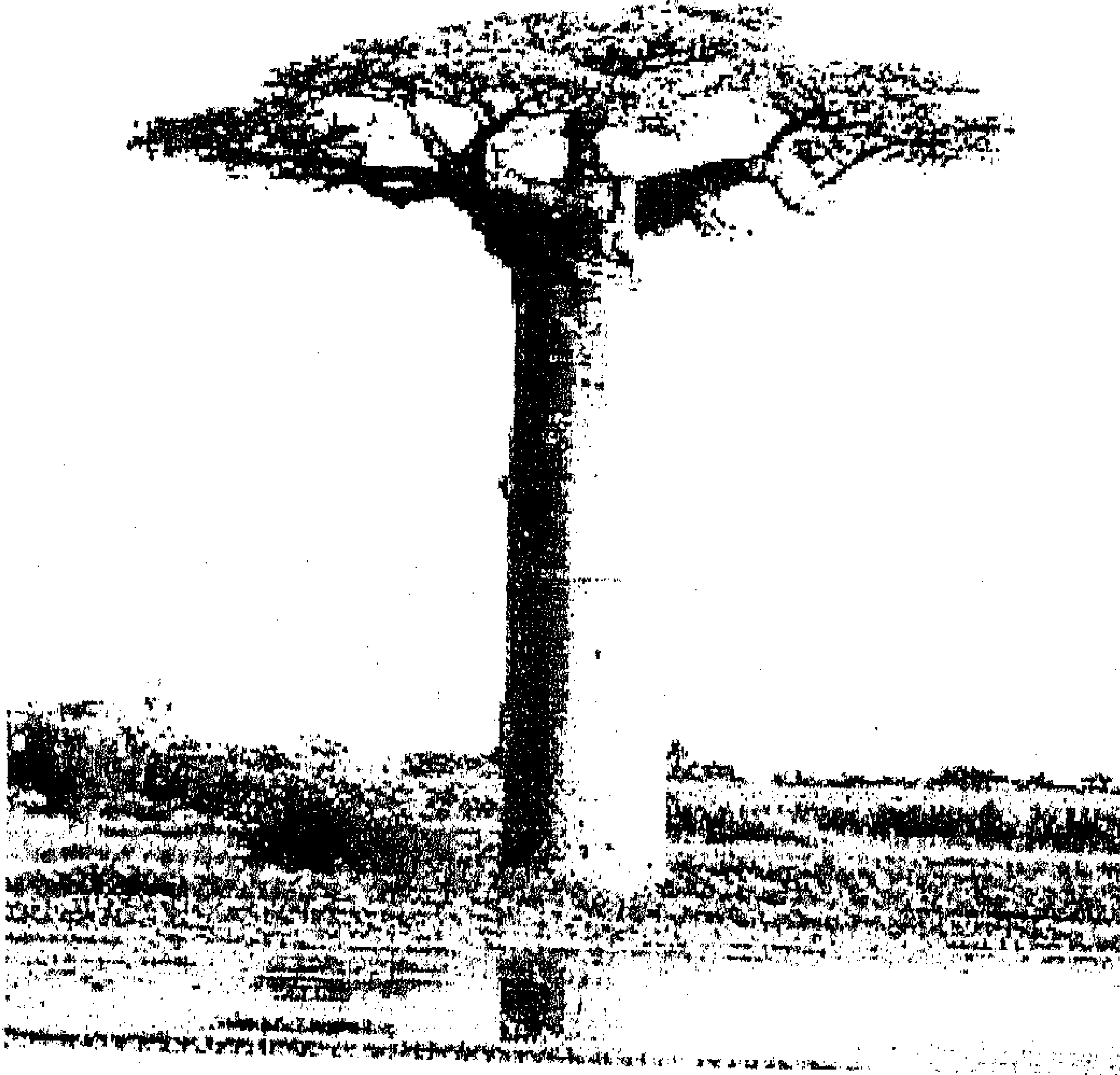
- **إعادة التكيف والموائمة بملابس ووسائل لا تتناسب مع البيئة:** ـ يبدأ أصحاب الملابس البيضاء الثقيلة بثقب ملابسهم للتهوية، وبلها باستمرار، ويتجه أصحاب الملابس الصفراء الخفيفة عندما يستقرون في الجهات الجليدية إلى حشو أنفسهم بمزيد من الملابس للتدفئة، تظهر هذه النظرية في الكائنات ذات الموطن البارد التي استقرت في بيئات حارة، من بينها على سبيل المثال "فرس النهر"، السابق الإشارة إليه، وعدد كبير من النباتات، وكائنات الموطن الحار المستقرة في بيئات باردة، من بينها الحشرات والزواحف ذات الدم البارد.

يدخل مع هذا السلوك الظاهرة الموسمية المستمرة لتغيير خصائص فراء الحيوانات استعدادا لفصل البرودة القارص والصيف الدافئ، فمن الفراء الكثيف شتاءا تلجأ إلى تخفيف نوعيته ولونه وكثافته صيفا، خاصة بشكل أوضح لدى الحيوانات العشبية.

وتعتبر النحافة الواضحة للسلالة الزنجية إحدى وسائل التكيف المستخدمة قديما، وقد اختلف زنوج الولايات المتحدة الأمريكية اختلافا ملحوظا عن أجدادهم الأفارقة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مالت للسمنة وزيادة الوزن، أكثر من أشقائهم في أمريكا اللاتينية وأمريكا الجنوبية، مثبتا نظريا أن "جين نحافة الأفارقة" ليس جينا أصيلا في أجسادهم ويسهل التغلب عليه لزوال أسباب شظف العيش وتحسن الوسائل التغذية وتوافرها.

من غرائب الكائنات المناقضة للتوائم مع البيئة شجرة "التبلدي" أو "باوباو" (Baobab) (الاسم العلمي: Adansonia digitata)، انظر إلى الشكل التالي، وقد يصل ارتفاعها إلى 25 ـ 30 متراً، ويبلغ قطر جذعها حوالي 11 متراً، وتعمر هذه الشجرة إلى أكثر من ألف عام، وتسقط أوراقها في فص الجفاف لمدة تسعة أشهر في السنة وتبدأ الأوراق في الظهور عند بداية الخريف، وتخزن كميات كبيرة من المياه (حوالي 25000 لتر) في ساقها الأجوف (السعة التخزينية من 40 إلى 100 برميل

للشجرة الواحدة) [40] ، بما يفوق قدرتها على استهلاك هذه الكميات في موسم الجفاف قصير الأمد، وإجراءات التقشف الاستهلاكي الشديد، ولماذا يخصص الجزء للتخزين؟!، حلت معظم الأشجار مشكلة نقص المياه بوسائل أخرى، هل لهذه الإستراتيجية أغراض أخرى لا علاقة لها بالادخار؟!، هل قامت الشجرة "بخطة ردع" لإرهاب الكائنات العشبية؟!، هل فكرت الكائنات غير العاقلة في "إستراتيجية الردع" لتخويف أعدائها من الديناصورات قبل البشر بملايين السنين ؟ ! .



شكل (28) شجرة "باو باو" (Baobab) حجم كبير لتخزين المياه بما يفوق قدراتها الاستعابية، هل مازالت تحاول ردع اعدائها من الديناصورات؟!، هل تصلح لزراعتها على المريخ ؟ ! .

تعتبر شجرة "تبلدي" أو "باو باو" ظاهرة نباتية وجغرافية محيرة، أكثر من سذاجة أن يستظل بها السكان، فتعقد عندها اللقاءات الشعبية المحدودة العدد، وتُتخذ كعلامات أرضية ثابتة ـ على الرغم من الندرة الشديدة في استخدام نبتة واحدة من بين العلامات الجغرافية الثابتة ـ لمعرفة الاتجاهات، وتوجيه الرعاة والمسافرين إلى مناطق انتقالهم، ويمكن أن نتصور مدى الاحترام والمهابة الذي حظيت به لدى الإنسان البدائي منذ آلاف السنين، وربما بلغت حد تبجيلها وعبادتها، ولاقت احتراما دينيا فاق مثيلاتها من الأشجار، الم تعاصر الأولياء الصالحين، وجلس عندها كبار المشايخ، وعاصر بعضها دخول الإسلام إلى إفريقيا، وربما نجد من يؤكد على عمر إحداها بما يتجاوز ألفي عام، معاصرة للسيد المسيح عليه السلام، وتستمر ظاهرة نسج الأساطير حولها لدى الطبقات الشعبية غير المتعلمة، حول مزاعم الأصل النبيل لعظماء القوم بالخروج من جسدها!، والإيحاء الشفائي بمجرد لمسها أو مشاهدتها من بعيد، والتفاؤل بالخير بمجرد رؤيتها في المنام، ودفن الموتى بالقرب منها، تيمنها بخلوده، والاعتقاد في اتخاذ الأرواح موطنا دائما في جوف الشجرة.

- **تجاهل التكيف والاستخفاف به لضعف وجود حافز بيئي للتكيف:** ـ لا يقومون أصحاب الملابس الأخرى بجهد أو تعديل في ملابسهم المختلفة مع اللون السائد في الإقليم، ولذلك ظهرت على سبيل المثال ظاهرة الألوان المناقضة للسائد في البيئة، من بينها الضفادع السامة ذات الألوان الزاهية في غابات الأمازون، كما تسبب هذا السلوك في انقراض الحيوانات، ونفوق الكائنات الأخرى حين بلغ تضررها حد الموت.

- **نجاح الاستقرار بفعل تطابق الخصائص مع البيئة:** ـ وهي المجموعة التي اختارت لون البيئة وانصاعت للانتقال لنفس البيئة المخصصة لها، ويلاحظ فيما بعد ضعف الجوانب الإبداعية والخيال والمهارات الابتكارية للتكيف

مـع البيئـة، لتـوافر الخـصائص وعـدم احتياجهـا إلى أي تعـديل في وضـعها الحالي، قبل ان تجرا انقلابات على خصائص البيئة.

- **التفوق في التأقلم مع البيئة:** ـ وهي حالات نادرة للكائنات الحية على سطح الأرض، من بينها الحرباء، وتوجد بكثرة لدي العديد من الكائنات البحريـة، خاصة الجوف معوية، من بينها الحبار مثلا، حيث تقوم بتغـيير لونهـا سـريعا للتأقلم مع البيئة والتخفي بلونها، وتملك وسائل دفاعية وهجومية فريدة من نوعها، وغالبا تندر في الكائنات الأخرى.

وتعتبر هناك سلالات محـددة مـن الـثدييات والطيـور ذات نزعـات عدائيـة مبالغا فيها، لا تتناسب مع الأخطار التي من المتوقع أن تحدق بهـا، ولا تتـشابه مـع أقرانها من الكائنات في نفـس البيئـة، ويمكـن أن نـدلل علـى ذلـك بـسلالة "الثـور الاسبانية البرتغالية" في شبه جزيرة ايبريا، والتي لديها اسـتعدادات هجوميـة للفتـك بمن يناوشها، ونشأت بسببها رياضة "مصارعة الثيران"، فماذا لم تنشا ظاهرة مـسارعة الخراف في نفس البيئة؟!، لان العدائية لدى الثور فاقت التـصور، وهنـاك نظريـات عن أصـول الـثيران تعـود بهـا إلى المـوطن الأول في إفريقيـا، فهـل كانـت القـرون الخنجرية المصوبة للأمام مع قوة جسدية وشجاعة وشراسة قتالية جـزء مـن أدوات مقاومة وحوش وضواري إفريقيا من اسود ونمور وضباع؟!.

أما ظاهرة "سلالة الدواجن المقاتلة" التي نشأت عليها رياضة موازيـة لمـصارعة الثيران فهي ليس لها تفسيرا علميا مقنعا، لماذا فاقت اقرأنها في الدفاع عن نفسها؟!، وقد ذُكر قديما (في كتاب الحيوان للجاحظ) عن استخدام احد الأعراب للـديوك في حراسة منزله!، وما يفعله من نقر عين كل من يقـترب منـه، وفي مبالغـة ادعـاء انـه يصارع وحوش الصحراء ويتفوق عليهم!، فهل هـي الحقيقـة؟، آم مبالغـة ذكـرت لقابلية التصديق مما عرفه الإنسان عن شراسة الديوك؟!.

- **تحدي التكيف مع البيئة:** ـ مؤديا إلى الانقراض السريع للحيوانات، ونفوقها.

تفسر تلك النظرية سلوك الكائنات واستقرارها فيما يتناسب أو لا يتناسـب معها من بيئات قرر لها أن تستوطنها طاعة ومواءمة لقدراتها، أو تحـديا لهـا، جـرى

هذا الاختيار منذ بداية وجود الحيـاة علـى سـطح الأرض، وحتـى الآن، انظـر إلى الجدول التالي.

جدول (4) نماذج لدرجة تأقلم الكائنات المختلفة على سطح الأرض والبيئات المناسبة لقدراتها

نوع الكائن الحي	الموطن الرئيسي الحالي	درجة التأقلم	أسباب ضعف التأقلم	العناصر اللازمة للتأقلم	الموطن الافتراضي المناسب لقدراته	ملاحظات
فـرس النهر	إفريقيـا الاستوائية	ضعيفة	زيـادة كميـات الـدهون تحت الجلد	(على البر) • دهون اقل. • حجم اقل. (في الماء) • جسم مدبب. • زعانف • التغـذي علـى الأسماك.	المناطق الباردة	حيوان بـري غـير مـائي فـضل الوسـائل الثانويـة للتـأقلم، يقـضي وقتـه في النهـر لتبريد جسمه فقط.
ثعـابين المنـاطق الباردة	المنـاطق الباردة	ضعيفة	ذوات الدم البارد	• فراء • تلـون الجلـد باللون الأبيض • زيـادة سماكـة الـدهون تحـت الجلد.	المنـاطق الحـارة والمعتدلة	كائنـات سـريعة التأقلم مع البيئـة، لازالـت تتـأقلم حاليـا بـسرعة في البيئة الباردة، ومن المحتمـل أن تحقـق نجاحـا سـريعا في المئـات الـسنين القادمة
شـجرة التبليدي	غـرب السودان	ممتازة	تخـزين كميـات كـبيرة مـن المياه تفـوق استهلاكها	تقليل تخزين المياه زيـادة المجمـوع الخضري والثمار	المنـاطق الصحراوية كوكب المريخ.	تـضخم في حجـم الـساق لتخـزين المـاء وردع الحيوانـات الـضخمة، مـن بينهـا الديناصورات.

المصدر : ـ من الإعداد الشخصي للباحث.

يمكن أن تبدأ مرحلة جدلية جديدة في البحث العلمي، للتنقيب عن الوسائل القديمة التي امتلكتها الكائنات الحية، والأدوات المستحدثة التي اكتسبتها في البيئات الجديدة المنتشرة ما هي "درجة التأقلم" بشكل مصنف رقميا، وأي المناطق البيئية الأخرى المأمول أن تحرز نجاحا اكبر بما تقوم به حاليا، وإعادة البحث عن "الموطن الرئيسي الأول" للكائنات، أين آتت؟، ذهبت من أين إلى أين؟، هل بيئتها الحالية مجرد موطنا مؤقتا أو إضطراريا قابلا للتغيير عند اقرب فرصة، هل لو أمكننا بناء مختبرا كبيرا يضم كل بيئات الأرض، وكل كائنا الأرض، تتوافر فيه سبل الطعام بكل سهولة، لا مجال للتنافس والتصارع المؤدي أحيانا للهجرة، ماذا كانت ستختار موطنها المفضل؟!.

وستظل تلك الاختيارات متاحة بطرق مختلفة لكل الكائنات نحو البيئات التي استطاع الوصول اليها، ومن المتوقع أن يحدث إعادة انتشار وتوزيع للبشر القاطنين لكواكب المجموعة الشمسية في الفترة المقبلة.

إعادة توزيع الحيوانات الطبيعية في العالم.

هاجرت كائنات كثيرة تحت ضغوط أو مطالب ذاتية إلى جهات كثيرة لم تسكنها قط، وأعادت توزيعها باختيارها المحض، لكن كان الإنسان هو المؤثر الأكبر في إعادة توزيعها على سطح الأرض، ساعده سهولة وسائل النقل منذ العصور القديمة وامتدت بقوة في العصور الوسطى، فركبت معه عرباته وسفنه وانتقلت معه في رحلات اللهو والتجارة والحرب، وتمت بأعداد قليلة إلى حد ما، وخضع بعضها لرعاية والمتابعة الدقيقة، وأطلق بعضها أو هربت إلى البرية، وازدهر بعضها بفضل قوتها الذاتية بما يفوق الكائنات الأخرى، وفي حين تميزت الحيوانات العشبية بسرعة التناسل أو الهرب، فرضت الحيوانات المفترسة الجديدة سيادتها على الحيوانات المحلية.

جرى النقل البشري للكائنات الطبيعية بطريقة معيبة، لم تخطط إلى نقل الحيوان وعدوه الطبيعي - إن كان معروفا لها عدوا بيولوجيا - إلى البيئة الجديدة،

متسببة أحيانا في ظاهرتين متضادتين: ـ إما التفوق العـددي للمفترسـات مصـحوبة بقلة موازية لأعدائها الجدد في البيئة الغريبة، وإما تأخذ مكانا مزاحما للكائنات غـير المفترسة الشبيهة، وأدت تلك العوامل إلى إحـداث خلـلا بيئيـا، أدى بالتـدريج إلى انقراض كائنات محلية على مدى مئات الأعوام،

أما في العصر الحديث فان آمرها يدعو إلى الغرابة، ما بين قمة النقـل، وقمـة المنع، ما بين قمة الرواج مهددا بالانقراض، وقمـة التجاهـل، مـن التجـارة المتاحـة للجميع عبر الانترنت، إلى الاتجار السري، من الحماية القانونية تجنبا للانقراض، إلى عدم الاكترات بالتصرف معهـا، قمتهـا أحيانـا وذروتهـا أحيانـا أخـرى في الوقـت الراهن، وربما تزاد الأمور حدة في المستقبل.

الفصل الرابع

العلاقات والحياة الفصل الرابع

العلاقات والحياة السياسية المتوقعة بين الدول في عالم المستقبل

الفصل الرابع

العلاقات والحياة الفصل الرابع

العلاقات والحياة السياسية المتوقعة بين الدول في عالم المستقبل

ما هو الأصل في العلاقات الدولية، الاتحاد آم التفرق؟، أي منهم الأصل والاستثناء؟، من أكثرهما بقاء ؟ لمن الغلبة على الآخر؟، يمكن أن نتجادل طويلا، لكننا نستفسر عن بواعث وأسباب التأكيدات الحكيمة حول"الاتحاد قوة، والفرقة ضعف" ؟ ، ربما لميل الإنسان الفطري للانفراد والانعزالية داخل المجتمع، حتى في حالة لجوئه اضطراريا للسكن في جماعة، لماذا يطالبنا العقلاء بفعل شيء إلا إذا أدركوا أننا نتجنبه ولا نطيقه أمدا طويلا؟!، الأصل هو الفرقة، الفردية في الميول الذاتية للإنسان والنظم البشرية على مر التاريخ.

أثار انفصال الأقاليم عن الدول في المستقبل. ظاهرة سياسية متجددة دائما.

تستمر ظاهرة المطالبة بانفصال الأقاليم النائية ذات الخصائص الطبيعية والسياسية الفريدة عما جاورها، مخلفة مشكلات لا حصر لها، وقضايا محل نزاع سيستمر لسنوات طويلة بعد الاعتراف الرسمي بانفصال الإقليم عن الدولة التابع لها، نزاع ذا شقين لا أمل في تجنب احدهما قط، **الأول:** ـ خلاف قانوني وإداري قليل الحدة، **والثاني:** ـ نزاعا مسلحا تتفاوت درجتها ودمويتها، من عمليات استخبارتية محدودة يتكتم عنها إعلاميا، إلى حربا سافرة تميل لـ"النهب الجغرافي" والاستحواذ على ما يمكن من ثروات الإقليم، وتحجيم قواه إلى أقصى حد يوفر الطمأنينة الكاملة للدولة الأم.

ماذا يعني انفصال إقليم ما عن دولته من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية؟، كيف يمكن تفكيك قواتها المسلحة؟، المكونة من شعوب ولايات مختلفة، التي تنتشر قواعدها العسكرية على كامل أراضي الدولة، وأسلحتها وقطعها البحرية في مياهها الإقليمية؟ ومن سيبقى من جنودها

الموجودين في مهمات عسكرية خارج البلاد؟ ومن سيستحوذ على مقعدها في الهيئات الدولية؟ وماذا سيحدث لسفاراتها؟ ومن سيستحوذ على عائدات الثروة البترولية في المياه الإقليمية؟ حتى العلم سيصبح محل نقاش، وما هو شكل الحكم المتوقع وطبيعته المتفقة ام المغايرة مع الدولة الأم؟، هل ستبقى مثل الدولة ملكية كانت آم جمهورية؟، وماذا عن مصير قصور الحكم وكنوز، وما تتضمنه من رموز السيادة التي استمرت لفترات طويلة من عمر الدولة الموحدة.

مشكلات انفصال الأقاليم المهمشة في العالم النامي.

ظهرت أثناء المحاولة الناجحة لنيل استقلال دولة "جنوب السودان" تعليقات تتناول بعض التحديات التي تواجه ميلاد دولة جديدة، بداية من أدنى مستويات الفقر وتدني مستوى التعليم والرعاية الصحية ووجود الخدمات الإدارية المناسبة، فهناك العديد من التحديات الداخلية الكبيرة، مما يجعلها دولة في حكم الفاشلة، فما الذي يعنيه ميلاد دولة جديدة؟، يعني أشياء كثيرة من بينها: ـ عاصمة جديدة، حدود سياسية جديدة أيضا، جواز سفر لمواطنيها، طوابع بريد، فريق قومي للعبة الشعبية مثل كرة القدم، مؤسسات حكومية مكتملة وعملة وطنية، وتحتاج المناطق الفقيرة إلى المقومات الأساسية، حيث لا توجد كهرباء ولا صرف صحي، والوسيلة المتوافرة للغالبية من مياه الشرب عبر نقل مياه النهر وبيعها إلى السكان في منازلهم، ومزيدا من المستشفيات والمدارس والمباني الأمنية، [41] ، والمركز الإدارية . . .

لعل أيسر وأسهل شيء في إنشاء الدول هو "العلم" والنشيد الوطني" و" الرئيس الأبوي" !، لطالما سبق تهور الاستقلال على عجل قبل تأني التأسيس المقنن، ويستمر ذلك في المستقبل، حتى الأطفال والمراهقين يحلمون بحرية التصرف والممارسات بلا قيود ومراقبة وتوجيه ولوم . . . ، وتعرف النتيجة المسبقة لاختيارهم ما بين "الحرية المطلقة" و "الخضوع للنظام" في البيت والمدرسة والشارع، ...

يُذكر أن : ـ "قراءة سيرة حياة نابليون وكذلك كل الزعماء المشهورين تؤدي إلى الكثير من مشكلات التطلعات الشخصية" [42] ، فهل تعم موضة الاستقلال

فجأة بلا مبرر غير التقليد في النهج والطموح؟! ، وتتبع خطى مجتمع سعى للاستقلال واعد له العدة، ودفع ثمن الحرية بدماء الشهداء، فماذا تدفع المجتمعات المقلدة؟، ثمنا زهيدا لسلاح خطير، فعلى سبيل المثال: ـ نالت دول القارة الافريقة استقلالها بصفة رسمية عن الدول الأوربية المحتلة، لكنه استقلالا صوريا ليس له وجودا من الناحية النفعية والفعلية، وما زال النفوذ الأوربي يجري بكل قوة، مدعوما أحيانا بأشكال أخرى من الشرعية، تأخذ أسماء أو صفات متباينة، تنم عن صغر المساحة الممنوحة لقادة الدول على مجمل أراضيها وشعبها ومواردها.

دول "الصغار" ومناطحة الدول "الكبار"

تميل الدول الصغيرة الحجم والقوى إلى تحدي الدول العظمى التي رضخت لها في الحقبة الأخيرة بصفة خاصة، والحقب التاريخية على مر آلاف السنين بصفة عامة، ويلاحظ اخذ المبادرة الأولى في افتعال المشكلات السياسية، وتضخيم الحوادث التافهة، وإحياء وإعادة تسليط الضوء على الوقائع الإجرامية التي مورست ضدها من أمد بعيد، يعود أحيانا إلى مئات السنين بلا أدنى مبالغة! ، فهل كانت النزاعات العرقية، والمغامرات العسكرية للقادة المندفعين دربا من محو ماضي حياة العبودية وإبداله بكل ما تعنيه كلمة "فخر" ؟ .

هل تُعد خُطى الحاضر والمستقبل هي في حقيقتها خطى محمومة لمحو الماضي؟!، فما هو السعي الحقيقي للمستقبل إذن؟ !، ربما تأتي المرحلة الحقيقية في التفكير في المستقبل فيما بعد الثورة على الماضي، بعد ارتكاب الحماقات السياسية والتورط في حروب لا عائد منها.

وتعتبر المنافسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية نوعا من الانتصار على ألام الماضي، حتى الدين لطالما كان أداه للثار من خصوم الحاضر، ومهربا من ضيق عيش الحياة، وطلبا للتميز عن عالم الحاضر، وتطلعا لحياة أجمل في مستقبل العالم الآخر بعد الموت، هكذا الدول أيضا ! ، ولا يشترط أن تتسلط هذه العقلية على

قادتها، بل هو إحساسا وشعورا عاما يجتاح مجتمعات كاملة عبر جيلا كاملا أو أكثر.

يلاحظ أن الأجيال عادة ما تمل مسالك أبائها ذات العبء الكبير والنفع القليل، وتهجر عاداتهم، وتبحث عن طريقا مستقلا في حياتها، فهل هو طريقا آخر لنفس الهدف ؟ !، تعبيرا جديدا لفكر ثابت، سعيا "للتميز" بأيسر السبل، بالتفوق على الآخر، الذي هو عدو الماضي، الذي هو الماضي فقط.

يمكننها الاعتقاد في أن المجال العلمي المحض هو ابرز واصدق طريقا نحو المستقبل، وان كانت تشوبه شوائب المنافسة والتفوق والبحث عن وسائل وأدوات لإلحاق الأذى بالخصوم. . . . ، لكنه أكثر ميلا نحو الابتكار والإغراق في التجديد والتحديث بما يغاير الماضي والحاضر والمستقبل نفسه

يتقبل المجتمع الدولي بصعوبة بالغة عمليات انفصال الأقاليم ومطالبها بنيل استقلالها عن الكيانات التابعة لها، تقبل ثقيل الخطى، باهظ الثمن، سيء الطالع، ربما هذا هو قدر كل من يحلم بكل دولة وليدة نالت استقلالها للتو، فتبدو أمام العالم كيان حر تخلص من تبعية كيان آخر، ليخضع لكيان أقوى ساعدها من قبل، عرفانا بالجميل، نجدها كعبد حلم بالحرية وهرب من سيده في الصحراء بحثا عن سيدا آخر، فأين الاستقلال؟، ربما يمكن أن تحلم به بعد مرور ما لا يقل عن عشرات السنين، بناء على نجاحها الذاتي غير المتوقع في المجال الاقتصادي أولا، ثم السياسي والاجتماعي والعلمي، وقلما بلغت دولة ما هذه المرحلة في اقل من جيل أو جيلين على الأقل، أو لنقل بعد حوالي 25 ـ 50 سنة على الأقل، حتى يمكن ان يطلق عليها دولة كاملة السيادة عن جدارة حقيقية كاملة.

التعدد الحتمي لخرائط التوزيعات السياسية لدول العالم في المستقبل

حينما تتحول عملية إنشاء الدول إلى سلعة اقتصادية تتحكم فيها ضوابط "العرض والطلب"، وسيطرة المجتمع الدولي والإجراءات الشرعية في تحقيق مطالب الشعوب والزعماء المغرورين، وفقا لضوابط قانونية وأخلاقية وعوامل شتى تتسبب في المنح والمنع، يصبح هناك مجالا غير شرعيا يلبي احتياجات قائمة الانتظار الطويلة لإنشاء "الدول المستقلة"، ممن لن تنطبق عليهم الضوابط المتفق عليها عالميا.

تؤدي تلك العوامل إلى وجود أنماط متعددة في خريطة العالم السياسية لما يعرف بـ"الدولة" ذات سيادات متناقضة، وهي :ـ

- **خريطة الدول الرسمية** المعترف بها عالميا، لها سيادة على أراضيها الكاملة، وتتميز بكبر مساحة الدولة، وسيادة سياسية وعسكرية تعمل وفقا للقانون.
- **"دول إجرامية"** :ـ عبارة عن بؤر محدودة المساحة أحيانا، لم تحظ باعتراف دوليا، وتمارس سيادتها على ما تخضعه من أراضي على حساب دولة رسمية ضعيفة سياسيا وعسكريا واقتصاديا . . .
- خريطة توضح حالة **"جدلية الدول المشكوك فيها"**، والكيانات السياسية الاقتصادية المختلطة، تضم :ـ شركات وتجمعات ومنظمات مدنية وحقول تعدين الثروات الطبيعية الإستراتيجية، على رأسها البترول والذهب والماس، وما سوف يكون لها قيمة مشابهة أو تفوقها جميعا في المستقبل، وتتميز بتذبذب مواقفها وتصرفاتها، ما بين تعاملات اقتصادية محضة، إلى تدخلات وممارسات مستقلة، لم تحسم أمرها فيما بينها، ويصعب على الجغرافيين إنكار وجوده،ا أو إعطائها صفة سياسية لم تعلن عنها صراحتا، ويمكن لهذه النوعية من الكيانات أن تتحول إلى "دول تحل محل دولا ضعيفة، أو"دولا إجرامية"، تحدد كل مرحلة قدرة انجذابها إلى أيا من النقيضين.

حتمية التفتت السياسي الأخير للبشر.

إن سعي الدول للاتحاد في كيانات كبيرة، سياسية، أو عسكرية، أو اقتصادية، وثقافية، تبدو ظاهرة سياسية "دورية" استمرت عبر التاريخ، في "متوالية" لم تنتهي حتى الآن، بدأت من توحيد القوى الفردية وانضمامها في الجماعة، من دول الإقليم الواحد، إلى الأقاليم المتعددة، . . . ثم يمر الوقت وتبدأ "مرحلة الانفراط"، ثم الاتحاد، ثم التفرق، وهكذا.

يشعر قادة الدول والشعوب بالملل والزهق، وثقل القيود السياسية، والأعباء المفروضة عليهم بفعل حالة "الاندماج"، والشعور التلقائي بانتهاء "فترة الصلاحية" للتجمع الإقليمي، وانقضاء مدة فاعليته الواقعية، وانخفاض احتمالات نجاحه في المستقبل إلى أقصى حد، حتى يصبح التجمع كيانا خيالا لا وجود له إلا على الورق فقط.

نرى أن متوالية **"الاندماج والانفراط"**، **"الاتحاد والتفرق"**، سوف تتجه لا محالة إلى مرحلة ختامية من : ـ **"الانفراط الأخير"**، **"الانفصال النهائي"**، بلا اندماج أو اتحاد مرة أخرى على الإطلاق، يدفع الحضارة البشرية للمرة الأخيرة إلى "المرحلة البدائية"، إكمالا نهائيا لدورة حياة الإنسان على سطح الأرض.

حضارات البشر في الفضاء . . . هل يمكن أن تشكل قطبا سياسيا جديدا ينافس قوى الأرض.

إن تتبعنا لمراحل الكشوف الأوربية للأمريكتين يظهر أنواع من العلاقات السياسية، وانعكاسات لممارسات القوى الدولية على **"العالم الجديد"** الذي بدأت تتكشف ملامحه والصراعات السياسية عليه، فقد بدأت كل من : ـ اسبانيا والبرتغال، أولى الرحلات الكشفية والسباق نحو الغزو والاستيطان البشري في الأمريكتين، ثم دخلت دولتي انجلترا وفرنسا مجال الكشوف الجغرافية للمنطقة، والمشاركة في ضم مساحات شاسعة إلى بلادها (43)، فهل يمكننا على ذلك أن نتنبأ بنهاية وشيكة أو تقلص دور كل من : ـ الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد

السوفيتي السابق في مستقبل غزو الفضاء؟، وإفساح المجال لقوى جديدة، ربما لصالح الصين واليابان وأوربا، يدعو تاريخ الكشوف الأوربية لقارة إفريقيا إلى تكرار الظاهرة ذاتها، فقد لوحظ على سبيل المثال :ـ أن التدخل القوي والسريع لدولتي :ــ اسبانيا والبرتغال في حركتي الكشوف والاستعمار الاستيطاني والاستغلال الاقتصادي لقارة إفريقيا أعقبه أيضا انسحابا سريعا وأفولا تاما لفترة النشاط الكشفي والاستعماري، لتتولاه قوى أوربية وليدة (فرنسا- ايطالي ـ بريطانيا ـ ألمانيا ـ بلجيكا) (44) ، هل هي **"حكمة جغرافية"** ؟، أم **"فلسفة عامة في الصراعات السياسية على المساحات الجغرافية الجديدة المستكشفة للتو"** ؟ ، ربما، فالقاعدة الثابتة في العلاقات الدولية، وكافة المعاملات البشرية هي **"ثبات ظاهرة التغير والتبدل"** حتى نهاية فعاليات الحضارة البشرية.

ماذا بعد إذ "صدقت الرؤيا" ؟، وأعفت الولايات المتحدة وروسيا ذاتهما من خطط غزو وإعمار الفضاء، وتولته قوى أخرى؟!، ما الذي يمكن أن تجيب عنه "الحكمة الجغرافية" ؟، إذا تتبعنا نشاط بريطانيا في المستعمرات نجد أمرا متفاوتا بكل حدة، فمن استعمارها لمستوطنات ما لبثت أن نالت بعض الحقوق السياسية المستقلة تحت التاج البريطاني (الكومنولث) برزت قوى استيطانية نبتت منها وتربت في رعايتها، وانقلبت عليها طلبا للاستقلال الكامل، ولنأخذ الولايات المتحدة الأمريكية مثالا حين كانت خاضعة لبريطانيا، عبرت عنه "الثورة الأمريكية" وخوض الكفاح المسلح للمطالبة بالانفصال والاستقلال عن بريطانيا، ثم نجحت الثورة، وأعقبه نوع من "الانغلاق على الذات" والتفرغ لحل مشكلات الداخل، وبناء الوطن بالاعتماد على النفس، والاكتفاء بمشاهدة الأحداث العالمية دون المشاركة بدور فعلي في أوج الصراعات الدولية الحادة، واستمر ذلك حتى بدايات "الحرب العالمية الأولى"، لكنها اتبعت **"هوى الخطى البريطانية"** في السياسة الدولية، أثناء التفكير الأناني وتفضيل المصلحة الأمريكية العليا في الانخراط في إحدى جبهتي القتال في الحرب العالمية الأولى والثانية والحرب الباردة، ربما يتكرر نفس الوضع

حين تنجح دولة ما في تولي خطط غزو وإعمار الفضاء، لتقوم بدور الوصاية وممارسة سيادتها على المجتمعات الفضائية الجديدة، ثم تنهض قوى من داخل تلك المجتمعات، متحدية الهيمنة والسيطرة، مطالبة باستقلالها عن الاحتلال الأرضي ! .

من الممكن أن تتنحى الولايات المتحدة الأمريكية عن دور ريادة الفضاء واستكشافه، حينما تتعرض للاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعي، والتي من الممكن أن تتسبب في توقف مهمة استكشاف الفضاء، أو إلغائه كليا، ليبحث علماء الفضاء عن "شريك" أو "راعي" جديد يمول مشاريعهم، في مقابل بيع أسرار الفضاء، وإنجاح الرحلات، والتوطن البشري الراسخ على سطح الكواكب الجديدة.

مع نفور البشر من ارتياد مستعمرات جديدة تُعد مناطق كريهة لديهم، من المحتمل أن يتم في مرحلة لاحقة توطين المجرمين والمبعدين في البيئات الجديدة غير المضيافة، مثلما تكرر الوضع لدي إنجلترا حين وطنت المجرمين في استراليا ونيوزيلاند، ويعتبر التجار والمغامرين والمستكشفين هم طليعة بناة المراكز البشرية في البيئات الجديدة للبشر (في الفضاء ، أعماق الأرض . . .) التي تشكل النواة الصغرى للدول الناشئة في المستقبل.

الانتقام من الدولة الأم عن طريق تخريب مستعمراتها.

ظاهرة تكررت كثيرا في مرحلة الحقبة الاستعمارية، خاصة منذ القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر، حينما كان القراصنة الانجليز يهاجمون المستعمرات الاسبانية في أمريكا الجنوبية والجزر المتناثرة في غرب المحيط الأطلنطي، وساعدوا على هزيمة الأسطول الاسباني "الارمادا" (Armada) في القنال الانجليزي عام 1588م، وكانت بعض الأساطيل الانجليزية التي تتجول في المحيط تندفع إلى السواحل الاسبانية، فينهبوها، وتحمل كنوزها إلى انجلترا [45]، فربما ينتظر المستعمرات المستقبلية مصيرا مأساويا مشابها، وتعاني من غارات السلب والنهب في بواكير عهدها، قبل أن تتعرض كلية للاستعمار، وتغيير علمها، وخضوعها لسيد

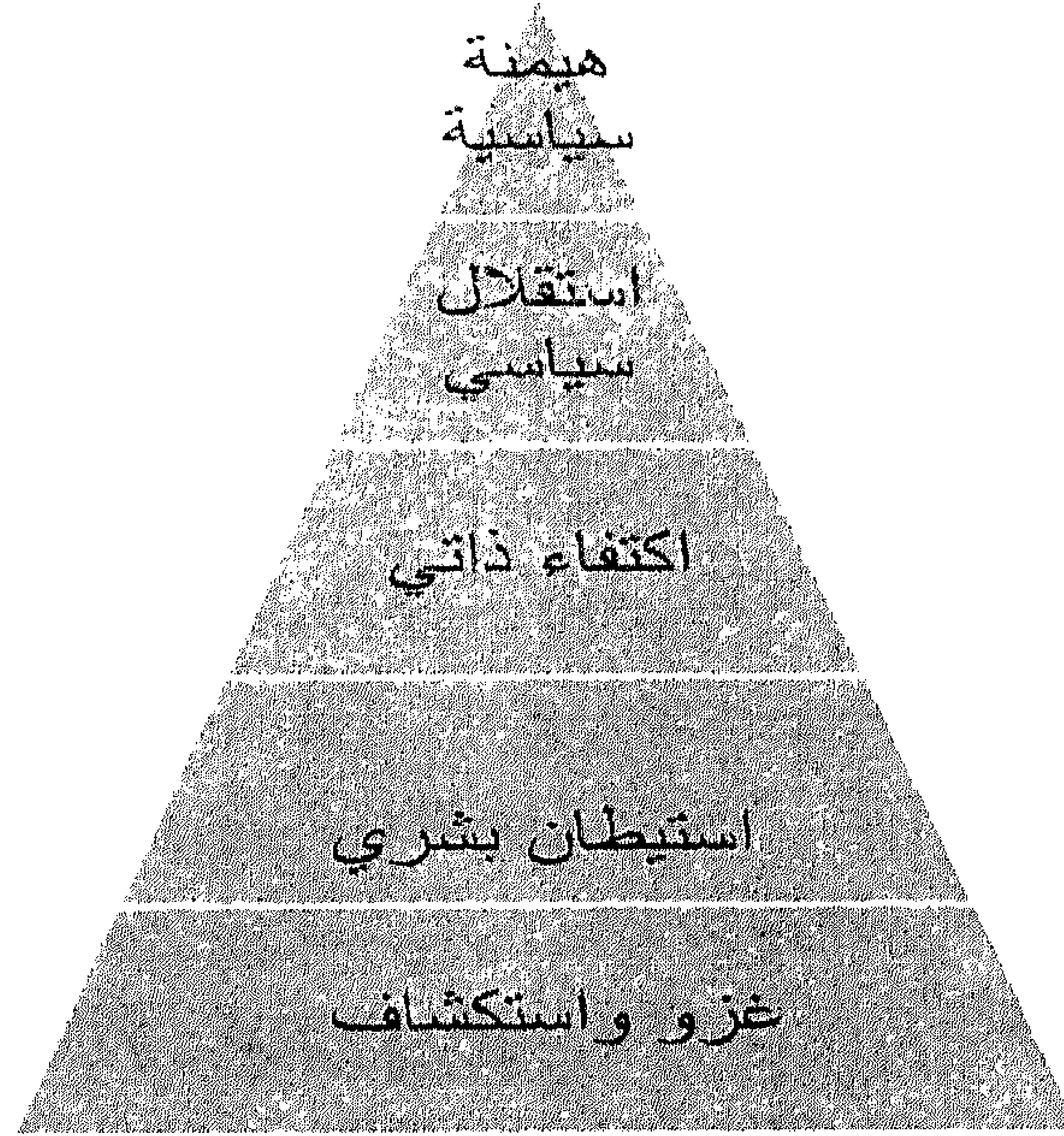
جديدا، كأحد ابرز ملامح الصراعات السياسية المحتملة في المستقبل، وقد تنجح بعضها في نيل استقلالها، ومن ثم المشاركة فيما بعد في خوض الصراعات مع جيرانها، وتأجيج مشاعر الانفصال، ومساندة الأقاليم المطالبة في نيل حريتها من المستغلين السياسيين.

هل من الممكن أن تعدد أقطاب الحضارات البشرية . . . قطب أرضي.. قطب فضائي ؟

يمكن تحقيق **"الاستقلالية الفضائية"** ، حين يتمكن سكان المجتمعات الناشئة حديثا من "الاكتفاء الذاتي"، وإنتاج معداتهم، وأدواتهم، وملابسهم، وأطعمتهم، ووسائل تنقلاتهم الداخلية والفضائية، وتوفير الطاقة، وتحقيق الرعاية الصحية في بيئات جديدة، والنجاح في ابتكار وإنتاج الأدوية المناسبة، وانتهاء نقل النباتات المقرر زراعتها، وجلب حيوانات التسمين والزينة، . . . وأشياء وعناصر لازمة لبناء حياة مستقلة تفوق الحصر، سيأتي من بينها "السلاح والذخيرة"، يمكن أن يتوافر ذلك في فترة زمنية شبه قصيرة، توازي عمر جيلا واحدا، لا تقارن بالفترة الطويلة التي مرت لتحقيق ذلك الغرض في المستعمرات الأوربية في إفريقيا والأمريكتين، ومن الممكن أن تؤازرها القوى المناوئة للدول المهيمنة على الفضاء، وتساند وتدعم خطط استقلال البشر في الفضاء، وتمنحها فائضا من العتاد والأسلحة، للتحدي والقتال وترجيح كفتها على غير المتوقع، مثلما حدث مرارا عبر أحداث الصراعات العالمية وحروب "الإنابة" عبر التاريخ .

هناك اتجاه فكريا يتحفز لان تصل النهضة الصناعية مرحلة يمكنها من إعادة إنتاج أجزاء معطوبة من الماكينات والأجهزة الملحقة عن طريق الكمبيوتر، وما زال هذا النهج غير ممكنا في المرحلة الحالية، ولكن يمكن أن يحرز نجاحا مبدئيا في المرحلة المقبلة، يساند الاستقلال التكنولوجي للإنسان في أي مكان يستقر فيه البشر،على أي حال يمكن أن تبدأ عقب مرحلة "الاكتفاء الذاتي " الكلي أو الجزئي، اعتبار الفترة التالية نوعا من "الاستقلال السياسي" ، وبدايات الصراعات مع قوى

وصاية البشر على سطح الأرض، بداية من "الصمت"، ثم الممانعة، والمخالفة في الرأي والتوجه، إلى الخلافات الحادة، وأخيرا اندلاع الحروب السافرة في المستقبل، أنظر إلى شكل التالي .



المصدر : ـ الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (29) مراحل الاستقلال والهيمنة الذاتية لمجتمعات البشر الفضاء في المستقبل.

المبادئ الجديدة للعلاقات السياسية بين دول العالم في المستقبل.

يضع مزيجا من الأدب والإعلام والسرية حدا لوصف حقائق ممارسات الدول في المجتمعات الدولية، ويعرقل من فهمنا ومتابعتنا وتقييمنا للأحداث والوصف الحقيقي للدول، وربما كان ذلك من "**مجملات**" قبح الأفعال البشرية الفردية والجماعية، وسترا لعيوب وخطايا مريرة لا تمحى من التاريخ، فإذ جاز أن نهتك ستر ممارسات دولية سنجد ما يمكن أن يسمى : ـ "**دولة متسولة**" (دول العالم النامي)، "**دولة مجرمة**" (معتدية لا تلتزم بالقانون) ، "**دولة فتانة خسيسة**" (دول تتعاون مع المخابرات الدولية مسربة لكل ما يبلغا من معلومات). .

إن أمكن البوح جهرا بحقيقة المرض المزمن للمريض ربما استدعي الطبيب، وبُحث عن الدواء، ودعُي له بالشفاء، وربما ساهمت هذه المساعي تحسن الأحوال، ولكن قلما من يتجرأ، ولن تتغير الحالة فجأة، وبلا سبب، بل لن يتم الإصلاح في هذه الحالة، هناك مثلا يقول : ـ **يتقدم الاقتصاد بعد كل جنازة**[46] ، ربما تتقدم الدول نفسها عقب كل نظام سياسي، عندما يشغل فردا جديدا قصر الحكم.

استطاعت الإدارات السياسية المتعاقبة على كل دولة أن تحسن من وضعها الدولي، يتوقف ذلك على فهمها الصادق لحقيقتها السابقة بلا خجل، والسعي الحثيث لتغييره بالوسائل الممكنة، المشروعة وغير المشروعة، عبر سنوات طوال، وربما تمر دول العالم بدورات متعاقبة من العزة والذلة، وتسعى إدارات الدول الضعيفة إلى اكتساب أقصى قدر من القوة بشكل مبالغ فيه، في نوع من الهوس والكبت الذي عانت منه سابقا.

وقد احتلت مثلا طلبات الأسلحة بندا ثابتا في قمة مطالب الدول النامية، بل كان غالبا مطلبا وحيدا لا شيء معه مطلقا، بما يفوق قدرتها على الشراء والاستخدام الفعلي له، وأحيانا كانت هناك مفردات كثيرة لمطالبها تبتعد بعض الشيء عن عالم الأسلحة، لكنها نوع من عناصر القوة التي لا تمل من اكتسابها إرضاء لشهوة الانتقام، من المحتمل ظهور حركات سياسية تكتليه مؤقتة لن تغير من مساعي الانفصال في شيء، بل ستعيد كيانات هشة لجأت إلى التعاون الدول طمعا واتكالا على الآخر.

تداول المعلومات السياسية السرية على مستوى الإعلام المحلي والعالمي.

تزايدت حالات تسريب المعلومات السرية المتعلقة حول ابرز أنشطة الدول السياسية والعسكرية والاقتصادية، والمتابعة المتزامنة مع الأحداث الخطيرة، بعدما كانت لا تظهر إلا في حالات محدودة، ومن خلال تسريبات تظهر في مذكرات الرؤساء والقادة بعد فترات طويلة من الزمن، لتتحول إلى مجرد سردا لأسرار

التاريخ لا قيمة لها إلا للعبرة والتسلية، فلا مجال لمعرفة حقيقة العالم إلا في حالة الإطلال على دهاليز السياسة وما به من تنوع شديد في غاية التناقض! .

تدخل المعلومات السرية أحيانا في إطار "اللامعقول" يصعب تصديقها حقيقة، وتتسبب في جدل لا طائل منه، ومن المؤكد أن تسريب معلومات سرية يمكن أن تسبب ضغطا على الساسة لاتخاذ قرارات انفعالية ليست في مصلحة دولهم وشعوبهم، ويزخر التاريخ بوقائع لا حصر لها من تعكس بعضها خسة صديق العمر عالي المقام، ورفعة عدو حقير، وكما يتعرض كل إنسان ما إلى نوع من النصب في تعاملاته مع الآخرين، مهما بلغ من حدة عقل وحذر بالغين، تتعرض الدول لمواقف مشابهة تماما، وان كانت الخسائر والفاجعة اكبر بكثير، فعلى سبيل المثال يمكن أن يتسرب كثيرا وقائع حقيقية تعيد تكرار ما حدث في الماضي مثل التالي: ـ

في مجال العلاقات الشخصية بين الزعماء والقادة: ـ

- **الاغتصاب والزنا والتحرش الجنسي : ـ** هي وقائع لا حصر لها في التاريخ البشري، مارسه الكثير من الطغاة بكل تبجح، وبأشكال شتى، وتكررت هذه الحالات في اشد النظم الديمقراطية، وان كانت بصورة شبه سرية، وتصبغ بالصبغة الشرعية مداراة للفضيحة، وكثيرا ما وقع "الزعيم" فريسة للفتيات والنساء الانتهازيين، فعليهم يقع اللوم الأول للإغواء، ربما كان كل شيء يجري بصفة عادية ما لم يشتكي احدا!، وقد ذكرت يوميات مذكرات الساسة، والمتابعات الدورية للأمن الشخصي للزعماء تفاصيل دقيقة في غاية السرية حينها، عن ممارسة الفحش من جانب زعيم دولة صديقة يبدو دائما في غاية الاحترام، تجاوز مرحلة إطالة النظر في مفاتن المرآة وقيامه بمحاولات للمس والشد والجذب! ، وثبوت ممارسة الزنا على رئيس دولة صديقة أثناء وجوده ضيفا على دولة شديدة التدين !، وعادة ما يتم تجاهل الأمر والتكتم عليه حينه، حتى تتغير المواقف وتتبدل الأحوال، وينتهي التحالفات،

وتصبح الثرثرة بديلا قويا لإثبات تفرد المعرفة لأولئك ممن بلغوا مرحلة التقاعد.

- **التنافر الشخصي**: ـ هي المسئولة أولا عن الخلل غير المبرر في العلاقات السياسية بين الدول، بل السبب الرئيسي والوحيد أحيانا لاستحسان إحدى المعسكرات الحربية في "**حروب المجاملة**" ومن بينها فترة الحرب العالمية الأولى على سبيل المثال (47) ، فهل كان بإمكان البشر تجنب ملايين القتلى إذا أحسن ملوكها ورؤسائها مضايفة نظرائهم، والتبسم في وجوههم؟!، لن تتعلم البشرية هذا الدرس أبدا .

في مجال المساعدات الإنسانية: ـ

- **هزلية حقيقة المساعدات الإنسانية وتفاهة قيمتها ومحتواها السلعي** : ـ وقائع كارثية كثيرة حدثت خلال القرن العشرين، قُدمت على إثرها المساعدات الإنسانية للمنكوبين، والشيء الذي نادرا ما يذكر هو عن التفاصيل للحقيقة للسلع المقدمة، ما هي "**المساعدات الغذائية**" ؟، أحيانا لم تحتوي على أكثر من المياه المعدنية والملح فقط! ، وانزوت "**المساعدات الطبية**" للجرحى في لفائف كبيرة الحجم من أربطة الشاش والقطن، لملء عربات الشحن المهيبة!، وكل "**مساعد**" له مآربه التفاخرية والتوسعية، فهل أرادت الدولة الصديقة تقديم العون حقا لحليفها المنكوب ؟ ! .

- **السرقة والنصب والاحتيال** : ـ لا أمد لنهاية أوزار وخطايا البشر، لا يختص احد بالشر كله، وكما أن سلوك قادة الدول جزءا من الطبيعة الإنسانية، فلا غرابة من وقوع حوادث السطو على ما بأيدي الغير، طمعا، وزهوا بنصر الاستحواذ على ثروات الآخرين، لتعد من بين المجازات وإضافات الزعماء! ، بل ليس الزعماء فقط الذين منحهم شعبهم شرعية "السرقة" ! ، فكيف يُنظر لقرصنة المعلومات لتطوير السلاح الذري والطائرات الحديثة في سبيل تحقيق التفوق السياسي والعسكري، وعلى سبيل المثال : ـــ ذكرت

القليل من المصادر حالات غريبة لاستيداع أموال بنوك دولة ما كأمانة لدى دولة عظمى صديقة، لتستولي عليها تلك الدولة الصديقة بلا مبرر! .

في مجال الأسلحة : ـ

- **تجارة السلاح "تجارة الغدر"** : ـ تُعد الاتجار في السلع السوداء (الأسلحة ـ المخدرات ـ الآثار المهربة ـ المعلومات السرية . . .) مجالا خصبا لممارسات مفاجئة لكل ما هو غير شرعيا، فلا فكاك من التعرض لخطر ما، وهي مواقف سرية لا يسمح بالبوح عنها، فالكل يتسم بـ"الخسة"، وبمقدورهم جميعا النصب إذا سنحت الفرصة، القليل من التسريبات تنم عن قذارة صفقات الأسلحة، ترصد دناءة تلك التجارة على سبيل المثال في التالي: ـ عقدت صفقة أسلحة تم بموجبها تسليم المبلغ المتفق عليه رسميا مقابل شحنة الأسلحة، ولم تلتزم الدولة المصدرة بتوريد السلاح في المواعيد المتفق عليها، وأحيانا لن تصل الشحنة على الإطلاق، وأحيانا أخرى يسلم سلاحا غير مطابق للعينة المتفق عليها بموجبه الصفقة، فيما يشبه "النصب الدولي" بذرائع ليس لها وجودا فعليا!، وأحيانا أخرى يتم اعتراض السلاح أثناء الشحن!، من يشتكي؟!، وإلى من؟!، غير الله.

- **تسريب معلومات السرية**: ـ عن طريق دولة صديقة، بل شقيقة، حول قرب تسليم شحنة أسلحة للشعب المحتل، في نظير تأكيداتها على صداقتها للدول العظمى، وإخلاصها للمجتمع الدولي المحايد !.

- **ادعاءات ومواصفات وقدرات وهمية للأسلحة**: ـ وهي ظاهرة سادت بقوة في فترة الحرب الباردة، وخضعت مواصفات الأسلحة للتضليل المنهجي المحكم، ما بين تضخيم نوعية وكفاءة العتاد الشخصي، وتقليل من فاعلية أسلحة الخصوم، وتحقيرها كلما أمكن، وقد سار العالم في هذا الضلال، وعقدت بسببه صفقات شراء الأسلحة، ولجحت بعض الدول في شراء صفقة معينة من طائرات وصواريخ متطورة بعيدة المدى، ظلت تطالب بالحصول عليها،

واكتشفت بعدها أن ليست لها القدرات المزعومة على الإطلاق، وتكتمت الآمر ، لتضفي بصمتها مزيدا من التضليل غير المتعمد منها.

- **المشورة العسكرية القيمة: ـ** قدم عسكريون من الدولة المعادية نصائح فنية ساعدت على تجنب وقوع هزيمة كاملة، أحيانا كانت عبارة عن تسريب معلومات سرية، والإفشاء عن جواسيس شديدي الحزر، لم تُرصد حركتهم قط، وخطط تكتيكية لفاعلية خوض الحرب وإحراز النصر، فعلى سبيل المثال: ـ كانت سببا في هزيمة الجيش الفرنسي المغير على روسيا أثناء الحروب النابليونية، حين أُخذ بنصيحة احد كبار القادة الفرنسيين أنفسهم، ليتبع الجيش الروسي المتقهقر تدريجيا إستراتيجية 'الحرق' ، لتجويع الجيش الفرنسي وحرمانه من المثونة والمأوى الروسي، لينذحر تدريجيا! .

- **التخفيض المتعمد لتقليل قوى أصدقاء اليوم، المنافسين المحتملين في المستقبل :** ـ تم التقليل المتعمد لكفاءة الطائرات والأسلحة الحديثة من جانب الدولة المصنعة، حين تقوم بالسماح بتصديرها للدول شبه الصديقة، في مخالفة لما اتفق عليه مسبقا في صفقة البيع والتوريد!، وقد ظهر ذلك بوضوح على سبيل المثال: ـ حين نزعت بعض الأجهزة الدقيقة في صفقات الطائرات الأمريكية المقدمة لمصر، من بينها الطائرة المقاتلة 'F 16'، وكذلك الطائرات الهليكوبتر من نوع 'أباتشي' . .

- **الاشتراط الإجباري للوصاية العسكرية ـ السياسية مقابل بيع الأسلحة المتطورة: ـ** يظهر كشرط لا يمكن تجنبه أو الالتفاف عليه إذا أرادت الدولة شراء أسلحة متقدمة شديدة التطور، وهو السبب الوحيد المعلل لبيع احدث الأسلحة لدولة معينة وحظرها على العالم اجمع، وتصاحب عمليات بيع الطائرات المقاتلة والصواريخ الموجهة بعيدة المدى، تشيع هذه الظاهرة بين الدول العظمى و'التابعين' من الدول الأقل شئنا، أو بتعبير مهذب الدول ذات التحالفات الإستراتيجية مع بعضها البعض ! ، مُلخصة على سبيل المثال : ــ

علاقة الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل، وقليلا من القادة الذين فطنوا إلى أن الصراع العربي الإسرائيلي هو حالة متسترة من جشع الأطماع الأمريكية في إرباك وإضعاف المنطقة .

- **ادعاء تقديم الدعم العسكري ذرا للعيون** : ـ هي المساعدات المقدمة من "**دول الأحلاف الهشة**"، من بينها وقائع تقديم الأسلحة قديمة الصنع في حرب فلسطين سنة 1984 م على سبيل المثال، ساندت دولة ما الشعب المضطهد الشقيق الذي يتعرض للعدوان الغاشم على يد الاحتلال العسكري، وأمدتهم بالأسلحة والعتاد الحربي، أسلحة تنقسم إلى صدئة وقديمة ومنتهية الصلاحية، تم إيقاف مصانع إنتاج الذخيرة الملائمة لها على مستوى العالم منذ عشرات السنين ! .

- **التحريض الدائم والمطالبات المتكررة للتدخل العسكري**: ـــ تكررت كثيرا في الوثائق السرية للمراسلات بين ملوك ورؤساء الدول المتحابين والمتخاصمين ا، "**طعنة الغدر في المعركة**" تخرج من أين ؟ ! ، لا احد يعرف، وقد صدح الإعلام المعاصر بمطالب القضاء على الطموحات النووية لدولة صديقة تقع في الجوار، وترد الدولة المعادية بضبط النفس والرفض في نهاية المطاف !.

نستطيع أن نقرر بكل صدقة أن عالم الأسلحة مليء بالغموض الكبير، ولا تخلو صفقة ما جرت في أي فترة عبر التاريخ إلا إذا تضمنت على مواقف غير متوقعة، تتعلق بالتحديد غالبا بالخداع والنصب والكذب وكل قذارة الإجرام بوجه عام، ومن الأفضل الاعتقاد المسبق بان هناك نسبة من الفاقد الطبيعي في كل شيء، يشمل ذلك الأسلحة والمعدات والعلاقات بين الدول بعضها البعض.

- **في مجال الاقتصاد والثروة المعدنية : ـ**

- **تكتم حقائق احتياطي الثروة المعدنية وتزوير الإحصاءات الدولية للزهو بالنفس واحتقار الآخر**: ـ تُعد كل الإحصاءات معلومات شديدة السرية، ولذا

يترأس **'المجالس القومية للإحصاء'** قادة من أصول عسكرية اعتادوا العمل السري وتلقي أوامر **'تضليل العدو'**، الغريب في الأمر ادعاء صفات وحالات ليس لها علاقة مطلقا بالأمور العسكرية من قريب أو بعيد، بما فيها مزاعم ارتفاع مستوى المعيشة، والعمر المتوقع وصوله للبشر، ومصادر وحجم الطاقة، لخداع العالم بوهم ضعف دول ما تنتهج سياسة معادية، وفقر دول، وثراء دول بعينها، لم ينزه أي احد من الكذب في الإحصاءات، وقد جرى خداع العالم، وانساق علماء العلوم الإنسانية وراء بيانات مغلوطة فيها، ليصل بهم البحث العلمي لملاحظات وتصورات ليس لها وجودا فعليا، ساهمت في تضليل الفكر البشري منذ معرفة الإنسان للعد حتى الآن، ومن المتوقع الاستعانة بدقة الحاسبات الآلية في إحصاءات المستقبل، لكنه سيلقن الكذب من الإنسان المتشكك دائما من قرناء الخير والسوء على حد سواء.

- **ثروات الأقاليم الحدودية:** ـ أسهم الجيولوجيين في اندلاع صراعات قانونية وحروب إقليمية بين الدول المتجاورة، على اثر اكتشاف ثروات معدنية طائلة في المناطق الحدودية النائية، وقد تكرر ذلك في حالة إقليم 'كاتنجا' الغني بالماس والنحاس واليورانيوم في دولة الكنغو الديمقراطية (زائير سابقا) منذ الاحتلال البلجيكي في القرن التاسع عشر(48) وحتى الآن..

- **طلب الرشوة المتبجح:** ـــ تتم معظم الصفقات التجارية والانخراط في التحالفات السياسية والعسكرية والمعاهدات الرسمية مقابل تسهيلات مادية وعينية تقدم خفية، وبكل أدب لزعماء الدول، كشرط لن ينص عليه العقد أبدا، للقبول بمعاهدة أو صفة أو حتى مساعدات دولية لشعبه الفقير!، كثيرا ما تابعنا تفاصيل معاهدات قديمة بدا علينا الاستغراب الكامل من كيفية القبول بتلك الشروط المجحفة، ما كان يقبلها إلا شخصا شديد البله!، ربما يخبرنا احد بالسر، حتى مع جهلنا به ندرك أن هناك خللا وأمر مريبا، وأشياء ورشاوى قدمت سرا، يمكن أن ندخلها تحت 'ممارسة الضغط' للقبول بما نراه مستحيلا.

- **تزوير العملات:** ـ جرى فيما يشبه مباراة كرة القدم، شاعت بين الخصوم، وتفنن كل منهم في الأبحاث العلمية الدقيقة لشدة الإتقان، وقد تكررت تلك الظاهرة على سبيل المثال : ـ أثناء فترة الحرب الباردة بين المعسكر الشرقي والغربي، حين قامت الدول الشيوعية بتزوير الدولار وبعض العملات الأخرى، لإضعاف اقتصادها وقواها في العالم.
- **خرافة الدولة المحايدة :** ـ مصطلحا كاذبا لا أساس واقعيا له على مر التاريخ، وضع للهروب من تحمل مسئولية خوض حرب أو صراع لا تعرف نتائجه، ولمن سيحسم ؟، لإخفاء ميول حقيقية نحو جبهة ما، في ظاهرة تكررت كثيرا، منها على سبيل المثال: ـ في الحرب العالمية الثانية، حين جرى تقديم القليل من العون غير الصاخب لدول المحور أو الحلفاء ! ، والتوسط لعقد لقاءات سرية بين قادة الدول المتحاربة.

هذه وقائع حقيقية تماما، لن تجد مكانا في كتب التاريخ المقررة على طلاب المدارس، نظرا لقابليتها للتشكك، وتعرضها أحيانا للتلاعب، وغياب التأكيدات على صحتها من الطرف الآخر، والمصادر المحايدة، وعادة ما يتم تسريب تلك الفضائح من جانب الطرف المتضرر منها، والغريب أحيانا أن يتبجح اللصوص والنصابين من قادة الدول بفعلهم تلك الجرائم، وترد الدول المتضررة بالصمت أحيانا، والتحفظ أو الإنكار، حياء وحفظا لماء الوجه، تجنبا لفضيحة البلاهة والغباء السياسي.

تتفاوت مواقف الدول من الإنكار والصمت والتجاهل عندما تتسرب معلومات تضعها في موقف محرجا لمن له القليل من الحياء، وتتخذ أحيانا موقفا غريبا، بطرح عدد من النظريات والروايات المتضاربة، لإرباك الرأي العام، والتشكيك المنهجي لتشتيت العقل، فلا نعرف أين الحقيقة بين الكم الهائل من الأكاذيب القابلة للإقناع أكثر من الصدق نفسه ! .

حرية التغيير الدوري للأديان والمعتقدات الشخصية.

يصل الفكر المتحرر إلى مدى متطرفا من الالتزام بالمتابعة الدورية للمعتقدات الفردية حينما يريد الشخص ذلك، إما يبوح به، او يتكتم أمره، بمعنى أن يلزم القانون بسؤال دوري يجد له مكانا دائما في أوراق تجديد السجلات الشخصية (بطاقة الهوية) ، للاستفسار حين تجديدها الدوري عن "الديانة"؟ !، وهل يريد تغييرها بشكل معلن آم سري؟!، كما يريد هو، وتكتفي الدولة بمجرد الإشعار، ولا يتغير في نظرتها للفرد في شيء، لا جديد سوى مساهمة هذه البيانات في الإحصاءات الدورية تافهة القيمة، تعبر عن حالات موسمية مؤقتة !، فالأغلبية الدينية التي رصدتها الإحصاءات السابقة يمكن أن تتحول إلى أقلية يخشى عليها من الانقراض ! .

تبدل أحوال ومعتقدات المنشات الدينية في عالم المستقبل.

حين نتطلع للحقائق التاريخية نجد حالات كثيرة من التبدل والتحول المكاني لأسباب بشرية مقنعة، فعلى سبيل المثال عكست المنشات الدينية الحالة العقائدية والاجتماعية والسياسية في أن واحد للمناطق الجغرافية، ففي البداية بني معبدا صغيرا لأله محلي قليل الإقبال، ثم تم تحويله إلى معبدا مهيبا للآلهة الوثنية العظمى، ليتحول إلى كنيسة بعد انتصار الديانة المسيحية، ثم مسجدا في الأراضي التي فتحها الإسلام، وأعيد بعضها إلى وضع الكنيسة في المناطق المنحسر عنها الإسلام في الأندلس، وتحول إلى منشات خدمية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وهذا وضعها غريبا، فلماذا لم تحول كلها إلى معابد يهودية شكرا لإلههم على النصر؟! ، هل لان بعض القيادات السياسية الإسرائيلية كانت متشككة في الذين تشككوا سرا او جهرا في وجود الإله ذاته ؟ ! ، فهل تنتظر المنشات الدينية مرحلة جديدة من التبدل إلى ديانات أخرى ؟ ! ، أو لا ديانة مطلقا، إلى إيمان آخر، أو إيمانا بالإلحاد البشري العام ؟ ! .

مبادئ الفكر السياسي الالكتروني.

يتناسب الفكر السياسي مـع النظـرة المائلـة إلى التـشاؤمية في الحكـم علـى مجريات الأمور، بقلب متشكك دائما سيء الظن على الدوام، فأسوء الاحتمـالات هو الأقرب إلى الحدوث في عالم السياسة الدولية، حتى في حالة عـدم تحقـقه فربمـا فكر فيه الآخرون ولم يستطيعون تحقيقه، فالأصل في الطبيعـة البـشرية هـو الـصراع بمبرر وبلا مبرر، أو على الأقل منافسة غـير شـريفة، باسـتخدام الوسـائل الـشريفة وغير الشريفة، يستخدمها كل اللاعبين، كل الدول، صديقة وغـير صـديقة، أحيانـا يمنعها الخجل من فعل السوء، غير أن الحياء والحاجة لـن تمنعاهـا طـويلا لتحقيقـي أهداف متدرجة القيمة والعائدات، "**يدرك المفكرين أن الناس يسهل عليهم تصديق الأكاذيب، ويُتخوف من ذكر الحقيقـة فـلا يـصدقها احـد !**" ، وتـأثير الممارسـات السياسية على جغرافية الدول بطيء للغاية، ويحتـاج إلى أمـد طويـل لتقيـيم مـدى النجاح الذي تحقق وتراكم وحقق زياد حقيقية في رقعة الدولـة المـساحية، وفاعليـة تأثيراتها الداخلية والخارجية.

الزعيم الرقمي "الكمبيوتر السياسي" سيقود العالم في المستقبل.

نريد أن نطرح سؤالا لنحاول أن نجيب عنه معا : ــ هـل بمقـدور "**الكمبيـوتر السياسي**" في المستقبل أن يقود العالم تحت إشـراف الزعمـاء الـسياسيين ؟ ، أم ربمـا يمكـنهم إدارة الـشئون الـسياسية تحـت إشـراف الكمبيـوتر الـسياسي نفـسه؟، إن السياسة هي عملا تقديريا يصدر الأوامر والتعليمات بناء على عدد كان محدود من المعلومات والاختيارات، فهل ستتسع دائرة الاختيارات إلى حد يفوق التصور؟.

اقرأ هذا الإعلان المستقبلي بكل اتساع أفق :ـ

برنامج الكمبيوتر السياسي!

اقتنيه الآن!، يتيح للمستخدم (الزعيم السياسي) تحديد الشخصية التي يريد لمرؤوسيه (شعبه) أن يروه عليها على الدوام، فيمكنك تحديد الموقف أو المشكلة أو التحدي الذي تواجهه، ليقوم الكمبيوتر بطرح عدد كبير جدا من الحلول، نعلم إن كثرة الحلول الفعالة تؤدي إلى حيرتك أحيانا، فقد نظمت بعناية للغاية، وما عليك سوى تحديد شخصيتك أو اختيارك، فهل تريد أن تصبح **زعيما دمويا** ؟ ! ، آم **زعيما محبوبا** ؟!، آم **زعيما دينيا** ؟!، هل تريد أن تصبح **نبيا** ؟، هل تريد أن تكون إلها ؟ !(معاذ الله) .

هل لا تصدق ؟!، لماذا ؟ !، فإذا كنت زعيما لدولة تعاني من اضطرابات مناخية واقتصادية واجتماعية أدت إلى 'المجاعة' ـ كان يمكن للكمبيوتر السياسي تجنبها من البداية ـ ، فسوف يتيح لك عدد من الحلول والقرارات الممكن تنفيذها، ليس عليك سوى إصدارها، فسيتيح لك ويقول حينها :ـ

الزعيم المؤمن :ـ يصلي ويؤم الشعب بالدعاء (يأمر بتحويل الدعاء إلى قرارات سرية).

الزعيم المرهف المشاعر:ـ يواسي الفقراء ويقتصد في مصاريفه لدعمهم.

الزعيم الدموي :ـ يذبح الفقراء.

الزعيم العسكري :ـ يجتاح الدول الثرية المجاورة.

الزعيم المرسل من الله:ـ يسقط المطر (سيحدد الكمبيوتر موعد سقوطه بدقة)

الزعيم المؤله (معاذ الله) :ـ يخلق الزرع والرعي فجأة (بالهندسة الوراثية والإنماء الحيوي السريع. .).

هناك تصنيفات متدرجة للكمبيوتر السياسي، تتناسب مع القدرات المالية والاحتياجات السياسية والتطلعات والتوجهات السرية للحكومات والرؤساء والقادة، فتتدرج من :ـ

- **الكمبيوتر السياسي الشخصي العادي: ـ** وهو مجرد برنامج رقمي بسيط يتيح عدد محدود من الاختيارات السياسية والحلول المختلفة التي يمكن أن يقررها القادة في أوقات التحديات والأزمات الحادة.
- **الكمبيوتر السياسي المتوسط الحجم والنشاط: ـ** وهو يناسب استخدام قادة الدول النامية، ويحتل مكانة وسطى بين الكمبيوتر البسيط والكمبيوتر العملاق.
- **الكمبيوتر السياسي المركزي العملاق: ـ** هو عبارة عن كمبيوتر كبير الحجم يسيطر على عدد كبير من الأجهزة الآلية على مستوى دولة عظمى، أو مستوى قارة كاملة، أو مستوى كوكب الأرض، يتيح عدد كبير جدا من الاختيارات لحلول المشكلات الحادة، بسبل تفوق التصور، ثم يسمح بتنفيذها بكل دقة، وهو باهظ الثمن للغاية، بما يقارب أثمان مشروعا فضائيا عملاقا! ، تحيط بتفاصيله السرية التامة، بل لن توجد الأدلة المؤكدة التي تثبت وجوده من عدمه، وإلا تضاءلت قيمته، وتأثيراته على أذهان الشعوب الساذجة ! .

يمكن لهذا النوع الخطير من الأجهزة الالكترونية الذكية أن يحقق أحلاما حمقاء لمجانين العالم من القادة والزعماء من محدودي القوى والفكر والإرادة، فيمكنها على سبيل المثال: ـ اختيار الوقت المطلوب لهطول الأمطار بغزارة على المناطق الصحراوية الجافة! ، بل من الممكن أن يشارك الكمبيوتر في العمليات الجراحية لزراعة خلايا ضوئية لقادة الرؤساء المغرورين، ووضع هالة ذهبية حقيقية تشبه ما يرسم للأنبياء، فأين المفر من الادعاء بأنه الزعيم المرسل من الله! .

الكمبيوتر . . . نظاما دقيقا لا يخطأ . . .هل يصلح القديسين لحكم البشر ؟ ! .

تمتلك الأجهزة الأمنية البوليسية ذات الهوس المبالغ فيه وانعكاساته على التوجهات السياسية (البوليس السياسي) وثائق وبيانات دورية لكل شخص في الدولة!، سجلا تاريخيا كاملا عن كل فرد، ومتابعات تبدأ من الجيل السابق أو ما قبله، معلومات حول الفرد ووالديه وأجداده!، تغطي نحو مائة عام، ربما أكثر، تتصنت على أفكارهم، معتقداتهم، ممارساتهم، أنشطتهم . . . ، كم عانى الإنسان من هذه المتابعات، والاحتمالات البعيدة عن أوهام التخوين لا أساس لها مطلقا، فهل كان البحث الدءوب عن حيل للهرب من هوس المتابعات والرقابة الدائمة احد الأسباب الذاتية للفرار من النظم الأمنية (الشيوعية) في أوربا الشرقية على سبيل المثال ؟ ! .

تسبب المتابعات الدقيقة للبشر في مشاكل لا حصر لها كانت تمر مرور الكرام، التفافا حول الحقائق المخجلة أحيانا، ومن بينها على سبيل المثال : ـ بيانات الهوية الشخصية، السجلات المدنية والعسكرية، تغيرات الانتماءات العقائدية والفكرية، . . . كيف يمكن التهرب من "التاريخ" ، أحيانا كان يمكن تزوير التاريخ لغرض سامي للدولة ! (49) التهرب المنظم، الكذب المبرر، التزوير الأمني، التزييف الرسمي، الغش العلمي، كيف عاشت عائلات كبيرة العدد لا تملك سجلا تفاخريا، أو بعد أن فعل احد إبائهم الأول فعلا خسيسا على سبيل المثال ؟ !، لطالما حلم الإنسان الخطاء بالهرب من قدره في النظم الارستقراطية والقهرية، طلبا لفرص وآفاق جديدة.

ربما يختلف الكثيرون في هذا العصر عندما ينبئهم احد ما عن احتياج البشر الحقيقي إلى نظام شبه فوضوي متساهل مع الطبيعة الإنسانية العاطفية، لا يحسن إحصاء الخطايا والذنوب، ولا يفلح في عد أنفاس البشر، وسلعهم الاستهلاكي المتعددة، هل يستوعب العقل البشري نظاما يفوقه قوة ودقة ؟ !، اعتبر البعض أن

الكذب أحيانا نوعا من الشجاعة وحُسن التصرف في المواقف الحرجة، والقدرة على القفز فوق العقبات، فمتى نزعت القدرة البشرية على الخطأ أصبح البشر إنسانا **"ميكانيكيا"**، **"رقميا"** له نظاما مقيدا ! ، لا ضوابط وقيم روحية وعقائدية موجهة.

هل تندلع صراعات البشر في المستقبل على ما يهمل الآن.

تنتظر الأشياء التافهة والعناصر ذات الوفرة التي لم تتهدد بعد مستقبلا واعدا، يعطيها حقا موازيا للسلع الثمينة التي طالما تقاتل البشر عليها وتخاصما وتباغضا من اجلها، ربما يوازن الله الأشياء في عدالة إلهية متكاملة تشمل البشر والنباتات والحيوانات والجمادات، ويمكن أن نتوقع حالتين تمر بهما السلع المختلفة، **الأولى: ـ** أن تبرز عناصر وأسباب جديدة تماما للصراع، لا تضم عنصرا واحدا من العناصر الحالية!، ومن المحتمل أن تختص بالدول العظمى في المستقبل، **الثانية :ـ** تتشارك العناصر الحديثة مع المسببات القديمة للصراعات الحالية (على الأرض والذهب والغذاء. . .)، لكن في حدود صغرى للغاية، تلصق بالدول الفقيرة على الدوام.

لنأتي إلى نوعية العناصر الحديثة، تضم على سبيل التصور كل من : ـ الهواء النقي، الأتربة الاقتصادية المكتشف أهميتها، الحصباء، البراكين، الأخاديد العميقة، الفضاء الكوني، الخلايا، البحث العلمي . . . ، وأشياء أخرى تفوق الخيال نفسه!، ليس من بينها الماء قطا!، فنتوقع ان تنتهي الصراعات المائية في المستقبل على الإطلاق، بفعل الانجازات العلمية المبتكرة، لامتصاص الماء من الرطوبة الجوية، وزرع الخلايا الماصة للبخار لإرواء ظمأ الإنسان والنبات والحيوان.

قوانين الجنايات الالكترونية وشئون الأحوال الكمبيوترية

تسبب زيادة إقبال الناس على استخدام الكمبيوتر والتواصل عبر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) في فوضى عالم التواصل البشري، واعتبر انه مجالا واسعا للانطلاق المتحرر من القيود والضوابط المختلفة المكبلة للحياة الواقعية،

خادع الكل في شيء ما ! ، يدعي ما لا ولن يملكه، ويتظاهر بما ليس به، يحتال للوصول لما لن يملكه في الحياة الطبيعية، لا يتسبب ذلك أحيانا في مضار بشرية ملموسة، لكنه ذا آثرا مضرا ومقلقا على كافة الأوضاع المالية والمعلوماتية العسكرية والمدنية على العالم.

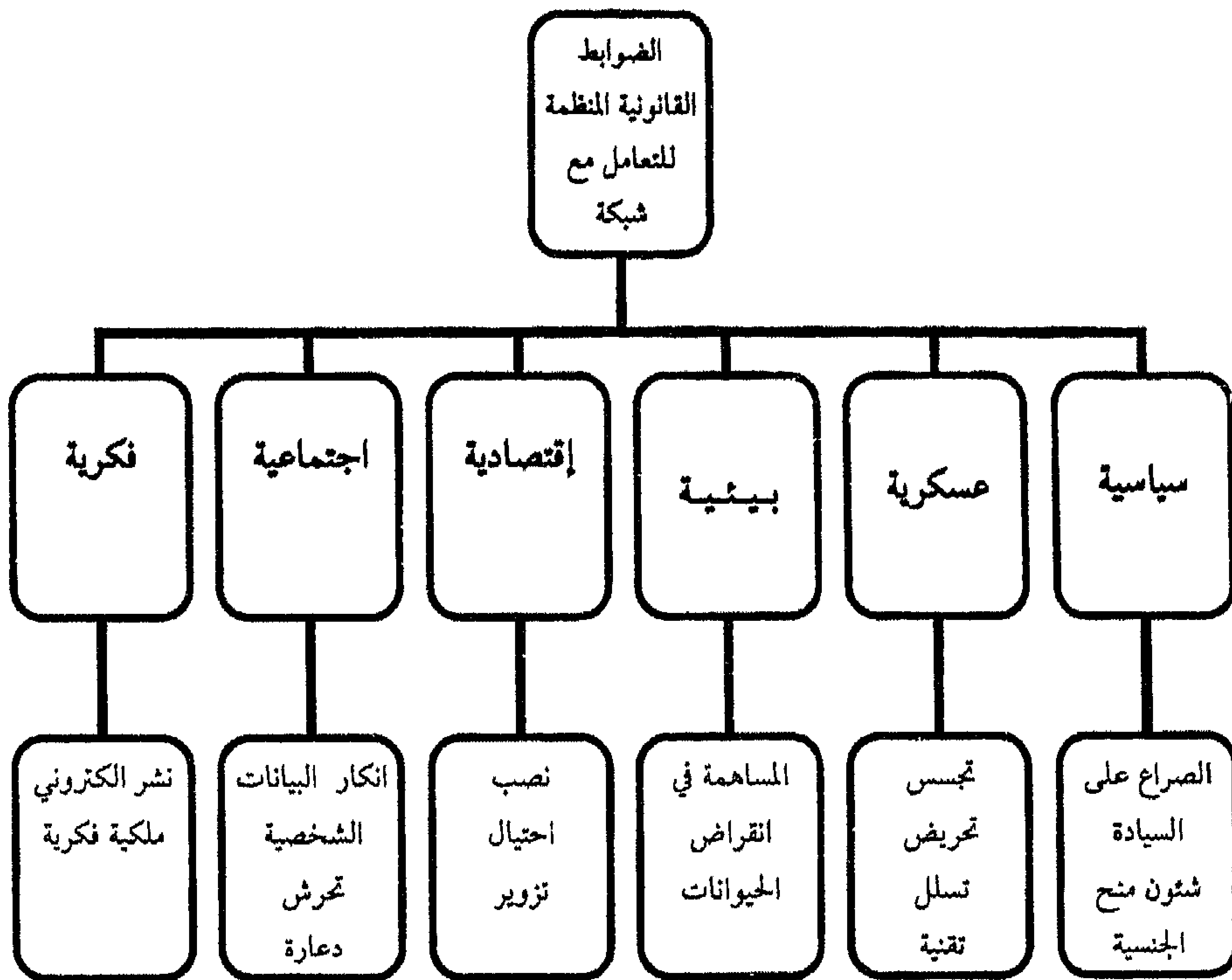
بدأت بعض الدول المتقدمة مواجهة "القرصنة الالكترونية" ، وتتبع "عمليات النصب" في عمليات البيع والشراء على الانترنت، ولم تتدخل بشكل مناسب في : ـ "التحرش الجنسي على الانترنت، السب والقذف، التحريض على الكراهية، العنصرية، الطائفية، . . .

تجرى الملاحقات الأمنية لحالات التسلل للمواقع الأمنية والسجلات العسكرية وصفحات كبار السياسيين بطرق ارتجالية لا يعلن عنها غالبا، تجنبا للتشهير، وعدم المساهمة دون قصد في تشجيع الآخرين من الهواة والمراهقين والعاطلين على التحدي وفعل المزيد، مثلما تقوم به المواقع المعلوماتية السرية ومقدرتها على إرسال "الفيروسات" وإحداث خلل ما في جهاز المتلصص ! ، يتبعه أحيانا ملاحقات غير قانونية تحتاج إلى نوع من المحاكم العسكرية المتحيزة لقبول قرارات الإدانة ولائحة الاتهام بلا مجادلة ! .

نعتقد أن تكرار المخاطر وازدياد حدتها ومدى الضرر المتسبب عنها هو الذي سيدفع بالحكومات إلى التنسيق المنظم، والاجتماع والاتفاق على إعداد قواعد وأسس قانونية، وضوابط أخلاقية لتنظيم ووضع حدا يواجه حالات الخداع والنصب والاحتيال والأكاذيب غير المبررة، وتحديد العقوبة لتأديب المخالفين.

ما هي العقوبة الشرعية المعلنة رسميا التي من الممكن أن ينص عليها "قانون تنظيم التعاملات على الانترنت" ؟ ! ، هل ستكتفي بمعاقبة جرائم الانترنت بالانترنت ؟ ! ، ولم لا ؟ ! بقواعد متدرجة تبدأ من توجيه انزارا بالمنع، إلى الإيقاف المحدد بالأشهر أو السنين،ولكن ما هي العقوبة القصوى ؟ !، هل يمكن أن يحكم بالإعدام على محرض على العنصرية ؟ !، أو يُكتفى بالسجن لفترات طويلة ؟ ،

هل تعامل مثلما هو القائم بضوابط "حرية التعبير عن الرأي"، وماذا عن التلاعب المتعمد في حقائق بيانات السجل الشخصي، كإنكار حالة الزواج أثناء الإعلان عن طلب التعارف للزواج على سبيل المثال ؟ !، أو ادعاء صفة مهنة غير موجودة ؟ !، هل يمكن مجازاة شخص يداري قبحه ليتجمل ؟ ! ، تلك أمور وقضايا جدلية سوف ينشغل بها الإنسان طويلا في مجالس النميمة، ومحافل القانونيين والساسة ومنابر الإعلام في المستقبل القريب، انظر إلى الشكل التالي.



المصدر : الإعداد الشخصي للباحث.

شكل (30) ابرز أنواع القوانين والضوابط الخاصة بالأحوال الكمبيوترية للتعامل المنظم مع شبكة المعلومات الدولية.

يلاحظ تداخل الاختصاصات وتشابكها الشديد، وتأخذ الأضرار الواقعة على شخصية عامة اتجاها يفوق مستواه العادي، محدثا صخبا لا مثيل له، فيمكن أن تتحول ممارسات فردية لشخصية سياسية رفيعة المستوى إلى قضية امن قومي، تتداخل فيها الخلافات الشخصية مع القضايا السياسية والعسكرية الحيوية.

بنود جديدة في القانون الدولي مؤكدة على حق الكائنات الهجينة والمشوهة في الحياة.

نتيجة لتفاعل الدول مع النظام العالمي المتعارف عليه عبر وسائله وأدواته ومبادئه وقوانينه، واحتياجها لفاعلية التعاون بينهما من الممكن أن **يتغلب القانون الدولي العام على النظم القانونية المحلية والشرائع الدينية الثابتة**، ويعبر القانون عن اتجاهات البشر السلبية والإجرامية، ويضع حدودا لسلوكهم غير المنضبط، ومن المحتمل أن تظهر بنود جديدة تعتبر من الأمور الطريفة والمستبعدة تماما حاليا، من بينها : -

- نحن شعوب العالم نؤكد على المساواة بين البشر الخلصاء والبشر الهجين بيولوجيا والبشر المعدلين تكنولوجيا، والحق في الحياة العادلة والكريمة وحرية المنافسة التي يكفلها القانون.
- نقر نحن شعوب العالم على حقنا في التوسع الحثيث لبناء مجتمعات متطورة في بيئات فضائية جديدة، ودعم كل المشاريع والأنشطة لتيسير وتسهيل تنميتها.
- تكفل الدولة الدفاع عن مجتمع وأراضي وممتلكات ومكتسبات الدولة، وما يمكن أن تستكشفه من بيئات، وعوالم وأسرار خطط غزو الفضاء التابع لها.
- حق الحيوانات غير التقليدية (المشوهة) في الحياة والتكاثر والدخول في المعاملات الاقتصادية الحرة.
- حق الكائنات المستنبطة وراثيا في الحياة مثل نظيرها من الكائنات القديمة.
- الحد من التمييز الديني والثقافي والاجتماعي بين الكائنات.
- يكفل القانون حماية الحيوانات الراقية من الاعتداء، أسوة بما يتم تجاه البشر.
- حق القيام بتجارب تنمية القدرات البيولوجية للإنسان والنبات والحيوان بما يسهم في نهضة الحضارة البشرية.

• تقنين هجرات الأفراد والكائنات من وإلى الفضاء!، وإلزامهم بالخضوع للحجر الصحي والتدقيق الأمني، والحق في الحظر لأسباب أمنية او صحية يقررها القانون.

هل يعاد النظر في اختيار محاصيل الغذاء الرئيسة في العالم؟.

تدعو الحاجة إلى البحث عن نوعيات معينة من المحاصيل الزراعية الصالحة لاعتماد أعداد كبيرة من البشر، تتميز بوفرة الإنتاج أكثر من المحاصيل الحالية، وسرعة النمو إلى اقل من شهر على الأكثر!، واحتوائها على ما يلزم الإنسان من بروتينات وفيتامينات . . . ، وتناسبها مع مختلف البيئات مضطربة المناخ، مع ملائمة زراعتها بأقل عناية، ومتابعة، ومقاومة الآفات، والمساهمة في تنقية الهواء، وأن يكون ليس لها مضاعفات مرضية.

لا يزال يفكر العلماء في إعادة استكشاف تلك النباتات وجلبها من الحياة البرية لإكثارها وزراعتها على نحو واسع، وإقناع السكان بإعادة أنماطهم الغذائية، وتحتل أنواع محددة من الفطريات غير السامة قمة النباتات المرشحة لذلك، وما زالت تحتاج إلى تقنيات مختلفة لتنويع الطهي لجذب الذوق البشري العام لتقبله الغذائي.

فترات التوقف الحضاري في المستقبل.

يملك البشر إمكانية تغيير اتجاه الحركة من السير إلى الأمام أو الخلف، من التطور إلى التدهور، من الرقي للانحطاط، والدوران حول الذات بلا جدوى !، وشهد تقدم الإنسان في طريق الرقي تردد حالات الشعور بالملل واستطالة الطريق، وكان من نتائجها استدارة وجهه الحركة إلى الخلف مرات كثيرة عبر التاريخ، ليعدد انجازاته، وتفوقه على الأجناس المتدنية، ولذا ظهرت حقب تكررت طويلا من الركود والضعف والانحلال والاضمحلال ومسميات وحالات كثيرة تعبر عن مدى **"التوقف الحضاري"** .

وتتلازم مرحلة التوقف الحضاري مع الصراعات السياسية وأزمات الركود الاقتصادي واحتدام حالات الفقر، والتشدد الديني المبالغ فيه، والأزمات النفسية العامة أثناء الكوارث الطبيعية والبشرية، والفكر التشاؤمي الصادر للنخب الفكرية تأثرا بالمزاج العام للشعوب، والحالات المرضية، والعوز لهم أنفسهم، وينكس كل ذلك على **استمرارية التطور العلمي** ونظرته لنفسه، وإعادة طرح الأسئلة الأزلية :ـ هل ما نراه هو الحقيقة الخالصة؟، آم أن الحقيقة مغايرة لما تبدو عليه ؟، وهل يمكن إعادة التمرد على الثوابت العلمية المتعارف عليه؟ آم أنها مسلمات ثابتة لا طائل من تحديها ؟ ! . . .

معنى ذلك أن المسافة التي من المفترض أن يقطعها العلم للوصول إلى كشف أو انجاز ما لو نفترض أن المأمول لها أن تتم في خلال 20 سنة من العمل الحثيث على سبيل المثال ، تميل إلى أن تأخذ وقتا أطول من ذلك بكثير، تأثرا بعوامل خارجية غير علمية لم تؤخذ في الحسبان، وهناك أمثلة لا حصر لها تؤكد على ذلك، من بينها عمليات استكشاف الفضاء، وإنشاء مستوطنات سياحية على سطح القمر، والوصول للمريخ، واستنساخ البشر . .

خديعة ترويج العلماء لمشاريع كان ضررها اكبر من مزايا.

استطاعت فرق كبيرة من علماء في شتى التخصصات الترويج لمشاريع علمية بسيطة القيمة تم المبالغة في تأثيراتها ومنافعها بما يفوق قدراتها الفعلية، الغريب أن ما اعتقد العلماء أن اكتشافا بسيطا كان هو اخطر ما توصل إليه البشر، واحدث ضجة وتأثيرات اكبر مما كان متوقعا لها في بدايتها، فعلى سبيل المثال روج إلى مشاريع الطاقة النووية على أنها تحمل الخير والنماء للبشرية، وتساهم بقدر كبير في تنمية مصادر الطاقة وتجديدها، وقد أثبتت التجارب الواقعية خطورة التأثيرات السلبية والكوارث الناجمة عن المفاعلات النووية على الإنسان والبيئة، بما يمكن أن يهدد مستقبلها مع اكتشاف وابتكار أدوات ووسائل جديدة للطاقة، ويتم إحلالها

نهائيا محلها، فهل أذن العصر النووي على الأفول نهائيا في المستقبل عقب أوج ازدهاره؟، آم يظل له وجودا هامشيا كالفحم في عصر البترول؟ ! .

النوم المنظم ولتعليم (التلقين) محدد التوجه.

يعد النوم فترة مُهدرة من النشاط البشري، بسبب قضاء ساعات طويلة تكاد تعادل فترة الليل كلها (حوالي 10 – 12 ساعة يوميا في المتوسط) في ذروة مرحلة النشاط الإنساني للفرد في مرحلة الشباب، في ظل الثورة الصناعية والثقافية والتقدم العلمي الحالي والمستقبلي، فهل يمكن تقنيين أوقات الراحة الإلزامية لخدمة كل من : ـ الفرد، والمجتمع، والدول ؟ .

يعتبر ذلك مطلبا ممكنا حينما تتقدم الأبحاث العلمية المستكشفة لأسرار النوم والتحكم فيه، وحينها يمكنها تطبيق خطط مختلفة، فعلى سبيل المثال: ـ قضاء فترة النوم بشكل مجمع في فترة الطفولة بالكامل، أو اقتسامها بينها وبين مرحلة الشيخوخة، يمكن أيضا إلزام المخالفين للقانون بقاء فترة العقبة في السجون السريرية في معامل إلزامية، أو تجرى على فترات أشبه بالأقساط السنوية!، لتسهيل نمو الجسم، وبث الأفكار والخبرات والثقافات والمعتقدات إلى العقل الباطن.

وكما تُذكر في بعض سير العصور القديمة في أوربا عن أسطورة "الفرسان النائمون" المستعدون للدفاع عن الشعوب المقهورة، يذخر التراث الشعبي العالمي بثقافات مشابهة لدى كافة شعوب العالم، بأشكال شديدة التباين، فمن تماثيل " جنود الإمبراطور " في الصين، إلى تماثيل" حرس الملك الفرعون" في مصر ، إلى تمائم "الأمن والحماية" لدى العامة في كل وقت، تعبر كلها عن "ادخار القوة" و "تخزين البطولة" لوقت الحاجة، ولذلك فان العلم سيدفع به حينها لإنشاء "مستودعات تخزين الجند النيام" ، لحفظهم وتلقينهم العقيدة القتالية، وإعدادهم للحروب المستقبلية المحتملة، ومتابعة حالاتهم الصحية، وتجنبا لتلف "السلاح الحيوي" يسمح بإيقاظهم في مواعيد متفق عليها، بالتعاون مع القيادة الطبية والعسكرية، في فترات ثابتة، لا يعكر صرامتها غير مقتضيات الضرورة، والأحوال والمواقف العسكرية الاضطرارية،

والأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية السافرة، المهددة باندلاع الصراعات المسلحة الحادة.

استبدال نظام عبودية البشر بـ عبودية البشر للمجتمع الدولي

نظرا لاحتياج النشاط الزراعي وعمليات تطهير الترع لجهودات بشرية متواصلة، فقد أبدلت عقوبة الإعدام بالخدمة الشاقة في خدمة متطلبات نظم الري في مصر القديمة (50) ، وهناك نوعا من العقوبات المستحدثة في العالم الغربي تقابل الأخطاء والذنوب البسيطة من البشر بتكليفهم بالخدمة الوطنية الإلزامية لساعات محددة لصالح الدولة، ربما توضح هذه البوادر ذات الأشكال المتعددة اتجاها من الممكن أن يعزز في المستقبل بقوة اكبر من مستوى **"العقوبات الحضارية"**، لتتحول إلى إحدى السبل المعممة في المستقبل إيذاء كل جرائم الإنسان، مهما كان نوعها وحدتها ودمويتها ؟، نعتقد أن العقاب بالعمل المجاني لصالح المجتمع هو العقاب الوحيد الأكثر شيوعا في تطبيقه في المستقبل.

"أسرة الدولة البديلة" نظاما إلزاميا لرعاية الأطفال (الدولة ولية الأمر الأعلى لرعاياها).

طُرح نظام الأسرة البديلة كإحدى وسائل إعداد الأطفال وتوجيههم إلى نشاط محدد، وإشباعهم بأفكار ومعتقدات راسخة لا يشوبها شيء آخر، وقد تعددت سبل وصور التفكير في الأسر البديلة مع الحالات والمواقف والأزمات التي تعرضت لها المجتمعات البشرية على مر عصورها، وكانت نمطا عشوائيا لا يخضع لقاعدة أو أسس عملية منظمة، ولم تتحول لنظام رسميا إلا في العصر الحديث، وكان عبارة عن توفير ما يشبه الأسرة البديلة في حالة غياب الأسرة نفسها، بموت الأب أو الأم أو كلاهما معا.

اتجهت المجتمعات الغربية إلى اعتبار أن الدولة هي **"ولية الأمر الأعلى"** لكافة أفراد شعوبها، ولها الحق في التدخل إذا قضت الضرورة لحجب ضررا ما، وان كان لا وجودا له في الحقيقة، أو يعتبر قضية جدلية لا حسم في صحتها من خطئها،

واحتفظت بحقها في التدخل بقوة القانون فيما يجري داخل الأسرة، ومن حقها انتزاع الأطفال القصر من أبائهم وأمهاتهم، إذا رأت أنهما ليست لهم الأهلية في رعاية أبنائهم، خاصة إذا كانوا من المشكوك في قواهم العقلية، وذوي الميول الإجرامية، وسيئي السمعة . . .، وقد كان القانون في سعيه الغريب هذا يمارس نوعا من الإنصاف والمراعاة لحقوق الأطفال، وتوفير بيئة نظيفة تبعدهم عن الأجواء المشبوهة المتعرضين لها، وتسبب في تعاسة بعض الأسر شبه المحترمة، التي شابها الشبهات أحيانا، أو ارتكبت جرما صغيرا نوعا ما، وحاولت بعدها أن تصحح مسارها، وتُحسن من سلوكها وسمعتها في المجتمع.

تعددت عيوب "**نظام الأسر البديلة**" و"**ملجئ الأطفال الإجباري**" بما يمكن أن نعتبره نوعا من معتقلات ممارسة القهر والإذلال للنفس، على أيدي موظفين قساة القلوب، يقومون بما كان من المفترض أن يتم بكل حب بشكل رتيب، لا مجال للرحمة أو المشاعر في عملا رسميا محض، وتعددت سبل الانتقادات الموجهة ضده، كانت معظما تسعى إلى تحسينه، لا إلغائه بشكل تام.

ويعتبر نظام "ملجئ الأطفال" أو "المدارس الداخلية" هو النظام الأكثر احتمالا لان يسود في المستقبل تجاه رعاية الأبناء، بما فيهم ممن أولئك الذين لديهم أبائهم وأمهاتهم على قيد الحياة، وذلك لأسباب متعددة منها :ـ

- شيوع الزنا وظاهرة الأبناء غير الشرعيين غير المرغوب في إعالتهم.
- الاستمرار المفرط في مرور المجتمعات البشرية بمرحلة التوسع الصناعي، وما يتبعه من الانشغال الدائم عن الأسرة، وإضعاف العلاقات الاجتماعية .
- زيادة الأنانية في المجتمع.
- احتياج المجتمع لتوحيد الفكر الداخلي، وإعداد أفراد "مبرمجين" منذ الصغر.
- الهوس المفرط بالنشاط السياحي وبرامج الترويح عن النفس.

- سهولة إتاحة وتخزين عناصر "**عملية إنجاب الأطفال**" (الحيوانات المنوية ـ البويضات ـ الأرحام الاصطناعية) في المستقبل وفقا للطلب.

التغيير الدوري لجنسية الأفراد والمجتمعات في المستقبل.

من المحتمل أن تعم حالة من التغيير الحتمي لجنسية الأفراد في كل دولة، وفقا لضوابط قانونية ملزمة للجميع، إما بسبب تغيير الموطن، أو الحالة الاجتماعية، والانتماءات السياسية، والمعتقدات الدينية، والوضعيات ذات الظروف الخاصة، فمن الممكن أن ينتمي الشخص لدولة حين مولده، ثم يغير جنسيته في مرحلة البلوغ، وربما يتاح له كنوع من الحرية السياسية التي يكفلها القانون الإنساني العام في"**الدستور العام للبشر**" بحرية إتاحة اختيار الجنسية لأولئك الذين بلغوا سن الرشد، على ألا يُسلب منهم هذا الحق لأي سبب، طالما راعوا حقوق المواطنة المسالمة، ولم يعكروا صفو الأمن والسلام لبني البشر.

ومن حق المجتمعات والدول "**المتخصصة النشاط والفئة**" (مثل الدول الدينية المحايدة، الدول السياحية. . ، كما سبق ذكره) طرد ما تشاء من رعايا بسبب التغيير العام لتوجهاتها وتخصصاته، ومساعيها، ونوعية الوصف الذي تعلنه عن نفسها، كواجهة رسمية معترف بها، فعلى سبيل المثال : ـ يحق لدولة "**الملحدين**" (الأحرار دينيا وفقا لتصنيفهم ورؤيتهم ومعتقداتهم الدينية) أو "**الشواذ جنسياً**"، أن تطرد ما يثبت عليه انه مغاير لطبيعة المجتمع الذي ارتضى من قبل أن يعيش فيه! ، ومن حق من يدعي اتصافه بهذا النهج أو السلوك، أن يهاجر قاصدا هذه الدولة، بغض النظر عن الخصائص الأخرى، أو على الأقل أن يحمل جنسيتها، حتى وان لم ينتقل إليها قط .

تساهم تلك العوامل في إحداث حالات كبيرة من الهجرة البشرية لأسباب سياسية، فيما أشبه بقضية اللاجئين، وما هم بلاجئين، وسيساهم ذلك في إعادة توزيع وتصنيف البشر على سطح الأرض، ومن الممكن أن يحمل كل فرد من

سكان العالم **"مجموعة من الجنسيات القومية"**، وهي عبارة عن ملخص عام لخصائصه المختلفة، التي تخضع كل عنصر منها لدولة ما، وتمكنه من الدفاع عن نفسه إذ تعرض للضرر، كما ستفتح ساحات كبيرة للاحتكاك والصراعات وحدوث الأزمات بين الدول، والتي ستساهم في اندلاع الحروب تافهة الأسباب، بالمقاييس الحالية للبشر.

ضعف "الطلاء الوطني" لشعوب المستقبل.

ما هو شعب دولة ما؟!، أي دولة؟!، من هو؟! ، هو الساكن على أراضيها، الزارعون لها، الآكل مما تنبت تربتها، الشاربون لمائها، السامع والناطق للغتها، المتبع لهوى ثقافتها ومعتقداتها، المتشبع بمطامحها، المتلفح بشمسها، المتأثر بصقيعها، المطلي بلون واحد، من البشرة إلى أعماق خبايا النفس البشرية في المجتمع، هذا ما يصنع الشخصية المتميزة والمستقلة لشعوب الأقاليم الدول عما جاورها من مجتمعات وعوالم أخرى.

ما أسباب زيادة إضعاف **"الطلاء الوطني الموحد لسكان كل إقليم . . عما جاوره"**؟ ، هو كل ما يناقض ما جاء في الفقرة السابقة، فلن يسكن الشعب في ارض واحدة، ولن يأكل مما تنبته تربتها فقط، ولن يستطيع عزل نفسه عن إدراك أفكار ومعتقدات أتت من الخارج، . . . ، فما هي الشخصية المستقلة للدولة؟ ! ، وكيف سيكون مفهوم الوطنية لديها؟! ، وما معنى الخيانة للوطن؟!، أي وطن؟ !، فالأوطان متغيرة، والانتماءات متعددة ومتداخلة وباهتة الملامح، فأين الثبات في عالم شديد التحول والتقلب في مجتمعات عالم المستقبل الافتراضي؟!.

الخاتمة

تترقب البشرية سنوات المستقبل بمشاعر متلهفة تتأرجح ما بين اليأس والأمل، التفاؤل والتشاؤم، هل نرسم بأيدينا صورا زاهية أو قاتمة لما في قلوبنا ؟ ، تتوالى الدول والممالك والإمبراطوريات، تولد وتموت، ويظل البشر خاضعين لنظام جماعي أيا كان حجمه وقوته، يظل عناصر ظاهرة البشر والبيئة والنظام السياسي تركيبة كيميائية لا غنى عنها في كل عصر، وتتبدل الاختلافات والموائمات فيما بينهم، وتتعدد المفاهيم المحددة لكل عنصر، من البشر ومدى نقائهم من الخلايا الالكترونية، إلى تنوع البيئات من مائية وبحرية وجوية، وفضائية، وتحور وتطور نوعية النظم السياسية وصورها الغريبة، ربما تلك هي الفلسفة الثابتة في عالم لا يمكن لأحد رصد مدى تفاعله وتغيره وتبدله.

عُرضت نماذج حرة من أشكال وصور الدول في المستقبل، نماذج متحررة من قيود القوالب القديمة وسيطرة الفكر الثابت حين يرصد الحالات المتغيرة دوما على سطح الأرض، ورصدت إمكانية تتبع "مدى" تطور الدولة، لا الأمد الذي سوف يتحقق فيه ذلك، المعالم الرئيسية على الطريق، بدون تحديد تواريخ لزمن كل حقبة .

هل يمكننا أن نتصور خريطة العالم السياسية حينما كانت مجرد لوحة بيضاء، وعلينا أن نلحظ الألوان المخصصة لكل دولة منذ نشأة الإنسان العاقل قديما، ونعطي لها لونا واسما محددا، ونتتبع مدى نمو البشر وانقسامهم السياسي فيما بينهم؟ ، إن كل الأطالس الجغرافية لدول العالم تدمغ بخاتم "توقيت النشر" ، غالبا ما تضع سنة الطبع ضمن حواشي وتفاصيل الطباعة، بخطوط رفيعة، في مكان منزوي، لماذا يكاد تختفي عن الأنظار أهم الأشياء ؟! ، لماذا لم يفطن الناشرين لأهمية وضع التاريخ على صدارة الغلاف بخط كبير ؟! ، ليذكرونا دائما بـ"**الحالة المؤقتة لدول العالم**" ، التغيير قادم لا محالة، ميلاد دول جديدة، وزوال أخرى، ومن سيصمد ويظل له مكانا على الخريطة فعليه أن ينتظر الأجل، لا شيء باقي على حاله في هذا الكون المتقلب.

ان اسمى أهداف هذا الكتاب هو ترسيخ الفكر النهضوي الذي يخضع كل العناصر للتجديد، والحث على الابتكار، والتطلع، والتفكر الجدلي، والسمو الروحي، لا يُخضع عقول البشر للحفظ والتلقين، ووضع المسلمات المتكررة، كل شيء قابل للاخذ والرد، صالح للمغالبة، خاضع لما سوف تسفر عنه السنوات القادمة بإذن الله.

قل من جرؤ من كتب عن المستقبل في العالم العربي، للمخاوف الدينية من الدخول في قضايا غيبية، واحتمالات الخطأ الواردة في تلك المجازفة، وما يترتب عليها من إضعاف المركز العلمي للباحث المدعي، عندما يخفق أحيانا في التنبؤ بالمستقبل، وحتى ما يحرزه من حظ يصمه بوصمة 'الدجل'، إن 'التقديرات العلمية الأولية' تعتبر كمن يحمل شعلة لإنارة الطريق، ضوء خافت ليرينا ما تيسر من رؤية، ويمنحنا بعض اللمحات أثناء تطلعنا ولهاث البشر نحو آمال المستقبل.

لا يعتبر المستقبل حالة حادة تترنح ما بين الأحلام السعيدة، وشؤم النهاية، لان المستقبل حالة دورية، تحمل فرص مشابهة لما نمر به حاليا من تحديات وايجابيات وسلبيات لم تنتهي في الماضي أو الحاضر وكذلك المستقبل.

نحن لا ندعي الفراسة، بل نحاول استقراء المستقبل وتتبع مجالات نمو وتطور الظاهرات البشرية ذات الخطى المضطربة والمتخبطة والمتناقضة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الـمُؤمِنِ فإنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»، ثم قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: قول الله تعالى: ــ «﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (51) » (للمتفرسين والناظرين والمعتبرين) ، دعوة ربانية مستمرة بلا نهاية، بمراعاة تجنب الدجل ومزاعم امتلاك المعرفة الكلية، والاقتناع الكامل في حتمية الوقوع في الأخطاء غير المقصودة دائما.

ربما تساهم خطط غزو الفضاء في تحفيز الفكر الإلحادي المناهض لوجود وقدرة الله، ويتحججون بما يؤكد على موقفهم، وخروجهم لحيز لم يأتي ذكره، فمن

ثم له قوانينه وخصائص وطبائع مختلفة عما آلفوه سابقا، يقول الله تعالى: ــ الذي جعل لكم الأرض مهدا . . .﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (52)، ربما المقصود هو البيئة، أي بيئة يستوطنها الإنسان، وهل يخرج البشر عن سلطان الله؟ ، هل الإقامة في الفضاء أو على سطح القمر والمريخ وغيرهما تعني انعدام فرص الموت ؟ ! كلا إن الإنسان ليطغى، فمن أراد أن يؤمن فليؤمن أيا كان موطنه، وسوف يُعيد الإنسان دائما أخطائه، ويحمل أوزاره إلى أي مكان يذهب إليه في الكون .

المراجع والمصادر

1 ـ انظر على سبيل المثال للمواقع الجغرافية الحديثة على شبكة المعلومات الدولية.

http://geography.about.com/cs/countries/a/numbercountries.htm

2 - تشير موسوعة ويكيبيديا إلى مدى الاختلاف السياسي لما تحتويه قائمة دول العالم حالي، ومن المفترض ان تزداد التناقضات والتفاوتات في السنوات القليلة المقبلة.

3 - انظر على سبيل المثال :ـ بي بي سي العربية، قبول جنوبي السودان عضوا بالفيفا، 22/ 5/ 2012 م..

4 - سليم حسن، موسوعة التاريخ المصري القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2003 م .

5 - جريدة الشرق الأوسط، استقلال أسكوتلندا: مجازفة وخيمة أم بداية تفكيك بريطانيا؟: تصاعد الجدل الدستوري في بريطانيا حول موعد وشكل الاستفتاء.. ومخاوف من ميلاد دولة هزيلة، 20 يناير 2012م .

6 - التحضر هو ظاهرة عالمية تعني الاتجاه المتزايد لدى سكان الريف للاقامة في المدن (الحضر). لذلك ترتبط ظاهرة التحضر بهجرة السكان من الريف إلى المدينة. وجدت المدينة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، إلا أن نسبة سكان المدن بقيت صغيرة جدا، إذ لم يسكن فيها إلا أقل من 5٪ من مجموع سكان العالم، أي أن معظم السكان كانوا ريفيين، بعد ذلك شهدت المدن الأوروبية تطورا صناعيا هائلا ،حيث أصبحت مراكز جذب السكان للسكان نتيجة توافر فرص العمل فيها، فانتقل السكان من الريف إلى المدن حيث فرص العمل متوافرة، واستمرت معدلات الهجرة من الريف إلى المدينة الأوروبية

،بنحو خاص، حتى أصبح ثلث سكان العالم يسكنون المدن في عام 1960 م ويجب أن نحسن القرى حتى يعود السكان إلى الريف ويزرعون ارضهم، انظر على سبيل المثال إلى موسوعة ويكبيديا :

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%AD%D8%B6%D8%B1_

7 - ول ديورانت، قصة الحضارة: عصر لويس الرابع عشر، انجلترا، المجلد السادس عشر، 31/ 32، ترجمة: فؤاد اندوراس، محمد على أبو درة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص 22- 23 .

8 - محمد محمود ابراهيم الديب، الجغرافيا السياسية : منظور معاصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1997 م، ص 502 ـ 508 .

9 - المرجع السابق، ص 502 ـ 508 .

10 - وليد نبيل علي، إستراتيجية الصراعات والحروب البشرية: منظور جغرافي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2006 م.

11 - ويلز، موجز تاريخ العالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م.

12 - ذكر" فريدريك الثاني" إمبراطور ألمانيا تعليقات طريفة عن الدولة، رددها خلال حوارات وخطابات بينه وبين "فولتير"، حول فلسفته الذاتية في الحكم، وإدراكه لطبيعة الشعوب من منظور علوي، لكنه به الكثير من الصدق حين نضاهيه بالوقائع التاريخية، انظر : ـ ول ديورانت، قصة الحضارة: الإسلام والشرق السلافي والشمال البروتوستانتي، المجلد الحادي والعشرين، رقم 41، ترجمة فؤاد اندوراس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص 149 – 148 .

13 - المرجع السابق، ص 156 .

14 - ول ديورانت، قصة الحضارة: قيصر والمسيح، المجلد الخامس، رقم 9 / 10، ترجمة محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص 30 .

15 - http://www.aljewar.org/news-28453.aspx

16 - القران الكريم، سورة النازعات.

17 - هناك مواقع كثيرة تتناقل روايات ونبوءات نهاية العالم، وتعتبر من الأسئلة المتكررة على شبكات الإنترنت، منها على سبيل المثال :ـ

http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=34734bcf9932a8e1

18 - وليد نبيل علي، الأمن القومي العربي :من منظور جغرافي، سنابل للكتاب، القاهرة، 2009 م.

19 - فرانسيس فوكوياما، نهاية الانسان: عواقب الثورة البيوتكنولوجية، ترجمة احمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2003م، ص 80.

20 - قامت الرحلات الفضائي الروسية باجراء الاف التجارب العلمية لاستكشاف تاثيرات انعدام الجابية على المواد والانسان والحيوان، والتاثيرات المختلفة عليها، واحتفظت بها في سرية تامة، فهل اكتشفت حلولا لمشكلات علمية يمكن ان تغير طبيعة الحياة على سطح الارض، خاصة ما له صلة بتركيب العقاقير والادوية، وزراعة المحاصيل، واكثار البكتريا، ومقاومة الفيروسات. . . ؟

21 - عبد الفتاح مراد (محرر)، الاتفاقيات الدولية الكبرى، الإسكندرية، 2000 م، ص 75

22 - محسن مختار الجوهري، الغوص علم ورياضة، دار المعارف، القاهرة، 1985 م ، 186 .

23 - انظر إلى موقع وكالة ناسا للفضاء على شبكة الانترنت.

24 - جون غريبين، تاريخ العلم 1543 ـ 2001 م، الجزء الأول، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، عدد 389، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 2012م، ص 124.

25 - Martel. Linda M. V. ،Celebrated Moon Rocks ،In Discoveries December ،2009 ،P P 1 – 4.

26 - ويلز، مرجع سابق.

27 - جون غريبين، مرجع سابق، ص 122 .

28 - نقلا عن ويكيبيديا رحلات إلى القمر.

29 - المرجع السابق .

30 - سليم حسن، مرجع سابق.

31 - وكالة ناسا للفضاء، تصريحات اعلامية، سبتمبر 2011م .

32 - فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص 96 – 112 .

33 - احمد شوقي، هندسة المستقبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002، ص 149 .

34 - http://www.newsoffuture.com/about_the_future.html

35 - http://www.newsoffuture.com/about_the_future.html

36 - وليد نبيل علي، الأمن القومي العربي: من منظور جغرافي، مرجع سابق، ص 122 .

37 - المرجع السابق، ص 122 – 123 .

38 - عن مذكرات نقولا الترك مؤ رخ عاصر الحملة الفرنسية على مصر وتولي محمد علي حكم مصر، انظر الى: ـ عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517 – 1919)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996 م، ص 93

39 - ذكر أن الثلج يسقط على منطقة شبه الجزيرة العربية مرة كل نحو 40 سنة تقريبا، انظر إلى ول ديورانت، قصة الحضارة، قيصر والمسيح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002 م.

40 - انظر على سبيل المثال : ـ موسوعة ويكيبيديا، شجرة التبليدي، جامعة كامبردج، اطلس العالم، 1990 م.

41 - بي بي سي، جنوب السودان: ماذا يعني ميلاد دولة جديدة ؟، 10 يوليو 2011م

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/07/110710_south_sudan_new_state.shtml

42 - اميل لودفيج، النيل : حياة نهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م .

43 - محمد خميس الزوكة، جغرافية العالم الجديد، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1997م.

44 - عبد الله عبد الرازق، شوقي الجمل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو، القاهرة، 1997 م .

45 - جيمس انتوني فريد، التنافس البريطاني الاسباني الفرنسي في القرن السادس عشر حول العالم الجديد وجزر الهند الغربية، ترجمة : السيد يوسف نصر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1991م، ص 2 ، 50.

46 - فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق.

47 - وليد نبيل علي، استراتيجية الصراعات والحروب البشرية : منظور جغرافي، مرجع سابق.

48 - وليد نبيل علي، مشكلات الحدود السياسية لجمهورية الكنغو الديمقراطية :دراسة في الجغرافيا السياسية، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2010 م .

49 - هناك وقائع تاريخية لا حصر لها، منها على سبيل المثال : ـ قصة تروى عن المطالبات التي وجهتها أرملة الزعيم السوفيتي "لينين" إلى الزعيم الروسي الجديد "ستالين" وتفاخرها بدور زعيم الأمة الأول، فقال حينها ستالين انه على استعداد ان يطلقها منه ! ، وهو شيء بسيطا أمام ما جرى من عمليات منهجية لتزييف الواقع، أشرفت عليه أجهزة المخابرات السوفيتية بشكل فاق قدرة الأجهزة الأمنية على الكذب والخداع في المعسكر الغربي

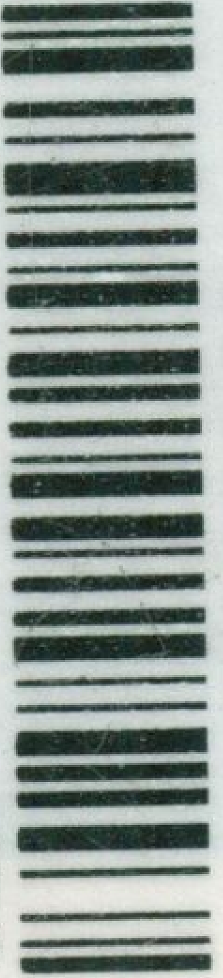
50 ـ اميل لودفيج، مرجع سابق.

51 - القرآن الكريم، **سورة الحجر، الآية : 75 .**

52 - **القرآن الكريم، سورة طه، آية 55**

مستقبل الخريطة السياسية للعالم

دراسة في الجغرافيا السياسية



عمّـان - شـارع الجامعة الأردنية
مـقـابل كـلـيـة الزراعـــة
تلفاكس : 7798 533 6 00962
ص.ب 1527 عمان 11953 الأردن
E-mail: info@alwaraq-pub.com
E-mail: halwaraq@hotmail.com





www.alwaraq-pub.com